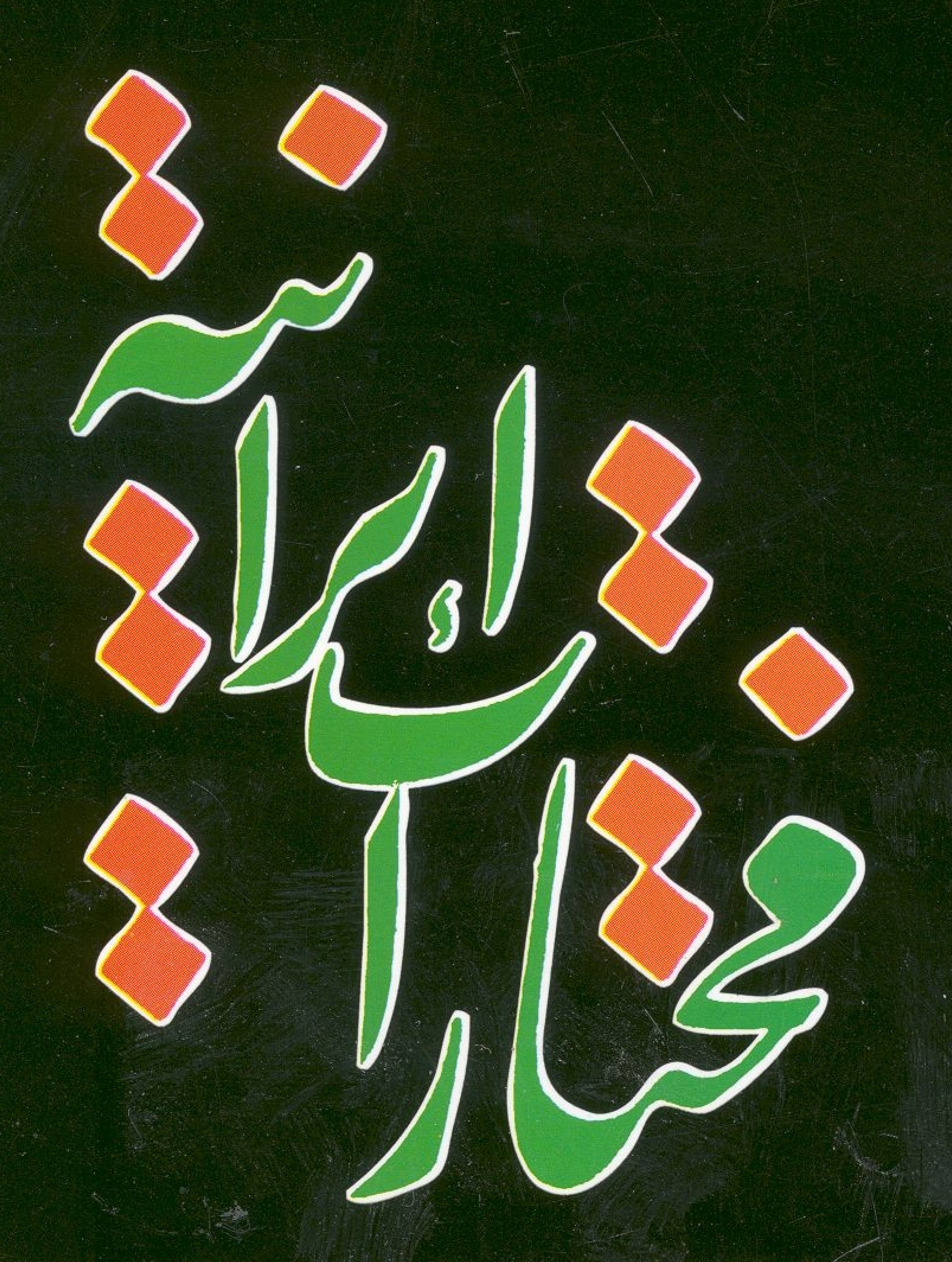




السنة السادسة
العدد ٧٤ - سبتمبر ٢٠٠٦



- صراع على "كسب الزمن" بين لاريجانى وسولانا
- إيران ومشروع الشرق الأوسط الكبير
- الشراكة الإسرائيلية التركية وأهميتها على الصعيد الإقليمى
- المحافظون الجدد وفكرة الهجوم العسكرى على إيران
- المكانة القانونية والإشرافية لمجلس الخبراء
- إيران وحزب الله: التلاقى والتنافس على الصعيد الإقليمى

٧٤



السنة السادسة ـ العدد ٧٤ ـ سبتمبر ٢٠٠٦

الآراء الواردة فى هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

صورة الغلاف

هل سينجح سولانا فى البناء على الاختراق الدبلوماسى الذى نجح فيه كوفى أنان خلال زيارته لطهران مؤخراً و تحقيق تقدم فى أزمة البرنامج النووى الإيرانى؟

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية ت : ٥٧٨٦١٠٠/٥٧٨٦٢٠٠/٥٧٨٦٣٠٠ فاكس : ٥٧٨٦٠٢٣/٥٧٨٦٠٣٧



«مختارات إيرانية» دورية شهرية تصدر باللغة العربية منذ أغسطس ٢٠٠٠ ويتولى رئاسة تحريرها د. محمد السعيد إدريس ، وهى أول إصدار ثقافى عربى يسعى لتقديم معرفة علمية متكاملة عن المجتمع والدولة فى إيران، وتضم مختارات إيرانية أربعة أقسام أساسية، الأول خاص بالتفاعلات الداخلية على الأصعدة المختلفة سياسيا وأمنيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، أما القسم الثانى فيختص بالعلاقات الإقليمية لإيران وتفاعلات إيران مع الأحداث والقوى الإقليمية خاصة فى الخليج والوطن العربى ومجمل دول الشرق الأوسط ، وكذلك دول بحر قزوين وآسيا الوسطى وجنوب آسيا. ويهتم القسم الثالث بالعلاقات الدولية لإيران سواء مع القوى الدولية أو المنظمات الدولية. أما القسم الرابع فيحمل عنوان «رؤى عربية» ويهتم بتقديم رؤى وتحليلات ووجهات نظر عربية فى أحداث ، وتطورات، وكذلك تقديم تعليقات على أفكار ورؤى إيرانية فى محاولة لتجسير الفجوة بين المفاهيم والادراكات العربية والإيرانية أو على الأقل التقريب بينها لمزيد من معرفة كل منهما للآخر .

ويسعد « مختارات إيرانية » تلقى الردود والتعليقات المختلفة لنشرها وفقا لقواعد النشر المعمول بها بالمجلة .

المحتويات

◆ افتتاحية العدد:

د. محمد السعيد إدريس ٤

◆ دراسات:

١- الشراكة الاستراتيجية الإسرائيلية التركية وأهميتها على الصعيد الإقليمي(١/٢) ٦

٢- عندما يصعد الشيعة... رؤية أمريكية ١٦

◆ قراءة فى كتاب

- "موعد مع إبراهيم".. تأليف الدكتور على شريعتى ٢٤

◆ وثائق:

١- بيان المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية بمناسبة مجزرة قانا ٣٢

٢ - رسالة المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية إلى الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله ٣٣

٣ - البيان الختامى للاجتماع الرسمى الـ ١٦ لمجلس خبراء القيادة ٣٤

- افتتاحيات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية ٣٦

◆ قضية العدد:

- التلميذ تفوق على أستاذه ٣٨

◆ شئون داخلية:

١- نظرة على تطور الرقابة التصحيحية فى إيران ٤٠

٢- مجلس الخبراء من وجهة نظر الإمام الخمينى ٤٢

٣- المكانة القانونية والإشرافية لمجلس الخبراء ٤٤

٤- مجلس الخبراء والرقابة على الزعامة ٤٥

٥- ردود فعل على اللائحة الشاملة للانتخابات ٤٦

٦- سراب أنصار التعمير ٤٧

٧- المرأة ورئاسة الجمهورية ٥١

٨ - منظمات المجتمع المدنى ٥٣

◆ أنشطة حزبية : ٥٨

◆ تفاعلات إقليمية:

١- تغيير التوجه الأمريكى فى منطقة الشرق الأوسط: مشروع الشرق الأوسط الجديد ٦٤

٢- إيران ومشروع الشرق الأوسط الكبير ٦٥

٣- لبنان الجديد ٦٦

٤- ماذا بعد حرب لبنان؟ ٦٩

٥- الأخطاء الاستراتيجية لإسرائيل ٧٠

٦- نهاية أزمة الشرق الأوسط ٧١

٧- النفط: أداة القوة فى القرن الحادى والعشرين ٧٢

٨- المحاذير والإمكانيات التركية فى السياسة الخارجية ٧٤

٩ - نظرية اللعبة: التعاون بدلاً من التنافس ٧٩

◆ إيران.. لماذا؟

إخواننا الشيعة ٨٢

◆ علاقات دولية:

١- دراسة توجه الحكومة التاسعة فى السياسة الخارجية ٨٦

٢- إيران لن تستسلم لتعليق تخصيب اليورانيوم ٩٠

٣ - المحافظون الجدد وفكرة الهجوم العسكرى على إيران ٩٢

◆ الزاوية الثقافية:

١ - شهور السنة الإيرانية ودلالاتها ٩٦

◆ شخصية العدد:

١ - آية الله مصباح يزدى: سيرة ومسيرة ١٠٢

◆ رؤى عربية:

١- إيران وحزب الله: التلاقى والتنافس على الصعيد الإقليمى .... خالد السرجانى ١٠٦

٢ - ما بعد العدوان على لبنان : هل يعود التقارب بين السنة والشيعة ؟ .... عادل عبد الصادق ١٠٩

٣ - بعد الحرب على لبنان: هل تدخل العلاقات الإيرانية - التركية مرحلة جديدة؟ .... محمد عباس ناجى ١١٤

افتتاحية

صراع على "كسب الزمن"

لم تكن المواجهة حاسمة بين الولايات المتحدة وإيران كما هى اليوم، ولم يكن الترابط بين البرنامج النووى الإيرانى والمشروع الأمريكى الجديد فى الشرق الأوسط كما هو اليوم بعد جولة المواجهة الأخيرة بين إسرائيل "وحزب الله" فى لبنان، ولم يصل التصعيد السياسى بين الرئيس الأمريكى والرئيس الإيرانى إلى الحدة التى هو عليها اليوم، كل هذا يدفع إلى السؤال المهم: **متى تقع المواجهة العسكرية بين الولايات المتحدة وإيران؟**

هذا يعنى أن فرضية المواجهة العسكرية باتت شبه محسومة، وأن الأمر بات متركزاً على موعد المواجهة (!!). واقع تطور الأحداث واتساع الفجوة بين الموقفين الأمريكى والإيرانى يقول ذلك، لكن ربما يكون هذا الواقع بكل مأساويته هو الدافع القوى لكل المحاولات الرامية للحيلولة دون الوصول إلى حالة المواجهة العسكرية.

فعلى ما يبدو هناك "سباق على كسب الزمن" للوصول إلى "حل توافقى" للأزمة المتصاعدة بين الولايات المتحدة وإيران حول البرنامج النووى الإيرانى، وعلى وجه الخصوص منذ أن قدمت إيران ردها يوم ٢٢ أغسطس الماضى على صفقة "رزمة الحوافز" التى قدمتها مجموعة (٥+١)، أى الدول الخمس الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن إضافة إلى ألمانيا، لإيران.

فقد تعمدت إيران أن تقدم رداً ملتبساً وغامضاً وبالذات على الطلب المحدد الخاص بـ "الوقف النهائى لتخصيب اليورانيوم"، إذ لم يقبل هذا الرد بالوقف المسبق للتخصيب، لكن لم يستبعده، مرجئاً ذلك لمفاوضات "جادة" طرح الإيرانيون الاستعداد لها منذ يوم ٢٦ أغسطس ٢٠٠٦، طمعاً فى كسب مرحلة جديدة من المفاوضات أو المناورات، وهو الاقتراح الذى رفضته واشنطن بحدة وطالبت عقب انتهاء المهلة الممنوحة لإيران مساء ٢٣ غسطس بعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن، لا يتجاوز يوم ١٥ سبتمبر الجارى "لبحث توقيع عقوبات ضد إيران".

رد الفعل الأمريكى المتشدد لم يأت رداً على الرد الإيرانى فقط، بل جاء محصلة لعوامل كثيرة منها أن الرد الإيرانى جاء عقب الحدث المهم الذى كان الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد قد وعد به شعبه وهو افتتاح مصنع لإنتاج الماء الثقيل فى مدينة "آراك" لتزويد مفاعل نووى قيد الإنشاء باحتياجاته. فى افتتاح هذا المصنع وجه أحمدى نجاد رسالة مهمة للولايات المتحدة ضمن خطابه الذى ألقاه بتلك المناسبة والذى رفض فيه بشكل غير مباشر وقف تخصيب اليورانيوم عندما قال: "إن الأعداء شاءوا أم أبوا عليهم أن يدركوا أن الشعب الإيرانى اتخذ قراره بالتقدم، عليهم أن يقبلوا واقع وجود إيران قوية ومتطورة ومؤيدة للسلام"، وأكد أيضاً أن الشعب الإيرانى "سيدافع بقوة عن حقه بالحصول على التكنولوجيا المتقدمة".

الترابط بين الرد الإيرانى "المراوغ" على صفقة "رزمة الحوافز" وهذا التحدى المباشر بافتتاح مصنع إنتاج الماء الثقيل تزامن مع تداعيات هزيمة إسرائيل أمام "حزب الله" فى حرب الثلاثة وثلاثين يوماً، وعجزها عن القيام بالمهمة التى كانت قد اتفقت حولها مع الولايات المتحدة، أى مهمة تنفيذ الشق الثانى من القرار الدولى رقم ١٥٥٩ الخاص بنزع سلاح "حزب الله"، وهى المهمة التى كانت واشنطن تأمل أن تحقق هدفين فى وقت واحد على حد ما كشف سيمور هيرش الكاتب الأمريكى الشهير فى مجلة "نيويوركر" الأمريكية: هدف تدمير "حزب الله" ومن ثم تأمين إسرائيل من أى دور يمكن أن يقوم به هذا الحزب فى حالة شن حرب أمريكية على إيران، وهدف اختبار ما وصفه سيمور هيرش بـ "سيناريو كوسوفو"، ويعنى شن حرب جوية مكثفة على لبنان على غرار الحرب التى شنتها قوات حلف شمال الأطلسى ضد القوات الصربية فى كوسوفو، لمعرفة مدى فعالية تنفيذه ضد إيران فى حالة الاستقرار على الخيار العسكرى لإنهاء أزمة البرنامج النووى الإيرانى.

مجمل هذه الظروف ترافقت مع الموقف السياسى الصعب للإدارة الأمريكية مع اقتراب موعد انتخابات التجديد النصفى للكونجرس فى نوفمبر المقبل، فى وقت تفاقمت فيه حدة الأزمة الأمريكية فى العراق، وتزايدت فيه مطالب أغلب الأمريكيين بسحب سريع للقوات الأمريكية من العراق، وسط مناخ يسيطر فيه الشعور بالفشل الفادح للمشروع الأمريكى فى العراق، ومن ثم كان لابد من قيام الإدارة الأمريكية بتوجيه رد عنيف ضد إيران فى محاولة لإنقاذ سمعة الإدارة والحيلولة دون خسارة الحزب الجمهورى فى الانتخابات المقبلة وإنقاذ شعبية الرئيس بوش التى وصلت إلى أدنى مستوياتها.

هذا لا يعنى أن التشدد فى الرد الأمريكى على إيران ليس إلا مجرد مظاهرة سياسية، لكن التطور السريع لحدة المواجهة بين الإدارة الأمريكية وإيران وتعمد الرئيس الأمريكى خلط الملفات يؤكد أن الإدارة الأمريكية عازمة فعلاً على التصعيد مع إيران ابتداءً من مجلس الأمن لتوقيع عقوبات، وامتداداً لتشكيل تحالف دولى من خارج مجلس الأمن يقوم بالمهمة، أى مهمة فرض حصار اقتصادى وسياسى ضد إيران، و انتهاءً بالحل العسكرى إذا لم تؤد العقوبات الأهداف المرجوة منها.

فقد ألمحت واشنطن أنها مستعدة لتشكيل تحالف مستقل لتجميد أصول إيرانية وفرض قيود اقتصادية إذا فشل مجلس الأمن الدولى فى معاقبة إيران بسبب برنامجها النووى لتخصيب اليورانيوم، وقالت صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" الأمريكية (٢٠٠٦/٨/٢٦) أن جون بولتون مندوب الولايات المتحدة فى مجلس الأمن قال فى مقابلة أن "الولايات المتحدة تنوى تقديم قرار بفرض عقوبات مثل قيود على السفر وعلى أرصدة زعماء إيرانيين بمجرد انتهاء المهلة يوم ٣١ أغسطس (الماضى)"، وقال: "فى حالة عدم قبول روسيا والصين للقرار فإن واشنطن ستعمل على مسار دبلوماسى مواز خارج الأمم المتحدة"، وزاد بولتون فى قوله: "لا نحتاج إلى تفويض من مجلس الأمن لفرض عقوبات" (!!).

هذا السيناريو المحتمل لا يعكس قوة فى الموقف الأمريكى بقدر ما يعكس ضعف الموقف الدبلوماسى بسبب دور واشنطن المثير للجدل فى سلسلة من الصراعات فى الشرق الأوسط وعلى الأخص منها الحرب الإسرائيلية على لبنان، كما أنه يحمل إنذاراً لكل من الصين وروسيا بقدر ما يحمل تطلعاً إلى موقف أوروبى مؤازر

بين لاريجاني وسولانا

للموقف الأمريكي داخل مجلس الأمن.

لكن الموقف الأوروبي بدا أكثر تمايزاً مع الموقف الأمريكي وعلى الأخص الموقف الفرنسي عندما تعمد الرئيس بوش توسيع أفق المواجهة مع إيران ليتجاوز أزمة البرنامج النووي إلى ما هو أكثر اتساعاً ليشمل المواجهة الأيديولوجية أو الحضارية الغربية - الإسلامية.

فالإدارة الأمريكية لم تكتف برفض دعوة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد لإجراء مناظرة تليفزيونية مع الرئيس الأمريكي جورج بوش، لكنها تعمدت تجريحها باعتبارها مجرد محاولة "لتحويل الأنظار عن مشاعر القلق المشروعة لدى المجتمع الدولي وليس الولايات المتحدة وحدها إزاء سلوك إيران من مساندتها للإرهاب إلى سعيها إلى امتلاك قدرات لإنتاج أسلحة نووية". وزاد الرئيس الأمريكي على ذلك بربطه بين إيران والقاعدة ووصف النظام الإيراني بالإرهاب، وقال أن "إيران والقاعدة وجهان مختلفان لتهديد واحد"، وأوضح ذلك بقوله أن "الولايات المتحدة تواجه تحركاً عدائياً شيعياً تقوده إيران التي تشارك تنظيم القاعدة في الأهداف نفسها"، وقال أيضاً أن "القاعدة وإيران تأملان في دفع الولايات المتحدة خارج الشرق الأوسط وحيازة أسلحة نووية". وفي تحذير قوي استهدف ترويع الرأي العام الأمريكي لتحقيق أهداف سياسية قال: "إذا أتحنا لهما ذلك، وإذا تراجعنا عن العراق، ولم نتمسك بواجباتنا تجاه أولئك الراغبين في العيش بحرية، سيسألنا التاريخ، وبدون رحمة بعد نصف قرن: لماذا لم تتصرفوا في وقتها؟".

هذا الخطاب يعد نقلة جديدة وخطيرة في الأزمة الأمريكية - الإيرانية، فهي لم تعد محصورة في البرنامج النووي الإيراني وحده، بل هي شاملة لمواجهة "الشيطان"، ويمثل الدور الأمريكي في هذه المواجهة "رسالة تاريخية"، و هناك مساءلة ومحاسبة لأي تفريط في هذه المواجهة الشاملة التي دخل العراق وأزمة الولايات المتحدة فيه طرفاً مباشراً.

هذا الخطاب لم يحظ بدعم أوروبي، وكان الموقف الفرنسي شبه حاسم، فقد تحفظ وزير الخارجية الفرنسي فيليب دوست بلازي على هذا الخطاب وطالب الرئيس الأمريكي بالكف عن تصوير التوترات الجيوسياسية في العالم بوصفها "حرب حضارات"، وقال في تصريح إذاعي: "لا يمكننا أن نقبل (القول بوجود) حرب حضارات بين معسكرين: غربي وإسلامي"، مؤكداً أنه "ليس من حق الغرب الحكم بوجود الخير والشر في دولة معينة أو قارة معينة".

رغم ذلك فإن الموقف الأوروبي يتجه إلى القبول بفرض عقوبات ضد إيران، أكدت ذلك المستشارة الألمانية انجيلا ميركل التي قالت: "إن المجتمع الدولي لا يمكن أن يقف موقف المتفرج على إيران وهي تلحق الضرر بالأمم المتحدة برفضها الاستجابة لدعوة وقف عمليات تخصيب اليورانيوم"، ويبدو أن روسيا قد غيرت موقفها من مسألة فرض العقوبات التي كانت تتحفظ عليها بعد أن صدر تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الذي قدمته الوكالة إلى مجلس الأمن وتضمن إدانة ضمنية للموقف الإيراني، عندما أكد استمرار إيران في عمليات التخصيب على عكس مطلب مجلس الأمن بذلك. لكن القبول الروسي بالموافقة على توقيع عقوبات على إيران جاء مشروطاً بالإطار الذي حدده سيرجي لافروف وزير الخارجية الذي قال: "سنقرر كيفية استخدام هذه الإجراءات، ولكن هناك هدفاً واحداً لنا، وهو منع انتشار أسلحة الدمار الشامل"، وأوضح ما يريده بالقول: "يجب أن تكون الضغوط الاقتصادية متناسبة مع تهديد حقيقي للأمن والسلام"، أي أن شرط القبول بعقوبات يجب أن يرتبط بوجود اقتناع دولي بأن إيران تهدد الأمن والسلام، وأن مستوى العقوبات يجب أن يتناسب مع مستوى التهديد.

معنى ذلك أن مجلس الأمن قد يشهد مواجهة مع روسيا، وربما الصين أيضاً حول مبدأ العقوبات من ناحية ومستواها من ناحية أخرى، لكن الأهم من هذا كله هو وضع حدود قصوى للمواجهة مع إيران كشرط للقبول بالعقوبات وهي ألا تصل إلى الحل العسكري. وزير الخارجية لافروف أكد هذا واستبعد نهائياً استخدام القوة ضد إيران، وأيدت ألمانيا ذلك على لسان المستشارة انجيلا ميركل التي استبعدت العمل العسكري ضد إيران قائلة: "ليس هناك خيار عسكري" في معرض توضيح قبولها بالعقوبات ضد إيران.

المواجهة قادمة إذن في مجلس الأمن؟

ليس بعد، فالأمل معقود الآن على لقاء خافيير سولانا مع علي لاريجاني مسئول الملف النووي الإيراني في أسبانيا، والسؤال المطروح الآن في معرض السباق مع الزمن بين الحل الدبلوماسي والعقوبات هو: هل سينجح سولانا في البناء على الاختراق الدبلوماسي الذي نجح فيه كوفي أنان الأمين العام للأمم المتحدة خلال زيارته لطهران مؤخراً؟

فعقب لقائه مع علي لاريجاني في طهران أبدى أنان حرصه على إبعاد شبح المواجهة بين إيران والمجتمع الدولي، وتجنب فرض عقوبات عليها، منوها بأهمية التحرك التالي للمنسق الأعلى للسياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي خافيير سولانا "من أجل الترجيح لعقد المفاوضات".

وزير الخارجية الألماني فرانك فالترشتاينماير شارك هو الآخر في الرهان على لقاء سولانا مع لاريجاني ملوحاً بأن "برلين وحلفاءها سيحولون الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن إذا لم يتمكن سولانا من إقناع طهران بتغيير سلوكها عندما يجتمع مع لاريجاني".

هذا الرهان محدد النتائج، فالمسألة كلها سباق مع الزمن على تأجيل مواجهة يبدو أنها باتت حتمية لتصفية حسابات واسعة وتحقيق أهداف أوسع سواء كان بالنسبة للولايات المتحدة أو بالنسبة لإيران.

د. محمد السعيد إدريس



الشراكة الاستراتيجية الإسرائيلية- التركية وأهميتها على الصعيد الإقليمى (٢/١)

■ إعداد د. فوزى درويش

تمثل التحالفات الإقليمية والدولية أحد أهم الآليات التى تستخدمها الفواعل الدولية لتحقيق مصالحها، أو ممارسة دور إقليمى ودولى بارز، أو تحقيق نوع من توازن القوى مع الفواعل الإقليمية والدولية الأخرى.

ويندرج التحالف الاستراتيجى التركى - الإسرائيلى الذى دشنه الاتفاق المبرم بين الدولتين فى العام ١٩٩٦ وبمباركة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، تحت القسم الأول من هذه التحالفات، حيث ترغب كلتا الدولتين من خلال هذا التحالف فى تحقيق مصالح إقليمية عدة، لكن هذا التحالف بقدر ما يمثل مصلحة إقليمية لكل من تركيا وإسرائيل، بقدر ما يفرز تحديات وتهديدات عدة تجاه القوى الإقليمية الأخرى، مثل سوريا وإيران ودول الخليج ومصر، والتى تبنت سياسات عدة للتعاطى مع تداعيات هذا التحالف الاستراتيجى.

من هنا تكتسب الدراسة التى أعدها البروفيسور إفرايم إنبار مدير مركز Begin Sadate Center for Strategic Studies فى دورية (Turkish Studies) Vol 3, No 2, Automn 2002, Frank Cass London، حيث تركز على أبعاد التحالف التركى - الإسرائيلى، وتداعياته على المصالح التركية والإسرائيلية، ومواقف القوى الدولية والإقليمية من هذا التحالف، وتأثيره على الأمن والاستقرار الإقليمى فى منطقة الشرق الأوسط. وفيما يلى الجزأ الأول من الدراسة.

أولاً: ما ينطوى عليه الوفاق الإسرائيلى - التركى

إن هذا الوفاق رغم كل ما له من أهمية، فلا يمكن له أن يغير من قواعد اللعبة فى الشرق الأوسط. كذلك، فإن الاشتراك الأردنى "المفترض" فى هذا الوفاق يعمل على مد النطاق الاستراتيجى لأنقرة (والقدس)(=)، لكنه لا يغير من الصورة الأساسية. إن التوجه القائم حالياً لإسرائيل وتركيا يترك أثره الإقليمى الاستراتيجى على ميزان القوى. ومع ذلك، فإن الوفاق الإسرائيلى - التركى يقوى كلا من الدولتين على نحو منفصل، ويزيد من وضعهما الإقليمى. وفضلاً عن ذلك، فإن قوتهما المتجمعة، وإمكانات استخدام هذه القوة المتجمعة يؤثر حتماً فى الحسابات الاستراتيجية فى مختلف عواصم المنطقة. ورغم أن هذا "التحالف أو هذا "الوفاق" ليس بمثابة حلف عسكرى رسمى، فإن هذا الانحياز Celignment الإسرائيلى - التركى، يحقق عدداً من المهام الاستراتيجية المهمة. وفى المقام الأول منها زيادة قدرة كل منهما من الناحية الدفاعية.

ثانياً: زيادة القدرة على الردع

إن إسرائيل بحاجة إلى زيادة قدرتها على الردع بعد حرب الخليج ١٩٩١، وتطور أسلحة الدمار الشامل فى المنطقة، والتحول الذى حدث لعملية السلام. ويمكن لهذا الوفاق أن يزود إسرائيل بمزيد من قوة الردع. فالدول التى يراودها استخدام القوة ضد تركيا وإسرائيل يكون عليها إذن أن تأخذ فى حسبانها قوتهما معاً. وعلى سبيل المثال، فقد صارت سوريا اقل احتمالاً أن تدخل فى مغامرة عسكرية ضد أى من جارتيها بعد قيام الوفاق الإسرائيلى التركى. ومع ذلك، فإن أساليب المواجهة التى لا ترقى إلى نشوب حرب على النطاق



الواسع مثل حرب الاستنزاف أو أية أشكال أخرى من الصدام أقل شدة يبقى متاحاً لسوريا. ولو أن الروابط بين أنقرة (والقدس) يمكن أن تعمل على تقليل الميل السورى نحو استخدام هذه الخيارات.

وبنفس الكيفية، فواقع أن الطائرات المقاتلة الإسرائيلية يمكنها التحليق قرب الحدود العراقية والإيرانية، يمكن أن يزيد من قوة الردع الإسرائيلية ضد الهجمات الصاروخية التى يمكن أن تنطلق من هذه الدول. كذلك فإن الفرص المتاحة لسلاح الجو الإسرائيلى للتعامل بفاعلية مع مثل هذه الأسلحة يكون أفضل حينما تكون المسافات فى الضربات الجوية أكثر صغراً. ويستطيع سلاح الجو فى أوقات الأزمات أن يستخدم المجال الجوى التركى لإعادة التزود بالوقود، أو أن ينطلق من القواعد الجوية التركية إلى أى من العراق أو إيران، ومن ثم يقل الوقت الذى يقضيه للوصول إلى الأهداف. والواقع أنه أثناء الأزمة العراقية فى فبراير ١٩٩٨ قال السفير التركى لدى الولايات المتحدة أن تركيا سوف تنظر فى السماح لإسرائيل باستخدام المجال الجوى التركى لعمليات الرد الانتقامى إذا ما عمد العراق إلى شن هجمات صاروخية ضد إسرائيل، كذلك حرية الدخول إلى الأراضى التركية لإنقاذ الطيارين الذين يتم إسقاطهم، وكذلك الحال بالنسبة لنشر قوات الكوماندوز، وأيضاً بالنسبة للطائرات الإسرائيلية المصابة التى تسقط إلى الأرض. وعلى ذلك فيمكن زيادة قوة الردع التركية ضد الهجمات الصاروخية التى تنطلق من العراق أو من إيران بوجود القوات الجوية الإسرائيلية داخل أراضيها.

ومن ناحية أخرى، فإن إمكانيات تزايد حجم التعاون البحرى بين إسرائيل وتركيا يمكن أخذها أيضاً فى الاعتبار. فبالنسبة لإسرائيل، كان البحر من الناحية التقليدية مسرحاً ثانوياً. ولو أن هذا الأمر قد بدأ فى التغير بالنسبة للأراضى التى تم السيطرة عليها فى حرب ١٩٦٧ . وواقع الأمر، فإن الأسطول الإسرائيلى صار يكتسب دوراً أكبر بالنسبة للتحول فى فكرة الدفاع أكبر مما كان عليه الحال فى الماضى. فهناك عدد متزايد من رجال الاستراتيجية الإسرائيلية يعتبرون الجانب الشرقى من البحر المتوسط بمثابة عمق استراتيجى جديد. ويمكن أن يصبح البحر نقطة انطلاق لتوجيه ضربات ذات مدى استراتيجى أطول. وفضلاً عن ذلك، فإن الموانى والمياه التركية يمكن أن تشكل ملاذاً آمناً بالنسبة للغواصات الإسرائيلية للضربة الثانية، والتى يمكن أن يكون لها قيمة للردع ضد أية هجمات نووية ضد إسرائيل.

وهناك مكون إضافى للردع يتمثل فى الإنذار المبكر. فالتعاون المخابراتى بين البلدين من شأنه تقليل الفرص أمام خصومهما لتوجيه هجمات مباغتة ناجحة. لذلك

نرى أن الموقع الجغرافى من ناحية، والمقدرة الفائقة للتنصت الإليكترونى الإسرائيلى يخلق من ناحية أخرى فرصاً متزامنة جيدة لجمع المعلومات. إن الحقيقة المجردة هى أن يعلم الخصوم أنهم تحت المراقبة وبالتالى تصبح عامل كبح للهجوم المباغت، وهذا من شأنه أن يضيف إلى الاستقرار الاستراتيجى.

إن التعاون المخابراتى مع تركيا يكون ذا فائدة إضافية فى ردع الإرهاب الدولى الذى يصيب كلتا الدولتين. وفى زمن يعتبر زمناً للعولمة، يتميز بحرية أكبر للحركة، يكون هناك حاجة أكبر للتعاون فى مجال التخابر من أجل الإعداد لسياسات فعالة مضادة للإرهاب. لذلك، فإن التبادل السريع للمعلومات يزيد من الوقاية ضد الأعمال الإرهابية. ولقد اتضح أول مظهر من مظاهر التعاون الإسرائيلى - التركى فى يونيو ٢٠٠٠، وذلك عندما اشتكت إيران من أن تركيا طلبت إحاطتها علماً بما تحمله الطائرات الإيرانية التى تعبر المجال الجوى التركى وهى فى طريقها إلى سوريا، ومن الواضح إذن أن فى ذلك إشارة إلى المعدات العسكرية التى ترسل إلى حزب الله. ونظراً لأن الولايات المتحدة قد أعدت حملة شاملة ضد الإرهاب (منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١) فإن هذا التعاون قد أصبحت له قيمة كبيرة.

ثالثاً: امتداد نطاق الردع

يمكن أيضاً للشراكة الاستراتيجية بين إسرائيل وتركيا أن تزيد من قوة الردع لدى شريكهما المستتر وهو الأردن. فإذا حاولت أى من سوريا أو العراق أو كلتاهما غزوه، فإن هذه الشراكة تهيئ للأردن حرية أوسع للتعامل مع التحديات المحلية - من جانب الفلسطينيين، أو المتطرفين الإسلاميين ويكون أقل انزعاجاً من التهديدات العسكرية الأجنبية، أو من الأعمال التى تثير الاضطرابات من جانب دمشق أو من بغداد، أو طهران.

رابعاً: توفير قدرات هجومية أكبر

معلوم أن القدرات الدفاعية تتضمن أيضاً إمكانات هجومية فى سياق ما يسمى بدبلوماسية "إملاء الشروط" Coercive Diplomacy، فطبقاً لما يقوله الجنرال شفيق بير، بأن الاتفاق العسكرى بين تركيا وإسرائيل قد مهد السبيل لحل مشكلة الأزمة التركية - السورية فى خريف ١٩٩٨، وعلى نفس الوتيرة كانت تهديدات تركيا بتدمير الصواريخ روسية الصنع من طراز S-300 أرض جو إذا تم نشرها فى قبرص - قد أخذ مأخذ الجد لعلاقة إسرائيل بالموضوع فى جانب منه. غير أن إسرائيل كانت على أية حال معرضة عن الاستفادة من هذا العامل نظراً لعدم موافقة جانب كبير من القيادة الإسرائيلية على استخدام مستويات كبيرة من القوة العسكرية. وفضلاً عن ذلك، فإن إسرائيل كانت أكثر حرصاً عن تركيا لأنها كانت مشتركة فى عملية سلمية مع بعض جيرانها العرب، وكانت تفضل ألا تطرح نفسها بصورة تهديدية من أجل تصحيح التصورات العربية لإسرائيل على أنها دولة عدوانية وتوسعية فى سياق تقدم عملية التفاوض السلمى. وعلى سبيل المثال، فإن فكرة قيام إسرائيل بتهديد سوريا بعمل عسكرى ضد الأهداف السورية فى لبنان من أجل تقليل دعمها لحزب الله بقيت معلقة لزمن طويل (حتى أبريل ٢٠٠١). ولقد امتنعت إسرائيل عن محاكاة المسلك التركى تجاه سوريا رغم حقيقة أن شراكتها مع تركيا كانت تتيح لها حرية أكبر للعمل فى مواجهة دمشق.

وهناك خيار آخر لدبلوماسية إملاء الشروط لم تتبعه كلتا الدولتان، وهو طلب انسحاب القوات السورية من لبنان. وكان هناك وقت مناسب لمحاولة استعادة لبنان لاستقلاله ممثلاً فى الانسحاب الإسرائيلى من جانب واحد من جنوب لبنان فى مايو ٢٠٠٠، الأمر الذى كان يجسد طلبا لبنانياً صريحاً لإنهاء الاحتلال السورى للبنان.

كذلك نجد أن الحملة الأمريكية ضد الإرهاب أتاحت كذلك فرصة للضغط على سوريا (التى تندرج ضمن القائمة الأمريكية للدول الداعمة للإرهاب) لم يتم استغلالها ،وهذا يوضح إعراضا من جانب قوى الوضع القائم Status quo عن استخدام الإمكانات القسرية Coercive المتوافرة لهذا التحالف. وكان يمكن للدولتين التعاون معاً مباشرة للضغط من أجل عدم تشجيع إقامة أو استخدام - أو حتى شن ضربات استباقية فى يوم من الأيام ضد منشآت أسلحة الدمار الشامل فى إيران، أو العراق أو سوريا. ومع ذلك وإلى الآن، فإن تركيا وإسرائيل قد امتنعتا عن القيام بأية تهديدات أو الإشارة إلى وجود تعاون عسكرى فى مثل هذا الظرف، الأمر الذى يشير أيضاً إلى التأكيد على العنصر الدفاعى فى هذه الشراكة الاستراتيجية.

خامساً: ردود الأفعال الإقليمية

قيام تركيا، وإسرائيل بالإعلان عن أن علاقاتهما الثنائية ليست موجهة ضد أى طرف آخر لم تبدد المخاوف من هذه العلاقة. فالدول العربية وإيران كانت لها ردود أفعال سلبية تجاه هذا الوفاق ولم يكن ذلك أمراً مستغرباً. فهذه الدول العربية وإيران تدخل ضمن الإطار العام مع دولتى الحلف بالنسبة للشئون الدولية. وهذا بالتحديد هو الذى جعل هذه العلاقة التركية - الإسرائيلية، يجرى النظر إليها فى إطار يتسم بالتهديد

فى عدد من العواصم العربية، وعلى وجه الخصوص بعد الاتفاق العسكرى لعام ١٩٩٦ بين الدولتين. ولقد سمحت الأردن بصحافتها بانتقاد هذا الوفاق. لكن الحكومة الأردنية كانت غائبة بشكل واضح عن هذه التصريحات. وتبع ذلك تقويم عام لردود الأفعال العربية.

لقد كانت هذه العلاقة مدرجة فى جدول أعمال القمة العربية فى القاهرة فى يونيو ١٩٩٦, واقترحت سوريا إصدار قرار بإدانة تركيا، ولكن تم تخفيف لهجة هذا القرار فأصدرت القمة تصريحاً يدعو أنقرة إلى منع أى تحرش بالدول العربية. وعبرت الجامعة العربية على نحو مستمر عن قلقها إزاء الاتفاقيات التركية - الإسرائيلية، ودعت الأردن إلى الامتناع عن الانضمام إلى هذا الانحياز، وغالباً ما نعتت الصحافة فى كل من العراق، وليبيا، وسوريا هذا التحالف بأنه امتداد للمحاولات الأمريكية لفرض هيمنتها على المنطقة. بيد أن الإسلاميين وصفوا العلاقة بين تركيا العلمانية وإسرائيل اليهودية على إنها بمثابة "حلف غير مقدس" يرمى إلى إيجاد نظام إقليمى يسيطر عليه الغرب وحلفاؤه فى الإقليم. ولم يكن هناك إجماع فى العالم العربى حول كيفية ما يكون عليه رد الفعل، ومن ثم تفاوتت التصورات بين علاقات دافئة مع تركيا، وبين محاولة عزلها، على أن البعض اقترح دق إسفين بين الجماهير التركية المسلمة، والحكومة التركية العلمانية باللجوء إلى التضامن الإسلامى. على أن الآمال التى كانت معلقة على فك هذه الصلة مع إسرائيل قد أصابها الإحباط أثناء فترة تولى نجم الدين أربكان ذى النزعة الإسلامية لرئاسة الوزارة التركية.

وبوجه عام، شعرت الدول العربية بعدم الارتياح للدور الذى تقوم به دولة غير عربية مثل تركيا فى الشرق الأوسط. غير أن هذا القلق كان يسبق الانحياز التركى- الإسرائيلى. أما نظرة تركيا لنفسها على أنها دولة علمانية ديمقراطية وحليف حقيقى للغرب- بافتراض أن هذا النهج يمكن أن يحذو حذوه العالم الإسلامى- يختلف اختلافاً بيناً عن الموقف العربى تجاه الإسلام، وزرع الشك تجاه الغرب. وحين تعود إلى الذهن أحلام الإمبراطورية العثمانية، فإن النشاط الذى صارت تمارسه تركيا فى التسعينيات قد جاء تصوره فى كثير من الأوساط العربية على أنه بمثابة العودة إلى القوة الاستعمارية. وفى مجال النقاش السياسى فى الأوساط العربية، فإن عودة تركيا إلى الشرق الأوسط كان يشار إليه على أنه "العثمانية الجديدة" أو "الاستعمار التركى الجديد"، أو "الطورانية"، والواقع هو أن العرب كانوا معرضين عن قبول الطرح التركى الذى بدأ فى أول الأمر عام ١٩٨٦ ممثلاً فى أنبوب السلام "لنقل المياه التركية جنوباً إلى المناطق القاحلة فى الشرق الأوسط.

ويأتى مشابها لذلك، أن الدول العربية كانت لا تثق فى العروض التى قدمتها تركيا لأن تلعب دوراً منسقاً فى محادثات السلام العربية- الإسرائيلية. فكل من تركيا وإسرائيل (وإيران أيضاً) لا يزال يجرى النظر إليهم فى كثير من الأوساط العربية كدخلاء على الشرق الأوسط العربى. وطبقاً لما يقول أحد الاستراتيجيين المصريين" إن كلتا الدولتين تشتركان فى خواص أنهما عنصر غريب بالنسبة للأحوال العرقية والثقافية".

سادساً: تأثير الشراكة التركية- الإسرائيلية على سوريا

تعتبر سوريا أكثر الدول العربية تأثراً بهذا التحالف الإسرائيلى- التركى. وقد صورته على لسان أجهزتها الرسمية بأنه موجه ضد الأمة العربية، وضد مصالحها، وكذلك ضد الدول الإسلامية المضادة لإسرائيل". وطبقاً لما قاله عبد الحليم خدام نائب الرئيس السورى عن الشراكة التركية- الإسرائيلية "بأنها أكبر التهديدات للعرب منذ ١٩٤٨"، وإن التحالف التركى- الإسرائيلى. مع الولايات المتحدة "هو أخطر تحالف واجهناه منذ الحرب العالمية الثانية". أما وزير الإعلام السورى محمد سلمان، فإنه يرى فى التدريبات البحرية الإسرائيلية- التركية- الأمريكية فى يناير ١٩٩٨ أنها بمثابة استعراض للقوة يعيد إلى الأذهان مناخ الحرب فى المنطقة. ونحت الحكومة السورية باللائمة على التعاون التركى -الإسرائيلى بالتحرش على شمال العراق، وكذلك التصعيد الذى حدث فى الضغط التركى على سوريا الذى أدى إلى الانصياع للمطالب التركية.

سابعاً: انعكاسات الشراكة الإسرائيلية- التركية على مصر

لقد كان رد الفعل المصرى إزاء الشراكة العسكرية الإسرائيلية التركية بمثابة انزعاج كبير، فلقد حذر أسامة الباز أحد مستشارى الرئيس حسنى مبارك من أن هذا التعاون العسكرى "سوف يؤدى إلى عدم الاستقرار، وربما الحرب فى الشرق الأوسط". وقال "إن هذا التحالف التركى- الإسرائيلى سوف يؤدى إلى "تهديد مصالح الدول العربية". ونعتت مصر هذه الاتفاقيات العسكرية بأنها "خطيرة، وأنها تهديد لأمن المنطقة".

ورغم أن هناك اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل، فإن مصر لاتزال ترى فى إسرائيل المنافس الإقليمى

لها، ولا تستبعد أن يكون هناك مجابهة عسكرية. وتخشى مصر أن تفوق إسرائيل فى المنطقة سوف يجرى إكماله بسيطرة اقتصادية إسرائيلية. كذلك شعرت مصر بأن وضعها القيادى فى المنطقة قد أصابه التهديد، خصوصاً أن منافسيها وهما العراق وسوريا قد انعزلتا وأصبحتا ضعيفتين. ونظراً لأن مصر تواجه صعوبات فى معالجة مشكلاتها الاقتصادية، فإنها صارت تخشى تهميشها فى المنطقة التى تأمل فى أخذ موقع الريادة فيها حين يتعلق الأمر بمواجهة الكتلة الأكثر قوة من الناحيتين، العسكرية والاقتصادية ممثلاً ذلك فى هذا الوفاق التركى- الإسرائيلى.

ثامناً: انعكاس الشراكة على العراق

لقد انضمت العراق إلى ركب الصيحة العربية ضد الشراكة الإسرائيلية- التركية. وعلى سبيل المثال، فإن وزير الخارجية العراقية (الأسبق) محمد سعيد الصحاف أدان المناورات البحرية فى يناير ١٩٩٨ حينذاك ونعتها بأنها "عمل استفزازى ضد الأمة العربية". أما المتحدثون الرسميون فقد انتقدوا علاقة تركيا بإسرائيل، وطالبوا أنقرة بألا تقوم بخدمة مصالح التحالف الأمريكى- الصهيونى. ولطالما كانت العراق تخشى التوسع التركى وعينه على منطقة الموصل الغنية بالنفط.

تاسعاً: انعكاس الشراكة على إيران

لقد عارضت الجمهورية الإسلامية بشدة هذا الوفاق بين أنقرة و(القدس). خاصة بسبب عدائها المطلق لإسرائيل من ناحية، وتحالفها مع سوريا من ناحية أخرى. ومعارضتها لأى بلد يقوم بتحسين علاقاته مع إسرائيل، خاصة إذا كان هذا البلد مسلماً. وقد قال وزير خارجيتها فى هذا الوقت. على أكبر ولايتى فى أبريل ١٩٩٦ " لقد قلتها صراحة" للمسئولين الأتراك" أن علينا أن نوقف أى عمل من شأنه أن يمنح لإسرائيل مزيداً من القوة". وقال مسئولو وزارة الخارجية الإيرانية بأن المناورات البحرية التى تمت فى يناير ١٩٩٨ بين إسرائيل وتركيا، والولايات المتحدة سوف تزيد من فرص وجود أزمة فى المنطقة". وأنها تهدف إلى زيادة نفوذ إسرائيل" أما الرئيس خاتمى فقد أدان التقارب التركى مع إسرائيل، والذى من شأنه فى رأيه" أن يستفز مشاعر العالم الإسلامى". إن انحياز تركيا إلى جانب إسرائيل أصبح على هذا النحو يشكل مزيداً من التوتر فى العلاقات بين أنقرة وطهران.

عاشراً: السعى لإنشاء تحالف مضاد

لقد كانت سوريا أكثر الأطراف نشاطاً فى تكثيف الانتقاد العربى للروابط التركية- الإسرائيلية، وفى محاولة منها لتكوين تحالف مضاد. وعلى سبيل المثال، فى يونيو ١٩٩٧ اجتمع محفل فى دمشق (مكون من مصر وسوريا، ودول الخليج)، وأصدر بياناً يطلب فيه من تركيا الحيطة فى علاقاتها مع إسرائيل، وأن تستأنف صلاتها مع جيرانها العرب.

ولقد تغاضى حافظ الأسد عن عداته التقليدية مع صدام حسين، ومع فرع حزب البعث فى العراق، وعمل على تحسين علاقته مع العراق. وفى ١٩٩٧ فتحت سوريا حدودها مع العراق لأول مرة منذ ١٩٨٠، وتبادل البلدان وفوداً تجارية، وافتتحا طرقاً ومحطات للأوتوبيس بين العاصمتين، وأغلق كل منهما المحطات الإذاعية التى كانت تبث دعايات مضادة لكلا النظامين. وقامت دمشق باستضافة لجنة ثنائية حول مياه دجلة والفرات من أجل تنسيق العمل ضد سياسات تركيا فى هذا المجال، تلك السياسات التى من شأنها إلحاق الضرر بكلا البلدين. وكذلك جعلت سوريا من نفسها أرضاً للعبور Transit، وسمحت سوريا بافتتاح مكتب للمصالح العراقية فى عاصمتها، وتبع ذلك تبادل الزيارات الرسمية على أعلى المستويات.

كذلك سعى نظام حزب البعث السورى إلى إيجاد تحالف بين كثير من الحركات الإسلامية- غير السورية، وذلك بتعزيز موقفها فى المنطقة، كما صارت تسعى للحصول على أوراق ضغط لصالحها فى الدول العربية، وأن تعمل على تجديد المعارضة الإسلامية فى سوريا. واستعانت سوريا بمؤتمر القمة الإسلامية الذى انعقد فى طهران فى ديسمبر ١٩٩٧ من أجل عزل تركيا. بيد أن مسودة القرار الصادر عن القمة بإدانة الروابط مع إسرائيل جرى تخفيفه من جانب وزراء الخارجية بحيث لا يغضب تركيا، ولكن هذا التخفيف أيضاً لم يكن كافياً للحيلولة دون خروج الرئيس التركى سليمان ديميريل ومغادرته القمة غاضباً.

كذلك نجد أن هذا الانحياز الإسرائيلى- التركى عزز العلاقة الاستراتيجية بين دمشق وطهرن، والتى قد بدأت أساساً فى مستهل الثمانينيات كرد فعل لقيام العراق بغزو إيران. ومنذ ذلك الحين، قامت سوريا وإيران بتنسيق سياساتهما إزاء الشئون الإقليمية. وعلى سبيل المثال، قامت سوريا بإغلاق أنبوب النفط الذى يمر عبر أراضيها ممتداً من العراق، ودعمت حزب الله. وكان البلدان يريدان تحجيم النفوذ الأمريكى فى الشرق الأوسط بعد انتصارها فى حرب الخليج ١٩٩١.

وفضلاً عما تقدم، فأنهما كان يخشيان مما ينطوى عليه الهجوم الأمريكى على أفغانستان بالنسبة لأمنهما القومى.

وقامت مصر بدعم الموقف السورى تجاه إسرائيل،

وعبرت عن مخاوفها تجاه سياسة تركيا للمياه، بالنظر لأن مصر ذاتها دولة مشاطئة من دول المصب بالنسبة لنهر النيل. وبالإضافة إلى ذلك، فإن صدعاً أصاب العلاقات بين مصر وإيران. ففي الماضي وفرت مصر ملاذاً للشاه بعد طرده من جانب الثورة الإسلامية. وفي حين قامت إيران الإسلامية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع مصر بسبب عقدها معاهدة سلام مع إسرائيل، فإن طهران هاجمت التوجه المصري الموالي للولايات المتحدة في حين واجهت معركة محلية من المتطرفين الإسلاميين الذين يرون أن إيران هي مثلهم الأعلى.

غير أن هذا التوتر في العلاقات قلت حدته في مايو ١٩٩٧ حينما قام وزير الخارجية الإيرانية على أكبر ولايتي بزيارته التاريخية للقاهرة، مما جعل مبارك يعلن عن نيته لحضور مؤتمر القمة الإسلامية في طهران في أواخر ذلك العام.

ويرجع هذا التحسن في العلاقات إلى الرئيس الإيراني الأكثر اعتدالاً محمد خاتمي الذي أتاح للبلدين انفراجاً في العلاقات بسبب إعادة جدولة الدين المصري لإيران والذي كان عليها قبل الثورة الإسلامية. وفي يونيو ٢٠٠٠ دعمت مصر طلب إيران الانضمام إلى مجموعة الخمس عشرة (وهي مجموعة دول العالم الثالث). وكان هذا التحرك المصري موازياً لتقارب سعودي مع إيران كان يحركه في الأساس كمحاولة لجعل إيران بمثابة ثقل موازن للعراق في الخليج.

ومع ذلك، فإن تكوين معادل إقليمي مضاد للتحالف التركي- الإسرائيلي لم ير النور. فالمصالح المتضاربة بين العراق وإيران، وكذلك آثار الحرب الطويلة بينهما(١٩٨٠-١٩٨٨)، وكذلك التنافس العراقي- السوري، قد حال دون إقامة تحالف مضاد للتحالف العسكري التركي- الإسرائيلي- بل أنه حتى تسبب في وضع محددات على العمل المنسق ضد هذا التحالف التركي- الإسرائيلي.

وهذا الانحياز كان يحتل من جهة أخرى اهتماماً ثانوياً فقط بالنسبة للعراق وإيران، فقد بقيت إسرائيل عدواً قويت شوكته أيضاً بروابطه مع أنقرة. ولكن العلاقة مع تركيا ظلت أقل وضوحاً، ولقد كان أهم ما يشغل بال العراق هو كسر القيود التي كبلته بعد حرب الخليج. ولقد أمكنه أن يتخلص من التفتيش من جانب الأمم المتحدة لأسباب عملية، كما أنه استطاع إلغاء الحدود التي فرضتها الأمم المتحدة بالنسبة لمبيعات النفط. وبقي العراق يطالب بالمزيد من المياه من نهر الفرات، ويعارض التحرشات العسكرية في الشمال لمطاردة حزب العمال الكردستاني.

وصارت برامج أسلحة الدمار الشامل تهدد تركيا. ومع ذلك كان لدى العراق الحافز ألا يكسب عداء تركيا بقدر كبير، لأن أنقرة كانت تؤيد امتداد سيادة العراق سعياً منها لكي تفوز بعمليات اقتصادية مربحة داخل العراق، كذلك كانت تدعم رفع العقوبات الدولية عن العراق إن هي استجابت لشروط الأمم المتحدة.

وكذلك كانت إيران تفضل منع تصاعد التوتر في علاقاتها مع أنقرة بصرف النظر عن بعض التوتر حينما اتهمت تركيا إيران بدعم الإسلاميين المتطرفين، والسماح لحزب العمال الكردستاني باستخدام أراضيها، الأمر الذي أدى إلى وقوع أحداث عنف على الحدود (في يوليو ١٩٩٩). وفضلاً عن ذلك، فإن السياسة الخارجية لإيران كانت تتجه بدرجة أكبر نحو الشرق تجاه أفغانستان وباكستان.

وعلى ذلك، فإن سوريا لم تكن تتوقع الحصول على أية مساعدة عسكرية خارجية في مجابهة لها مع تركيا، على الرغم من أن إيران وعدداً من الدول العربية كان يمكن أن تقدم دعماً دبلوماسياً. وقد جعلت الشراكة الإسرائيلية- التركية سوريا تقوي علاقاتها بدرجة أكبر مع كل من أرمينيا واليونان (وكلاهما تحتفظان لتركيا ببغض تاريخي)، وأن تعمل على الربط بينهما وبين إيران. وعلى أية حال، فإنه بحلول نهاية التسعينيات، فإن كلاً من أرمينيا. واليونان قد غيرت اتجاهها بحثاً عن علاقات أفضل مع تركيا وإسرائيل.

أما بالنسبة لمصر، فإنها كانت محكومة أيضاً في انضمامها إلى تحالف مضاد لتركيا بحاجتها إلى الدعم الأمريكي، الأمر الذي صار مهدداً لدخول مصر في تحالف مضاد لحلفاء الولايات المتحدة في المنطقة. والواقع، أن مصر قد امتنعت عن الوقوف إلى جانب دمشق في أزمة أكتوبر ١٩٩٨، وحاولت القيام بدور الوساطة. والواقع أيضاً هو أن مصر قد تحققت بأن الانحياز لم يكن تهديداً مباشراً لأمنها القومي، ولكنها كانت تريد عدم تشجيعه فقط من منطلق أنه يقلل من قوة مصر الإقليمية. ولهذا السبب فإن مصر كانت تريد أن تبعد كلاً من إسرائيل وتركيا من أية ترتيبات أمنية إقليمية، والتي كانت تفضل أن تكون هذه الترتيبات غربية خالصة.

حادي عشر: روابط الأردن بالوفاق

كانت المملكة الهاشمية في الأردن هي الدولة العربية الوحيدة التي يبدو أنها قد انضمت - ولو بشكل غير رسمي- إلى الشراكة الإسرائيلية- التركية. إن الموقع الجغرافي للأردن، وخوفها من جيرانها قد أجبر حكامها على الدخول بطريقة مستمرة في تحالفات المرة بعد الأخرى مع القوى الإقليمية. وهناك عناصر

مشتركة فى أمن الأردن وإسرائيل استدعت وجود صيغة من التعايش بين الطرفين. فمن الناحية التاريخية كان البلدان يخشيان الأمور التى تثير الاضطرابات من جانب التطرف العربى من ناحية، والقومية الفلسطينية من ناحية أخرى. وبالنسبة للدولة اليهودية، فإن مطالبة الفلسطينيين بوطنهم أصبحت مدعاة لصراع مستديم. أما بالنسبة للأردن فالغالبية منهم من أصول فلسطينية بما لا يجعلهم يدينون بالولاء للأسرة الهاشمية. ورغم ما قدمته الأردن من خدمات للقضية الفلسطينية فقد ظلت الأردن تنظر إلى القضية الفلسطينية بمثابة تحد داخلى يتطلب اتباع سياسة محلية وخارجية تتسم بقدر كبير من الحرص.

وتريد (القدس) أردنا هادئاً، قادراً على تحمل الضغوط من جيران للأردن أكثر قوة مثل العراق وسوريا يرغبون فى هزيمته لتمركز قواتهم فوق أرضه والتدخل فى شئونه. ومن ناحية أخرى فإن عمان ترى فى إسرائيل ثقلاً موازياً لمواجهة الضغط عليها من جانب دول كثيرة عربية أكثر قوة. وهناك واقعة مهمة حين كانت التهديدات الإسرائيلية قد حالت فى سبتمبر ١٩٧٠ بين سوريا وبين قيامها بغزو الأردن، الأمر الذى كان سيساعد الجماعات الفلسطينية المسلحة على الإطاحة بالملك حسين. كذلك نجد سوريا والأردن قد اقتربتا من حدوث مواجهة عسكرية بينهما فى نهاية ١٩٨٠, لذلك فإن الشكوك المتبادلة ظلت عنصراً مهماً بالنسبة لعلاقتهما الثنائية. وهى مشاعر مشتركة تشعر بها كل من إسرائيل وتركيا تجاه سوريا. وتعتبر معاهدة السلام المبرمة بين الأردن وإسرائيل ١٩٩٤، والعلاقات القوية لكل منهما بالولايات المتحدة هى عنصر آخر مهم فى العلاقات الطيبة بين الأردن وإسرائيل.

والواقع أن الأردن الموالى للغرب، قد عمل على وجود علاقات طيبة مع تركيا على مدار عقود من الزمن وهو ما دفع الأردن إلى قبول التحالف الإسرائيلى- التركى فى التسعينيات، وقد وصف السفير الأردنى لدى الأمم المتحدة عدنان أبو عودة تركيا على أنها دولة من دول الشرق الأوسط، ورحب بتدخلها فى الشئون الإقليمية.

وبالنسبة للأردن، فإن الشرق الأوسط الذى يستثنى وجود تركيا وإسرائيل من هذه الوحدة الجغرافية "يعتبر أمراً غير معقول". وعلى نقيض ما هو سائد فى الموقف العربى، فإن وزير الخارجية الأردنية جواد عنانى قال "إنه يمكن لتركيا أن تلعب دوراً مهماً فى التوسط فى العملية السلمية فى الشرق الأوسط، وقد قال ملك الأردن عبد الله الثانى فى مارس ٢٠٠٠ إن لتركيا دوراً مهماً فى المنطقة.

وبالتوازى مع نمو العلاقات التركية- الإسرائيلية، فإن التعاون بين تركيا والأردن فى المجال العسكرى قد زاد أيضا فى التسعينيات، بما فى ذلك الزيارات المتبادلة على أعلى المستويات بين كبار العسكريين. وكذلك تم إيجاد خطوط تليفونية ساخنة بين القادة العسكريين، فضلاً عن تبادل التدريبات بين القوات، واستخدام المجال الجوى لكلا البلدين للتدريب والمناورات المشتركة. كذلك نجد أن الطيارين الذين يقودون الطائرات الأمريكية الصنع من طراز F16 يتلقون تدريبات بصفة جزئية فى تركيا. وفى عام ١٩٩٨ قام الجيشان بتدريبات للمشاة فى الأردن. وقد قام الملك حسين بمنح الجنرال "شفيق بير" ميدالية الاستحقاق لإسهاماته فى تطوير هذه العلاقات ويعتبر شفيق بير من ناحية أخرى شخصية رئيسية فى التعاون الإسرائيلى- التركى فى شئون الدفاع.

وفى منتصف التسعينيات، كانت هناك اتصالات ثلاثية. وفى يونيو ١٩٩٦ قال رئيس السلاح الجوى الأردنى حين كان موجوداً فى أنقرة أن بلاده تريد الانضمام إلى تدريبات عسكرية مع تركيا وإسرائيل. ورغم المعارضة المحلية، والضغوط من جانب الأوساط العربية وإيران للتخلى عن هذا، فإن الأردن أرسلت مراقباً لحضور المناورات البحرية التركية- الأمريكية- الإسرائيلية فى يناير ١٩٩٨، وفى ديسمبر ١٩٩٩, كذلك نجد الأردن قد شاركت فى المناقشات الاستراتيجية نصف السنوية التى يجرى عقدها فى إسرائيل. وهناك تعاون متنامى بين الجيوش الثلاثة على مختلف المستويات. وفى مايو ٢٠٠٠ تمت دعوة المراقبين فى قوة الدفاع الإسرائيلية لمشاهدة القوات التركية والأردنية وهى تقوم بأداء التدريبات القتالية. كذلك اشتركت القوات البرية للدول الثلاث فى مناورات مشتركة والتى جرى تسميتها رسمياً بأنها "عمليات حفظ السلام": Peace- Keeping Operations.

وكانت عمان – قبل أنقرة– تأمل فى أن ترى إسرائيل وقد نشرت بطاريات أنظمة صواريخ Arrowوتهتمان بموضوع نشر الصواريخ. وكانت الأردن مثلها مثل تركيا تتعاون مع إسرائيل فى مجال التخابر لمكافحة الإرهاب، ولها علاقات وثيقة مع مختلف الوكالات الدفاعية الإسرائيلية. كذلك فإن كلاً من تركيا والأردن تتبادلان المعلومات فى إطار جهودهما لاحتواء الجماعات الإرهابية الإسلامية التى تتلقى العون من طهران.

ومن أجل أن تخفف عمان معارضة اشتراكها فى الانحياز الإسرائيلى – التركى فى الخارج وفى الداخل، فإنها فضلت الاحتفاظ بنمط مخفف من العلاقات

الثلاثية. وحاولت الأردن إسكات الانتقاد العربى والإسلامى للتقارب التركى مع إسرائيل فى الاجتماعات العربية والإسلامية. ورغم الاستياء العام لدى العرب، فقد استمرت علاقات الأردن مع كل من إسرائيل وتركيا مستمرة.

ثانى عشر: جوانب أخرى لانعكاس الشراكة على الصعيد الإقليمى:

بوجه عام، فإن علاقات تركيا مع إسرائيل عملت على تقوية روابطها فى الشرق الأوسط، وأكدت ذاتها فى المنطقة. وعلى ذلك فهذه العلاقات لها مضامين أخرى إقليمية كما يلى:

(أ) تقوية عملية السلام:

لقد عززت العلاقات التركية - الإسرائيلية عملية السلام العربية - الإسرائيلية حين كان أغلبية العرب يعرضون عن قبول إسرائيل كلاعب إقليمى. ومعلوم أن هذه العملية بدأت تاريخياً فى السبعينيات من جانب مصر بعد سلسلة الهزائم العسكرية المتوالية(١٩٤٨،١٩٦٧). وكان ذلك نتيجة إدراك متنام من جانب القادة السياسيين العرب بأن إسرائيل قد أصبحت حقيقة واقعة، وأنها أصبحت من القوة بحيث لا يمكن إزالتها فى المستقبل المنظور. كذلك كانت القوة العسكرية المستمرة لإسرائيل عبر عدة عقود، بالإضافة إلى خيارها النووى قد ضخ كثيراً من التحقق فى العقلية السياسية العربية، الأمر الذى تمحور نحو مائدة التفاوض. كذلك فإن ظهور التحالف الإسرائيلى - الأمريكى، وخروج الولايات المتحدة منتصرة فى الحرب الباردة أعطى مزيداً من القوة لإسرائيل فى مواجهة العرب. ومع ذلك، فإن التحسن فى العلاقات بين إسرائيل وجيرانها العرب ليس أمراً تاريخياً حاسماً. فقد أثبتت الأحداث أن التقدم فى هذا السياق يمكن أن يتوقف، وأن هذا الاتجاه قابل للارتداد العكسى، إذا ما تغيرت معادلة القوة. فالعلاقات الجديدة بين إسرائيل وتركيا فى النصف الثانى من التسعينيات أكدت الظن أن إسرائيل قد أصبحت قوة عسكرية بحيث لا يتسنى إزالتها بسهولة من على الخريطة. فالعلاقات الاقتصادية والعسكرية بين إسرائيل وتركيا قد جمعت الحليفين الأكثر قوة فى المنطقة مما أضاف مزيداً من القوة فى وضع إسرائيل "كلاعب" قوى فى المنطقة. وإذا ما استمرت هذه العلاقة، فلسوف يكون لها تأثير على الطموحات العربية، كما أن العداوة تجاه إسرائيل مع ذلك لا تزال حية جداً فى المنطقة. وفى هذا السياق، فإن هذا الوفاق بين تركيا وإسرائيل سوف يضيف إلى عملية السلام، وإلى عملية الاستقرار الإقليمى.

كذلك فإن الصداقة بين الدولة اليهودية، وبين دولة مهمة بهذا العدد الكبير من المسلمين مثل تركيا يقلل أيضاً من الرفض الإسلامى بالنسبة للصراع العربى - الإسرائيلى، مما جعل علاقات إسرائيل بإندونيسيا، والنيجر، ودول المغرب والخليج، ودول حوض بحر قزوين تتحسن خلال التسعينيات. إن المثال التركى يجعل العلاقات مع إسرائيل أكثر قبولاً فى الدول الإسلامية فى الشرق الأوسط وفى أى مكان آخر.

(ب) أمن الطاقة

تقع تركيا على طرف منطقتى الخليج (الفارسى)، وبحر قزوين حيث تضم هذه المنطقة ٧٠ بالمائة من احتياطى النفط المؤكد، وما يزيد على ٤٠ بالمائة من احتياطى الغاز الطبيعى. والجزء الأكبر من هذه المنطقة يقع على بعد ١٠٠٠ كيلو متر من "أنجرليك" تلك القاعدة العسكرية التركية التى تستخدمها القوات الأمريكية. إن نشر القوة من شرقى البحر المتوسط إلى بغداد، وليس بالأحرى من السعودية تتضمن عدداً من المزايا. وما يطلق عليه "الاستراتيجية الشمالية" بالنسبة لحماية الخليج (الفارسى) يمكن أن يجعل كلاً من الولايات المتحدة، وتركيا، والأردن، وإسرائيل معاً أكثر قرباً. ولا تعارض بعض دول الخليج مثل قطر وعمان أى دور تركى - إسرائيلى لمواجهة وزن كل من العراق، وإيران، والسعودية فى المنطقة.

وعلى وجه العموم، فإن الوجود التركى المتنامى فى الشرق الأوسط، ووجود قبول أكثر على المدى الطويل لإسرائيل كفاعل منتظم فى المنطقة بسبب العملية السلمية، يوفر لدول الخليج بدائل إضافية بالنسبة لعامل التوازن الذى كانوا يمارسونه لعدد من السنين. فالأردن قد حسن علاقاته مع دول الخليج العربية مما يجعل مثلث تركيا، إسرائيل، الأردن أقل رفضاً من جانبهم.

وعلى الرغم من أن الأهمية الحقيقية لمصادر الطاقة فى بحر قزوين ليست واضحة تماماً حتى الآن، فإن تركيا لا تزال تخطط لأن تكون بمثابة محور طرق الطاقة من آسيا الوسطى إلى الغرب، وعلى وجه الخصوص، فإنها تود أن ترى خط أنابيب "باكو - جيهان" قد تم بناؤه، وهو الخط الذى ينقل النفط القادم من أذربيجان إلى الميناء التركى "جيهان" على البحر المتوسط. وكذلك خط أنابيب Trans - Caspain للغاز الطبيعى قد تم بناؤه وهو الذى ينقل غاز تركمانستان مباشرة إلى تركيا. إن هذه الطرق التى جرى تخطيطها لكل الأنبوبين لنقل النفط والغاز سوف يؤديان هذا الغرض، ويتفاديان المرور بالأراضى الروسية، وإن الاعتراضات التركية حول الزحام فى

عمليات المرور فى مضايق البسفور المكتظة أصلا يعزز الحكمة من استبعاد روسيا من عمليات الترانزيت فى نقل الطاقة من قزوين. كما أن الاعتبارات "الإيكولوجية"، وكذلك الاعتبارات الاقتصادية ليست فى حقيقة الأمر إلا عوامل ثانوية، بالنظر إلى أن تركيا ترى الأنابيب فى المقام الأول من منظور "جيوبوليتيكى" بما يحقق لها وضعاً مميزاً فى المنطقة.

ولسوف يعمل تنفيذ هذين المشروعين لنقل الطاقة على تقليل اعتماد جمهوريات آسيا الوسطى على موسكو وطهران اللذين يناهضان آمال تركيا بالنسبة للطاقة. كذلك نجد إسرائيل واللوبى التابع لها قد عملوا على الإقناع بالنسبة للمنطق الاستراتيجى بخط أنابيب "باكو - جيهان"، ودعموا الموقف التركى فى واشنطن رغم أن موقع الأنابيب لا يحظى بحسابات اقتصادية مؤكدة، ولكن بتهيئة المناخ السياسى له فى واشنطن.

(ج) الأوضاع الاستراتيجية فى شرق المتوسط:

نجد أن وجود شواطئ مشتركة فى شرق المتوسط لكل من إسرائيل وتركيا فى ظل الشراكة بينهما يزيد الأمن فى هذه المنطقة أيضاً، خاصة فيما يتعلق باليونان وقبرص، نظراً لأن اليونان كانت تاريخياً معارضة لتركيا فى عدد من الأمور، فهى لم تكن توافق على تقوية تركيا بسبب علاقاتها العسكرية مع إسرائيل. وكانت اليونان عادة ما تقف موقف التأييد للعرب، ولم توافق على وجود علاقات دبلوماسية كاملة لها مع إسرائيل إلا فى مايو ١٩٩٠، وكانت تفضل علاقات أوثق مع سوريا والأردن. وفى فبراير ١٩٩٨ نعت وزير الخارجية اليونانية تيودورس بنجالوس العلاقات الإسرائيلية - التركية بأنها "تحالف للأشرار an alliance of wrongdoers" وأنه "تهديد لأمن المنطقة". وفى سبتمبر ١٩٩٨ شارك "بنجالوس" فى قمة ثلاثية لوزراء خارجية اليونان، وإيران، وأرمينيا فى طهران. وكانت قبرص منزعجة من الانحياز التركى - الإسرائيلى، وإن كانت هناك استراتيجية للحصار ضد تركيا فقد أخفقت، وانحنت سوريا أمام ضغط القوة التركى وإصراره فى أكتوبر ١٩٩٨، ومن جهة أخرى فإن كلاً من اليونان وقبرص تم خضوعهما كذلك حيث أعرضا عن نشر الصواريخ الروسية الصنع S - 300 بعد شهرين.

هذه التطورات - إلى جانب عوامل أخرى - أدت إلى تقويم استراتيجى جديد فى أثينا. ونظراً لأن كلاً من اليونان وتركيا قد ضرب كلاً منهما زلزال شديد فى أغسطس، وسبتمبر ١٩٩٩ على التوالى، فقد أرسلت كل منهما المعونات للأخرى وقت شدته مما بشر بعهد جديد من العلاقات. ومثل هذا التقارب وصفه وزير الخارجية اليونانية جورج بابا ندريو بأن ربط تركيا بأوروبا سوف يخدم الأمن القومى اليونانى. وهنا سحبت اليونان اعتراضها الذى استمر طويلا على انضمام تركيا لعضوية الاتحاد الأوروبى، الأمر الذى جعل تركيا تحظى بالترشيح للعضوية فى ديسمبر ١٩٩٩ مما تولد عنه جو أفضل بين الدولتين. وفى يناير ٢٠٠٠ قام وزير الخارجية اليونانية باباندريو بزيارة تاريخية إلى أنقرة - كانت أول زيارة لوزير خارجية يونانى يقوم بها لأنقرة منذ ١٩٦٢، وتباحث الطرفان حول مختلف احتمالات التعاون بين البلدين. وفى يونيو ٢٠٠٠ قام حلف "الناتو" بتدريبات سميت (Dynamic Mix) على الأراضى اليونانية وشاركت فيها كتيبة عسكرية تركية للمرة الأولى.

ويعتبر جانباً من جوانب السياسة اليونانية الجديدة تجاه تركيا هو السعى إلى إيجاد علاقة أفضل مع إسرائيل. وفى شكل من أشكال التحول من البرود التاريخى الذى اتسمت به العلاقات بين اثينا وإسرائيل، أن صارت اليونان تدعو إسرائيل إلى البدء فى عهد جديد من التعاون - بما فى ذلك شراكة أمنية ترمى إلى الحفاظ على الاستقرار الإقليمى. وهناك مؤشرات بأن شكوك اليونان حول مرامى العلاقات التركية - الإسرائيلية قد حل محلها اتجاه أكثر سلاسة بقبول هذه العلاقة. ففى مايو ٢٠٠٠ قام الرئيس اليونانى كونستانتينوس ستيفانوبولس بأول زيارة رسمية لإسرائيل عبر فيها عن أمله فى إيجاد زيادة فى التعاون العسكرى، وتحسين فى العلاقات الاقتصادية والثقافية بين البلدين. وفضلاً عن ذلك، فإن "باباندريو" لم يستبعد قيام مثلث استراتيجى يجمع بين اليونان، وإسرائيل، وتركيا.

على أن آفاق التعاون بين اليونان، وتركيا، وإسرائيل لو تمت ولو حتى على صعيد ثنائى، فإن ذلك سوف يساعد حلف الناتو على مد ذراعة حتى شرق المتوسط، وهى منطقة ذات أهمية متزايدة بالنسبة لهذا الحلف. ومن الواضح أن تركيا وإسرائيل مهتمتان بوجود تفاهم يونانى - تركى حول قبرص، الأمر الذى يؤدى إلى انضمام الجزيرة إلى الاتحاد الأوروبى، وربما أيضاً إلى حلف الناتو مما يجعل أوروبا أكثر اقتراباً من إسرائيل.

(د) أثر التحالف على المصالح الأمريكية الإقليمية:

لم تقم الولايات المتحدة بالمبادأة أساساً فى هذا التعاون المتزايد بين حليفتيها كما يقول "بير" بصدق: "إن المبادات كانت من القيادة التركية". ولقد وجد صناع السياسة فى الولايات المتحدة أن هذا التقارب جذاب لديهم. وفى حين عبر العالم العربى عن قلقه

إزاء الاتفاق العسكرى الثنائى فى فبراير ١٩٩٦، فإن الولايات المتحدة رحبت به على اعتبار أنه "يساعد على الاستقرار فى المنطقة". وأنه كذلك، أمر جيد لتثبيت الأمن فى المنطقة". وفى مايو ١٩٩٧ وصفت وزارة الخارجية الأمريكية هذه الروابط الإسرائيلية - التركية بأنها "هدف استراتيجى"، وأضافت "إنه إذا كان عدد من الدول العربية لا يريدون ذلك، فإن ذلك يعتبر ضرباً من الجمود". ولذلك، فإن الولايات المتحدة لم تمتنع عن المشاركة فى المناورات البحرية التى تمت بالمشاركة من جانب الدولتين. وفى يونيو ٢٠٠١ اشتركت الولايات المتحدة فى تدريبات جوية كبرى شملت الدول الثلاث، حيث شارك عشرات من الطيارين الأمريكيين، والإسرائيليين والأتراك فى مناورات للمعارك والهجمات على الأرض فى وسط تركيا.

وتعتبر تركيا وإسرائيل هما الأقوى فى المنطقة وهما الحليفين اللذين يمكن للولايات المتحدة الاعتماد عليهما فى الشرق الأوسط، كما أن الشراكة بينهما تفيد المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة، بما فى ذلك تلك الأهداف الأخرى من أمثال احتواء كل من إيران والعراق، فضلاً عن الحفاظ على الأردن الموالية للغرب. وهما مفيدتان سواء على وجه منفرد أو على وجه جماعى، وذلك لصد العدوان فى المناطق المجاورة لهما، وهو هدف تشارك فيه الولايات المتحدة وكذلك، فإن هذا الانحياز الجديد يفتح الباب أمام إمكانيات توسع إقليمى أكبر فى سلسلة من المواقع الاستراتيجية، بما فى ذلك تكوين درع ضد الصواريخ بعيدة المدى. وعلى هذا النحو، فإن وزير الدفاع الأمريكى (السابق) وليام كوهين صرح بقوله: "أنه سوف يستمر فى التأكيد على الحاجة لمزيد من التعاون بين إسرائيل وتركيا والأردن وزيادة مستوى ترتيبات الأمن فى المنطقة".

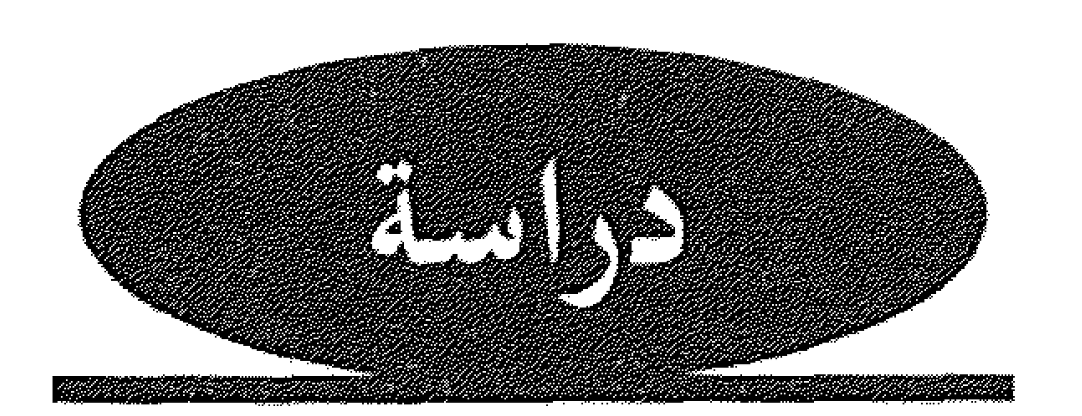
ومن ناحية أخرى، فإن روابط تركيا مع إسرائيل واللوبى التابع لإسرائيل فى واشنطن قد عملت على تحديد الضوابط المحلية على قيام الولايات المتحدة بتقديم دعمها لتركيا. وفضلاً عن ذلك، فإن تركيا يمكن أن تزيد من قدرتها العسكرية بتجهيزات من صنع إسرائيل، إذا ما حال الكونجرس دون نقل الأسلحة إليها، فالأسلحة الإسرائيلية تتوافق إلى حد كبير مع الأسلحة الأمريكية، كما أنها تستند فى قدر كبير منها إلى التكنولوجيا الأمريكية. كذلك عمل الوفاق على تخفيف انعزال إسرائيل إقليمياً، مما جعل الدعم الأمريكى لإسرائيل أكثر سهولة على المستوى الإقليمى. ويمكن للولايات المتحدة أن تسيطر على القدرات العسكرية لتركيا وإسرائيل من دبلوماسية "إملاء الشروط" Coercive Diplomacy ضد إيران والعراق وسوريا.

الخلاصة:

لقد اكتسب الوفاق التركى - الإسرائيلى بعداً استراتيجياً. وقد أثار ذلك قلقاً فى المنطقة. ورغم التحسن الذى حدث لعلاقات إسرائيل مع جيرانها، فإنها لم تجد بعد قبولاً كاملاً فى المنطقة. وفى حين أن تركيا قد جرى النظر إليها بقدر كبير من عدم الثقة نظراً لماضيها الإمبريالى. غير أن التوجه الموالى للغرب من جانب كل من البلدين يجرى النظر إليه بعين الشك فى كثير من الدول العربية، وفى إيران. فالدعم بدون تحفظ للحملة الأمريكية ضد طالبان فى أفغانستان تبرز التفاوض مع دول أخرى فى الشرق الأوسط التى لم تقدم سوى النذر اليسير من الدعم لواشنطن فى هذا المجال.

ثم إن هذا الانحياز alignment قد حقق قدراً كبيراً من النجاح دون دفع أى ثمن فى المقابل. وعلى أية حال، فإن الأردن انضمت ولو ضمنياً إلى الشراكة الاستراتيجية، وإن كانت انعكاساتها محدودة نظراً للتوجه المرتبط بالأوضاع القائمة للمشاركين فيها. ولم تتمكن سوريا "الناشزة" nevisionist من تكوين تحالف مضاد، والذى سوف يكون فى كافة الاحتمالات تحالفاً مضاداً للولايات المتحدة. وبوجه عام، فإن الحلقة التى تضم أفراد هذا التحالف الاستراتيجى وما به من تضمينات يزيد من وضع الولايات المتحدة القوى فى المنطقة. كذلك فإن هذه الشراكة الاستراتيجية تفتح الباب أمام المزيد من الاستراتيجيات الإقليمية الأمريكية بالنسبة لأمن الطاقة، وتحديات أسلحة الدمار الشامل. ويبقى أن نعرف كيف ستستفيد الولايات المتحدة من هذا الوفاق من ناحية، وفى حملتها ضد الإرهاب من ناحية أخرى.

(=) يقصد الباحث "بالقدس" "تل أبيب"، عاصمة إسرائيل.



عندما يصعد الشيعة... رؤية أمريكية

When the shiites rise, Valinasr, Foreign affairs, July august 2006

■ إعداد : سمير زكى البسيونى
باحث فى العلوم السياسية

منذ أن قامت الولايات المتحدة الأمريكية بغزو العراق واحتلاله عام ٢٠٠٣ شهدت الساحة العراقية تحولات مهمة بالنسبة لأوضاع القوى السياسية فى الداخل، حيث شهدت العراق صعوداً قوياً للشيعة وبعض القوى الأخرى مثل الأكراد، وفى نفس الوقت بدأ الدور السنى داخل العراق فى الانحسار خاصة فى إطار العملية السياسية التى تبنتها الولايات المتحدة بالتعاون مع الشيعة والأكراد. وقد أفرز هذا الصعود الشيعى داخل العراق تساؤلات عدة حول نتائج هذا الصعود وتداعياته على المستقبل السياسى للعراق من ناحية، وتأثير هذا كله على الجمهورية الإسلامية ومدى قدرتها على الاستفادة من كل هذه التطورات التى تمت بالأساس بأيد أمريكية وكان آخرها الحرب بين حزب الله اللبنانى وإسرائيل والتى خرج منها حزب الله منتصراً عسكرياً الأمر الذى يصب فى النهاية لمصلحة إيران ويقوى من فكرة الصعود الشيعى ليس داخل العراق فحسب وإنما فى بعض الدول العربية الأخرى.

من هنا تكتسب هذه الدراسة - بعنوان (عندما يصعد الشيعة) التى أعدها الدكتور فالى نصر الأستاذ بالمدرسة العليا البحرية، والزميل فى مجلس العلاقات الخارجية بالولايات المتحدة، والتى نشرتها مجلة فورين أفيرز- أهميتها، حيث تركز الدراسة على تأثير حرب العراق على تغير أوضاع الشيعة فى المنطقة، وتركز أيضاً على الدور والنفوذ القوى لإيران داخل العراق والمخاوف السنية والأمريكية تجاه هذا الدور، بالإضافة إلى الحديث عن فرص قيام تنسيق أمريكى- إيرانى بخصوص العراق قد يمتد لباقى ملفات الخلاف بينهما، وفيما يلى نص الدراسة:

مع انهيار نظام صدام حسين فى العراق شجعت إدارة بوش وساعدت على انطلاق وتقوية الأغلبية الشيعية فى العراق بشكل واسع قد يخل بالتوازن الطائفى فى العراق وفى منطقة الشرق الأوسط لسنوات طويلة قادمة، هذا التطور أثار قلق بعض الحكومات العربية السنية. ولكن هذا التطور قد يمثل فرصة لواشنطن لبناء جسور وعلاقات قوية مع الشيعة فى المنطقة خاصة فى إيران.

- النموذج العراقى:

ساهمت حرب العراق فى إحداث تغييرات كبيرة فى الشرق الأوسط، رغم أن هذه التغيرات لم تكن بالشكل الذى توقعته الولايات المتحدة. فعندما أسقطت الحكومة الأمريكية نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣ اعتقدت أن تغيير النظام سوف يساهم فى جلب الديمقراطية للعراق وبالتالى لباقى دول المنطقة. ونظرت إدارة بوش إلى السياسة على أساس العلاقات بين الأفراد والدولة، ولكنها فشلت فى إدراك أن الشعوب فى منطقة الشرق الأوسط تنظر للسياسة أيضاً كميزان للقوى بين الجماعات المختلفة داخل الدول. ولهذا بدلاً من أن يكون سقوط نظام صدام حسين فرصة لبناء ديمقراطية تحررية فى العراق، وجد العديد من العراقيين فى سقوط النظام البعثى

فـرصــة للقـضــاء على الظلم فى توزيع القــوة بين الجماعات المختلفة داخل العراق. وبتحرير وتشجيع الأغلبية الشيعية فى العراق ساعدت إدارة بوش على انطلاق وإحياء شيعى واسع سيخل بالتوازن الطائفى فى العراق وفى منطقة الشرق الأوسط لسنوات قادمة.

ثمة حقيقة لابد من وضعها فى الاعتبار وهى أنه لا توجد قيادة موحدة للشيعة فى المنطقة ولكن يمكن القول أن الشيعة يشتركون فى وجهة نظر دينية متماسكة. ومنذ انشقاق الشيعة فى القرن السابع وذلك بعد خلافهم مع السنة حول الخليفة الشرعى للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قاموا بتطوير وتأسيس مفاهيم متميزة من القوانين والممارسات الإسلامية. والحجم الحالى للشيعة فى دول المنطقة يجعلهم اليوم رقماً انتخابياً قوياً، والدليل على هذا أن الشيعة يمثلون ٩٠٪ من الإيرانيين، حوالى ٧٠٪ من الذين يعيشون فى منطقة الخليج (الفارسى)، وتقريباً ٥٠٪ من الذين يعيشون فى هذا القوس الممتد من لبنان إلى باكستان، ويبلغون بصفة إجمالية حوالى ١٤٠ مليون شخص. وقد ظل الكثير منهم مهمشاً لفترة طويلة، ولهذا فهم يطالبون بحقوق أكثر ووضع سياسى أفضل. وقد ساهمت التطورات الأخيرة فى العراق فى تعبئة شيعة المملكة العربية السعودية (حوالى ١٠٪ م السكان). ففى الانتخابات البلدية فى السعودية عام ٢٠٠٥ شهدت المناطق ذات الأغلبية الشيعية إقبالاً ملحوظاً، وقام حسن الصفار زعيم الشيعة فى السعودية بتشجيع الشيعة على التوجه لصناديق التصويت وذلك مثلما حدث فى العراق والعمل على الاستفادة قدر الإمكان من قاعدة المشاركة فى الانتخابات.

وساعدت القاعدة السحرية التى تنص على "رجل واحد، صوت واحد" على نقل تأثير ما حدث فى العراق إلى مناطق أخرى. فالشيعة فى لبنان (الذين يبلغون حوالى ٤٥٪ من السكان) استفادوا من هذه القاعدة، ونفس الأمر قد يحدث مع الشيعة فى البحرين (الذين يمثلون ٧٥٪ من السكان) الذين سيدلون بأصواتهم فى الانتخابات البرلمانية فى الخريف.

وقد أفرزت عملية تحرير العراق روابط سياسية واقتصادية وثقافية جديدة بين الجاليات الشيعية فى الشرق الأوسط. منذ عام ٢٠٠٣ نشطت حركة الحجاج الشيعة إلى النجف والمدن الشيعية المقدسة الأخرى فى العراق. كما زادت وظهرت العديد من مظاهر الشيعة فى الدول الخليجية، فصور على خامنئى المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية، ورجل الدين اللبنانى والزعيم الروحى لحزب الله اللبنانى السيد حسين فضل الله موجودة فى كل مكان فى البحرين. أيضاً رجال الدين الشيعة فى هذه الدول أصبحوا أكثر حرية وجرأة فى الوقت الحاضر فى ممارسة شعائرهم الدينية.

ولهذا فالشرق الأوسط الذى سيظهر من بوتقة الحرب فى العراق قد لا يكون أكثر ديمقراطية لكنه بالتأكيد سيكون أكثر تشيعاً.

وربما يكفى القول هنا أن صعود الشيعة العراقيين إلى السلطة قد أعاد وأحيا الأمل لدى الشيعة فى كافة أنحاء المنطقة الأمر الذى أثار قلق السنة فى المنطقة. الأمر الذى قد ينذر بصراع من أجل السلطة بين المجموعتين قد يهدد استقرار المنطقة. فقد حذر الملك عبدالله ملك الأردن من تكوين "هلال شيعى جديد" يمتد من بيروت إلى طهران قد ينهى سيطرة الغالبية السنية المسيطرة فى المنطقة.

- استئصال السياسات الطائفية المعادية قد يساهم فى ترضية الشيعة بشكل كبير ولكنه سيزيد من قلق السنة فى كافة أنحاء المنطقة. هذا التوازن الحساس سيلعب دوراً مركزياً فى السياسة الشرق أوسطية فى العقد التالى، كما سيعيد تعريف علاقات المنطقة أيضاً بالولايات المتحدة والدول الأخرى مثل البحرين، لبنان، المملكة العربية السعودية، ومناطق أخرى فى الخليج (الفارسى).

- رغم هذا الصعود الشيعى فليس من الضرورى أن يمثل أو يكون مصدر قلق للولايات المتحدة وذلك رغم أن هذا الصعود قد أثر على مكانة بعض الحلفاء التقليديين للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط. فهذا التطور الجديد قد يمثل فرصة أمام واشنطن لزيادة اهتمامها بمصالحها فى المنطقة وإعادة بناء جسور العلاقات مع شيعة المنطقة الأمر الذى قد يمثل الإنجاز الحقيقى لتدخل الولايات المتحدة فى العراق. والنجاح فى هذه المهمة يعنى إمكانية قيام الولايات المتحدة ببناء علاقات مع شيعة إيران وهى الدولة التى تضم أكبر نسبة للشيعة فى العالم والتى أصبحت قوة إقليمية هامة. ولديها قدرة على التأثير على شيعة المنطقة خاصة فى العراق. وتنحصر العلاقات الأمريكية- الإيرانية فى التمركز حول بعض القضايا مثل المسألة النووية، والخطابات الدعائية الصادرة من إيران، ولكن على خلفية حرب العراق ونتائجها قد تظهر قضايا أخرى مثل المستقبل السياسى للشيعة فى المنطقة.

- الاتصال الإيرانى

منذ عام ٢٠٠٣ لعبت إيران دوراً بناءً فى العراق، فقد كانت إيران الدولة الأولى فى المنطقة التى تقوم بإرسال وفد رسمى إلى بغداد لإجراء محادثات مع مجلس الحكم العراقى وذلك للتعرف على السلطة الجديدة التى وضعتها الولايات المتحدة فى العراق. وقد عرضت

إيران الدعم المالى على العراق، كما عرضت المساعدة لإعادة بناء البنية والطاقة والكهرباء فى العراق. وبعد أن قام رئيس الوزراء العراقى السابق إبراهيم الجعفرى بتشكيل حكومة انتقالية فى بغداد فى إبريل ٢٠٠٥ زارت وفود عراقية رفيعة المستوى طهران، وتم التوصل لبعض الاتفاقيات مع إيران، وتم التفاوض على تقديم بليون دولار كمساعدات إيرانية للعراق وبعض الصفقات التجارية مثل تصدير الكهرباء وتبادل النفط العراقى الخام.

ويبدو تأثير إيران الغير رسمى أكثر وضوحاً فى العراق خلال السنوات الثلاث الماضية، حيث قامت إيران ببناء شبكة رائعة من الحلفاء والعملاء، وتراوحت هذه الشبكة بين موظفى استخبارات، وجيوش شعبية مسلحة، ويظهر التأثير الإيرانى الواضح فى العلاقات القوية التى تربط الأطراف الشيعية المختلفة بطهران وعلى سبيل المثال: معظم كوادر المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق وحزب الدعوة (بما فى ذلك رئيس الوزراء السابق إبراهيم الجعفرى، ورئيس الوزراء الحالى نورى المالكى) معظم هذه الكوادر أمضت وقتاً طويلا فى المنفى فى إيران قبل العودة للعراق عام ٢٠٠٣، أيضاً تلقت العديد من المنظمات الشيعية العراقية تدريبها على يد الحرس الثورى الإيرانى مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق، وألوية بدر. كذلك أيضاً قامت إيران بتطوير العلاقات مع الزعيم الشيعى مقتدى الصدر الذى ألهب العواطف قبل ذلك بالخطابات المعادية لإيران. وقامت إيران وخاصة قوات الحرس الثورى بتقديم الدعم لجيش المهدى فى مواجهته مع القوات الأمريكية فى النجف عام ٢٠٠٤ . وقامت إيران بتمويل بعض الأطراف الشيعية فى العراق أثناء الانتخابات، وساعدت إيران على التوسط بين الشيعة والأكراد.

وقد أغضبت هذه الروابط والعلاقات بين إيران والعراق الولايات المتحدة، حيث توجه واشنطن اتهامات لطهران بدعم المتمردين، والعصابات الإجرامية والميليشات الشعبية فى العراق، كما تتهم واشنطن طهران بتسميم الرأى العام العراقى وتشجيعه على معاداة الولايات المتحدة. ويبدو أن واشنطن قد أخفقت فى توقع تأثير إيران فى العراق، حيث أساءت فهم تعقيد العلاقات لمدة طويلة بين البلدين. فرغم أن العلاقات بين البلدين كانت معقدة ومتوترة بسبب الحرب فى فترة الثمانينيات، حيث كان هناك عدد كبير من الشيعة العراقيين فى الجيش العراقى الذى تصدى للهجمات الإيرانية على الأراضى العراقية. ورغم كل هذا لم يقسم تراث الحرب الشيعة الإيرانيين والعراقيين كما اعتقدت الولايات المتحدة. فمن الواضح أن الشيعة العراقيين يبدون قلقاً متزايداً تجاه هيمنة السنة أكثر من تأثير طهران فى بغداد.

بالإضافة إلى الروابط العسكرية والسياسية، هناك العديد من الروابط الأخرى بين العراق وإيران والتى جاءت كنتيجة لموجات الهجرة الشيعية المتعددة. ففى أوائل السبعينيات وفى محاولة منه لتعريب العراق قام صدام حسين بطرد عشرات الآلاف من الشيعة العراقيين ذوى الأصل الإيرانى والذين استقروا فى دبى، الكويت، لبنان، سوريا، والجزء الأكبر منهم فى إيران. وبعض اللاجئين العراقيين أصبحوا فيما بعد رجال دين كبار وقادة فى الحرس الثورى، وأبرز مثال على ذلك هو آية الله محمد على تسخيرى الذى يعمل مستشاراً لخامنئى، وعميد كلية حقانى فى قم، وقد عاد تسخيرى سريعاً إلى النجف فى عام ٢٠٠٤ للإشراف على عمل مؤسسة آل البيت والتى تستثمر عشرات الملايين من الدولارات فى مشاريع البناء فى جنوب العراق وتروج لروابط ثقافية بين العراق وإيران. ويمارس تسخيرى تأثيراً كبيراً على سياسة الحكومة نحو العراق وإيران.

على مدار الثمانينيات وبعد المذابح المعادية للشيعة عام ١٩٩١، لجأ حوالى مائة ألف شيعى عراقى إلى إيران. وفى السنوات المظلمة من التسعينيات مثلت إيران مأوى مهماً لشيعة العراق. وبعد الحرب على العراق عاد معظم هؤلاء إلى العراق ويمكن أن يكونوا الآن قد وجدوا أعمالا فى المدارس، مراكز الشرطة المساجد، الأسواق، المحاكم، الجيوش الشعبية، والمجالس العشائرية من بغداد إلى البصرة، وكذلك فى الحكومة. وقد أدى التنقل المتكرر للشيعة بين إيران والعراق على مر السنين إلى خلق ارتباطات وثيقة بين البلدين.

وتمتاز الروابط الدينية بين البلدين بأنها قوية، فالمنفيون العراقيون فى إيران انجذبوا بشكل كبير تجاه آيات الله العراقيين مثل محمود شاهرودى (رئيس السلطة القضائية)، كاظم الحائرى، ومحمد باقر الحكيم (زعيم المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق الذى قتل عام ٢٠٠٣) وهو الذى أشرف على تأسيس المنظمات الدينية العراقية فى طهران وقم، وأحدثت تلك المنظمات تأثيراً كبيراً فى إيران منذ الثمانينيات. العديد من رجال الدين الكبار وخريجى الكليات الشيعية العراقية فى إيران انضموا إلى مؤسسات إيران السياسية وأصبح عدد كبير منهم قريب الصلة بخامنئى. وهؤلاء الرجال العراقيون عادوا لبلادهم عام ٢٠٠٣للسيطرة على المساجد والكليات

المختلفة وبالتالى ساهموا فى خلق محور مهم للتعاون بين قم والنجف.

تصور الكثيرون خاصة فى واشنطن قبل الحرب أن العراق عندما يتم تحريره فإن مدينة النجف سوف تنافس قم وتتحدى آيات الله الإيرانيين، ولكن منذ عام ٢٠٠٣ والمدينتان تتعاونان وليس هناك شقة مذهبية واضحة بينهم أو أى نزوح جماعى لمنشقين من مدينة لأخرى. ولهذا نجد أن الموقع الإلكترونى لآية الله على السيستانى (www.sistani.org)مقره قم، وأغلب الضرائب الدينية التى تجمع بواسطة مندوبية مازالوا فى إيران.

وقد امتدت هذه الروابط بشكل كبير إلى ما بعد النخب، فافتتاح المزارات الشيعية فى العراق كان له تأثير عاطفى كبير على الإيرانيين خصوصاً بالنسبة للطبقات الاجتماعية الأكثر تديناً والتى تدعم النظام. ومنذ عام ٢٠٠٣ قام مئات الآلاف من الإيرانيين بزيارة المدن المقدسة مثل النجف وكربلاء. وقد عزز هذا الاتجاه زيادة اتجاه الشباب نحو العبادة فى إيران. خلال العقد الماضى ظهر بشكل كبير أن الشباب الإيرانى بدأ يتجه نحو العبادة والتدين وتقليد كبار الشيعة خاصة الإمام الثانى عشر (المهدى المنتظر لدى الشيعة). ويعرف العديد من الإيرانيين أية الله السيستانى باعتباره زعيمهم الدينى الآن أكثر من الفترة التى سبقت عام ٢٠٠٣ والكثير منهم يوجهون الأموال إليه. ورغم أنه يتهكم بشكل كبير على زعمائهم الدينيين إلا أن عدداً كبيراً من الإيرانيين يحاول حالياً إحياء الهوية والثقافة الشيعية فى العراق.

ويأتى العامل الاقتصادى تالياً للعامل الدينى، فالحجاج الإيرانيون الذين يتوجهون للفنادق والأسواق فى النجف وكربلاء يجلبون معهم استثمارات للعراق، حيث يمكن رؤية السلع والمنتجات الإيرانية الآن فى كل مكان عبر جنوب العراق، وبلدة ميهران الحدودية تعتبر

الدولة	نسبة الشيعة من إجمالى عدد السكان	إجمالى عدد السكان	عدد الشيعة
إيران	%٩٠	٦٨,٧ مليون نسمة	٦١,٨ مليون
باكستان	%٢٠	١٦٥,٨ مليون نسمة	٣٣,٢ مليون
العراق	%٦٥	٢٦,٨ مليون نسمة	١٧,٤ مليون
الهند	%١	مليار ومائة مليون نسمة	١١,٠٠ مليوناً
أذربيجان	%٧٥	٨ ملايين نسمة	٦ ملايين
أفغانستان	%١٩	٣١,١ مليون نسمة	٥,٩ مليون
السعودية	%١٠	٢٧,٠ مليون نسمة	٢,٧ مليون
لبنان	%٤٥	٣,٩ مليون نسمة	١,٧ مليون
الكويت	%٣٠	٢,٤ مليون نسمة	٧٣٠ ألف نسمة
البحرين	%٧٥	٧٠٠ألف نسمة	٥٢٠ ألف نسمة
سوريا	%١	١٨,٩ مليون نسمة	١٩٠ ألف نسمة
الإمارات	%٦	٢,٦ مليون نسمة	١٦٠ ألف نسمة
قطر	%١٦	٨٩٠ ألف نسمة	١٤٠ ألف نسمة

ملاحظات: يدخل ضمن أعداد الشيعية الموجودة فى الجدول الشيعة الإثنى عشرية، ويستثنى من هذا الإسماعيليون والعلويون والزيديون.

المصدر:- البيانات تم الاستناد إليها من خلال العديد من الإشارات العلمية، ومن بعض الحكومات والمنظمات غير الحكومية فى الشرق الأوسط والغرب.

من أكبر نقاط دخول السلع للعراق. والدليل على أن حجم التجارة بين البلدين وصل إلى بليون دولار، وتخلق هذه الروابط التجارية بين الإيرانيين خصوصاً التجار (البازار) مصلحة شخصية فى ضرورة استقرار جنوب العراق.

هذه الروابط بين الشيعة فى العراق وإيران قد تزيد من فهم الجاليتين بأنهم يواجهون تهديداً مشتركاً من السنة. ويبدو أنه لا يوجد شئ ساهم فى زيادة التقارب بين شيعة العراق مع إيران سوى الشراسة التى كان عليها التمرد السنى، بالإضافة إلى اهتزاز ثقة الشيعة فى العراق بالولايات المتحدة خاصة عندما دعت إلى حل الميليشيات الشعبية الشيعية، وتقديم مزيد من التنازلات للسنة للدخول فى إطار العملية السياسية.

- المخاوف السنية:

قبل خمس سنوات كانت إيران محاطة ومحاصرة. بحائط من الأنظمة السنية العدائية، العراق والمملكة العربية السعودية فى الغرب، باكستان وأفغانستان تحت حكم طالبان فى الشرق. وأبدى الإيرانيون ترحيبهم بانهيار الحائط السنى، ويرى الإيرانيون فى صعود الشيعة فى المنطقة وقاية ضد عودة السنة للهيمنة على المنطقة. ويبدى الإيرانيون ارتياحهم الشديد لسقوط نظام صدام حسين فى العراق لأن العراق كان الشغل الشاغل للسياسة الخارجية الإيرانية طوال الخمسة عقود الماضية منذ أن سقط النظام الملكى فى العراق وسيطرت عليه نزعة القومية العربية عام ١٩٨٥ . وقامت العراق فى عهد صدام حسين بتهديد الجمهورية الإسلامية، واستمرت الحرب العراقية- الإيرانية خلال العقد الأول من ثورة آية الله الخمينى، حيث دمرت هذه الحرب اقتصاد إيران وتركت آثاراً سلبية هائلة على الأوضاع الاجتماعية فى إيران.

وتقوم الاستراتيجية الإيرانية فى العراق اليوم على هدف أساسياً وهو ضمان عدم عودة العراق كمهدد لإيران، ويأتى هذا الهدف على رأس أولويات الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد ومعظم قيادات الحرس الثورى، حيث يرون أن هدوء العراق يعد هدفاً استراتيجياً مهماً لإيران، ويرون بأن العراق تحت القيادة الشيعية سيكون أكثر أماناً لهم وذلك على اعتبار أن الدول الشيعية لا تحارب بعضها البعض.

كل هذا يمثل جزءاً صغيراً من مخاوف السنة التى تتركز نتائج تطلعات إيران الإيديولوجية فى الثمانينيات والمخاوف الحالية من الطموحات الإقليمية الجديدة لإيران. وخلال الربع قرن الماضى قدمت إيران الدعم للعديد من القوى الشيعية والميليشيات الشيعية، وأعمال التمرد فى البحرين، العراق، الكويت، لبنان، باكستان، والمملكة العربية السعودية. وقد عملت الثورة الإيرانية على التأسيس لهوية شيعية معادية للغرب الأمر الذى انعكس فى أزمة الرهائن عام ١٩٧٩، وقصف الثكنات البحرية الأمريكية فى بيروت عام ١٩٨٣، ودعم طهران المستمر للإرهاب الدولى. وفى النهاية أخفقت الثورة الإيرانية فى الوصول لأهدافها، وما عدا لبنان كان الصعود الشيعى فى هذه الدول تافها.

يرى البعض أن الجمهورية الإسلامية الآن أصبحت ديكتاتورية، بينما يبدى آخرون قلقهم من تنامى وتوسيع طموحات إيران الإقليمية. وترى طهران نفسها قوة إقليمية ومركزا للحضارة الفارسية والشيعية التى يمتد تأثيرها من بلاد ما بين النهرين إلى آسيا الوسطى، فقد تخلصت إيران من خطر طالبان فى أفغانستان وصدام حسين فى العراق، وهى تعتلى الآن قمة موجة الإحياء الشيعى، وتواصل السعى فى سبيل تحقيق طموحاتها النووية وتطالب بشدة باعتراف دولى بمصالحها فى المنطقة.

يسعى زعماء وقادة طهران إلى خلق وإيجاد منطقة أكبر للتأثير والنفوذ الإيرانى ربما تكون مشابهة أو قريبة من المفهوم الروسى "المجال القريب"، وتقوم وجهة نظر طهران على أن جنوب العراق ربما يكون مجالاً مناسباً لإظهار قوة ومكانة إيران فى المنطقة. ورغم ذلك لا يوجد أحد يتمسك بحلم الخمينى بهيمنة وسيادة الشيعة على العراق، بمعنى آخر ينحصر هدف طهران فى جنوب العراق فى ممارسة نوع من التأثير السياسى والثقافى والاقتصادى الذى قامت به إيران فى غرب أفغانستان منذ التسعينيات. وبالرغم من أن إيران تسعى للقيام بدور هام وحيوى فى العراق إلا أنها قد لا تهدف أو لا تكون قادرة على تحويل العراق إلى جمهورية إسلامية أخرى.

وبشكل متوقع أدت أهمية إيران المتزايدة إلى تعقد علاقاتها مع الجماعات الطائفية فى المنطقة. وقد استغلت الحكومات السنية فى المنطقة طموحات طهران كعذر لمقاومة مطالب مواطنيها من الشيعة، وتجاهل نداءات واشنطن للإصلاح السياسى. ومنذ عام ٢٠٠٣ وجه الزعماء السنة فى مصر، الأردن، والمملكة العربية السعودية اللوم المتكرر لإيران على الفوضى فى العراق، وحذرت بأن إيران قد تمارس تأثيراً كبيراً فى المنطقة إذا ما وصل الشيعة العراقيون للسلطة فى بغداد . الرئيس مبارك قام بدق جرس الإنذار فى أبريل الماضى حينما صرح قائلاً "أن الشيعة موالون دائماً لإيران وليس للدول التى يعيشون فيها" مثل هذه التصريحات قد تسمح لبعض القادة فى المنطقة فى تحويل الانتباه بعيداً عن مسئولياتهم

الخاصة بالمشكلات التى تعانى منها دولهم، كما تعطى هذه الأمور أيضاً ذريعة أمام هذه الدول لمقاومة دعوة الولايات المتحدة للإصلاح السياسى فى الداخل. حيث أرادت هذه الدول أن توجه رسالة للولايات المتحدة بأن جلب الديمقراطية للمنطقة سيشجع على زيادة نفوذ وقوة إيران والشيعة، ولهذا فمن الأفضل لواشنطن أن تتمسك بالدكتاتوريات السنية.

ورغم نفوذ إيران المتزايد فإنها لا تزال تحتاج إلى دعم جيرانها وإظهار "نية حسنة" لدى الشارع العربى لمقاومة الضغط الدولى على برنامجها النووى وحتى الآن تعمل إيران على تهدئة النزاعات الطائفية وإثارة عداء السنة بشكل كبير، وبدلاً من هذا تعمل على تصعيد التوترات بالنسبة للولايات المتحدة وإسرائيل. ولهذا يوجه القادة الإيرانيون اللوم للعنف الطائفى الدائم فى العراق. والدليل على هذا أن طهران ألقت بمسئولية الهجوم على ضريح الإمام (العسكرى) فى سامراء فى فبراير الماضى على "وكلاء الصهيونية" وذلك بهدف تقسيم المسلمين وفى نفس الوقت تواصل إيران جهودها فى برنامجها النووى لتأكيد مكانتها وقوتها الإقليمية.

لقاء العقول:

تركت الطموحات الإيرانية واشنطن وطهران فى وضع معقد، وفى مواجهة حادة بالطبع، فقد استفادت إيران بالفعل من الخطوات التى قامت بها الولايات المتحدة لتغيير الأنظمة فى كابول وبغداد، لكن واشنطن يمكن أن تعيق أو تمنع إيران من الاستفادة بشكل كامل من الأوضاع الجديدة فى أفغانستان والعراق، فالوجود العسكرى الأمريكى المكثف فى المنطقة يهدد الجمهورية الإسلامية. وتبدو الأهداف الأمريكية والإيرانية متناقضة أو مختلفة على المدى القصير خاصة فى العراق فإذا كانت واشنطن تسعى إلى الخروج من حالة الفوضى التى تعيشها داخل العراق فإن طهران سعيدة بهذا الوضع الحرج الذى عليه الولايات المتحدة فى العراق. حتى الآن تفضل طهران سياسة الفوضى المسيطرة على العراق، وذلك كوسيلة هامة لإبقاء تعثر الحكومة الأمريكية وتقليل حماسها بخصوص مسألة تغيير النظام فى إيران.

الاستراتيجية الإيرانية الحالية فى العراق تبدو مختلفة عما كانت عليه فى أفغانستان، فبعد سقوط طالبان تعاونت طهران مع واشنطن بشكل كبير لعودة الاستقرار لكابول وتنصيب حكومة حامد قرضاى والسبب فى هذا أن استقرار الأوضاع كان لمصلحة إيران التى كانت تحتاج فى هذا الوقت بشكل كبير إلى وجود عملاء لها فى أفغانستان من الفرس والشيعة لحماية مصالح إيران داخل أفغانستان. ولكن حسابات طهران اختلفت فى الحالة العراقية، فطهران لم تسع مثلما كان الوضع فى أفغانستان إلى وجود عملاء لها لحماية مصالحها وذلك لأن لطهران وجوداً فى العراق أقوى من الوجود الأمريكى نفسه وذلك بفضل الأغلبية الشيعية العراقية.

وبهذا فقد ثبت أن رؤية الرئيس بوش لحرب العراق كانت خاطئة، حيث تصور أنها ستكون طريقاً غير مباشر لتغيير الزعماء ورجال الدين فى إيران وأنها ستكون عاملاً مؤثراً فى زيادة الضغط على إيران بخصوص برنامجها النووى، فمن الواضح الآن أن إيران أصبحت أقوى نسبة إلى الولايات المتحدة عما كانت عليه عشية حرب العراق.

ورغم كل هذا، فعلى المدى الطويل ربما تتلاقى المصالح الأمريكية والإيرانية فى العراق. فكلتا الدولتان تريدان استقراراً فى العراق على المدى الطويل، بالنسبة لواشنطن فهى تريد خروجاً مشرفاً لها من العراق، أما طهران فالاستقرار فى العراق على المدى الطويل يضمن لها موقعاً مميزاً فى كافة أنحاء المنطقة. وإيران بالطبع لديها مخاوف عديدة من نشوب حرب أهلية فى العراق، لأن القتال فى العراق قد يستقطب كافة دول المنطقة بما فيها إيران، بالإضافة إلى إمكانية انسحاب القتال إلى الأقليات والعرقيات داخل إيران مثل العرب البلوش، والمناطق الكردية الإيرانية، وكما حذر بهذا نائب وزير الخارجية الإيرانى السابق عباس مالكى فى تعليقه على أعمال العنف والفوضى فى العراق بقوله: "الفوضى فى العراق ليست فى صالح إيران، إذا كان بيت جارك يحترق فهذا يعنى أن بيتك فى خطر". وحذر أيضاً من أن إيران قد وضعت نفسها فى العديد من المشكلات لأنها تقوم بتعيين غالبية حكام الأقاليم من رجال الحرس الثورى.

هناك مجموعتان داخل إيران يمكن أن يقوما بدور مهم فى إقناع القيادة الإيرانية بضرورة التعاون مع واشنطن بخصوص العراق.

المجموعة الأولى: هم اللاجئون العراقيون الذين يشكلون لوبى للدفاع عن المصالح الشيعية العراقية فى طهران. وقد شجعوا الحكومة الإيرانية على السير فى طريق المحادثات مع الولايات المتحدة.

ويرى هذا اللوبى ان تصعيد التوترات والمشكلات بين الحكومتين لا يخدم مصالح شيعة العراق، اللوبى لا يريد أن يرى العراق رهينة للمواجهة الدولية على البرنامج النووى الإيرانى.

أما المجموعة الثانية: فتتكون من العديد من الإيرانيين الذى يبدون قلقهم بخصوص الأماكن

الشيعية والمدن المقدسة بالعراق، ويرون ان فى وجود تنسيق بين القيادتين الأمريكية والإيرانية من شأنه أن يوفر الأمن لهذه المدن المقدسة.

ورغم كل هذا فإن إيران سوف تسعى بشكل نشيط إلى تحقيق الاستقرار فى العراق عندما يكون هذا الاستقرار لصالحها، ولن تقوم إيران بهذا إلا عندما تشعر أن الولايات المتحدة لم تعد تشكل تهديداً بالنسبة لها.

تدشين المرحلة:

ثمة قضايا هامة سوف تواجه العراق خلال الشهور القادمة، ومن المتوقع أن تكون المفاوضات الدستورية على رأسها خاصة التساؤلات الاتحادية، ومسألة توزيع إيرادات النفط، ويبدو أن بوادر ذلك قد ظهرت فقط بعد أن قام السفير الأمريكى فى العراق زلماى خليل زاد بمحاولات لإقناع الشيعة للموافقة على تغيير الدستور. حيث تحاول الولايات المتحدة التوصل لاتفاق يساعد على انخراط السنة فى إطار العملية السياسية وذلك بهدف إضعاف التمرد السنى، لكن فرص هذه الصفقة مازالت مجهولة، فالشيعة والسنة والأكراد لا يتصور أن يقدموا أية تنازلات بدون ممارسة ضغوط عليهم من جانب الولايات المتحدة، كما أن الولايات المتحدة لا يمكنها إجبار أحد الأطراف على تقديم تنازلات وإرضاء أطراف أخرى دون مخاطرة عزل بعض الأطراف.

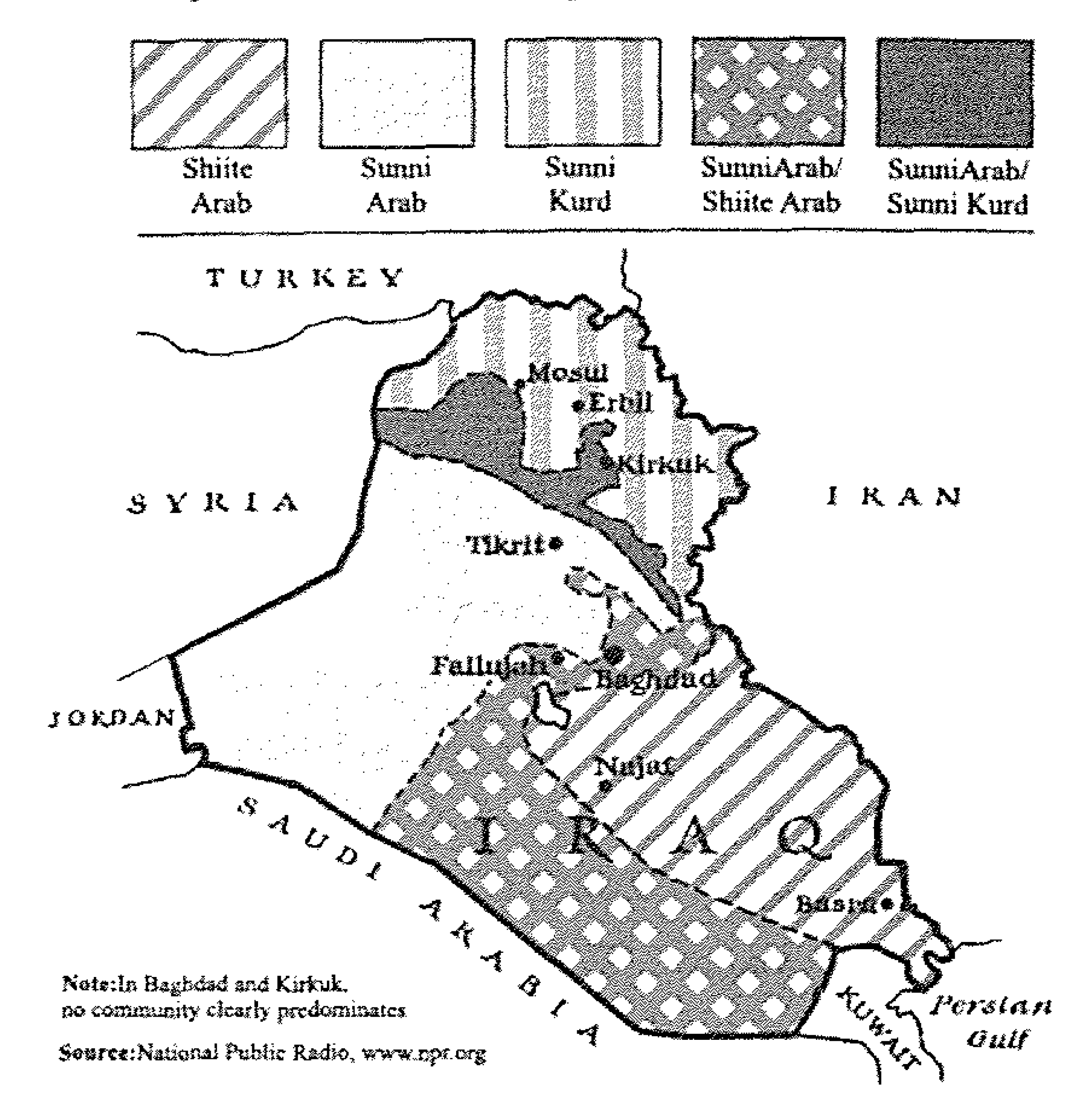
وفى حالة فشل المفاوضات بخصوص الدستور، فمن الممكن أن يقوم السنة بترك العملية السياسية، وحتى فى حالة مشاركة السنة. فمن المتوقع أن يكون حجم أو مستوى المساومة مع الشيعة أكثر تعقيداً من خلال زيادة حجم الاضطرابات فى جنوب العراق.

خلال السنوات الثلاث الماضية، كان عند الشيعة استعداداً كبيراً للمشاركة فى العملية السياسية ومقاومة استفزازات السنة وتمردهم، وذلك لأن الشيعة اعتقدوا بأن تأييد السياسة الأمريكية سوف يخدم مصالحهم. لكن إذا وجد الشيعة أن واشنطن أصبحت أكثر تلهفاً لشراء تعاون السنة على حسابهم فإن الشيعة سيكونون على استعداد لإعطاء ظهورهم للعملية السياسية، ومثل هذا التطور قد يفرز انتفاضة شيعية وفى هذا الإطار فإن الشيعة ليسوا بحاجة إلى السلاح للضغط على الولايات المتحدة، وذلك استناداً إلى أعدادهم الكبيرة، فالشيعة قادرون من خلال استغلال تفوقهم العددى على تغيير التوازن السياسى فى داخل العراق. ففى يناير ٢٠٠٤ قام آية الله السيد على السيستانى بحشد مئات الآلاف من الشيعة فى مظاهرات ضخمة استمرت خمسة أيام وذلك احتجاجاً على الخطط الأمريكية الرامية إلى إسناد الانتخابات ما بعد صدام إلى نظام مؤتمر تحضيرى. وقبل هذه المظاهرات دعا السيستانى حشود الشيعة إلى الاحتجاج على قصف ضريح الإمام العسكرى. وكان هدف السيستانى من هذا كله هو أن تعى الحكومة الأمريكية القوة التى عليها التيار الشيعى فى العراق، ومن خلال ممارسة نفوذها بين الشيعة فى جنوب العراق يمكن لطهران أن تساعد على المحافظة على النظام الراهن بينما تظل المفاوضات الدستورية مستمرة، ويمكن أيضاً لإيران أن تضمن استمرار التنافس بين الأطراف الشيعية المختلفة مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق، وقوات الصدر وذلك دون خروج هذا التنافس عن السيطرة الإيرانية. كما يمكن لإيران أيضاً أن تعمل على الإبقاء على الهدوء فى جنوب العراق بين الشيعة بشرط أن يكون لها دور حاسم فى تحقيق هذا الهدف، لأن هذا الدور سوف يساعدها على مخاطبة الحاجات العراقية وإعادة بناء العراق بالإضافة إلى دعم الحكومة المركزية فى بغداد.

ولكى تضمن إيران هذا التعاون فإنها بالطبع سوف تسعى لمخاطبة قضايا أوسع فى علاقاتها مع الولايات المتحدة، فطهران يمكن أن تنهى مسألة الدعم المالى والعسكرى للميليشيات الشيعية المسلحة وباقى العصابات الإجرامية الأخرى فى جنوب العراق فى حالة تقديم الولايات المتحدة ضمانات أمنية أوسع لإيران. إن الحالة العراقية تبدو مشابهة للحالة الأفغانية فى ٢٠٠١ حيث ظهر أن هناك إمكانية لتلاقى وتشابك المصالح الأمريكية والإيرانية ولكن الاختلاف أنه فى الحالة العراقية تبدو المساومة أعلى وأكثر تعقيداً، فبعد سقوط نظام طالبان فى أفغانستان عملت كل من الولايات المتحدة وإيران على دخول التحالف الشمالى والمكون الشيعى بصفة خاصة إلى العملية السياسية فى أفغانستان، وتم عقد الصفقات اللازمة فى إطار مؤتمر بون حول مستقبل أفغانستان بين إيران والولايات المتحدة وذلك لضمان النجاح المبكر لحامد قرضاى ونظامه فى أفغانستان. وأظهر مؤتمر بون أن هناك بوادر لفتح فصل جديد فى تاريخ العلاقات الإيرانية - الأمريكية، لكن فى هذا الوقت كانت واشنطن تبدى اهتماماً أقل بمسألة العلاقات مع إيران، حيث كانت واشنطن تنظر لنظام طهران بأنه نظام ضعيف سوف يسقط قريباً، وبالتالى ضيعت واشنطن فرصة كبيرة كانت أمامها.

والآن تقدم مشكلات العراق الراهنة الفرصة لواشنطن وطهران مرة أخرى ليس فقط لتطبيع

العـلاقـات بينهـمـا ولكن أيضـاً للعـمل على وضع حـد للتوترات المستقبلية بين الشيعـة والسنة فى العراق التى من المتوقع أن تنتقل للدول المجاورة، وبالرغم من أنه من غير المحتمل أن تقوم واشنطن وطهران بحل خلافاتهم



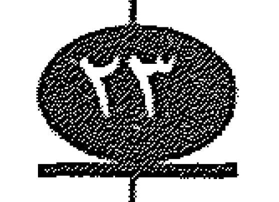


فى القضايا الرئيسية وعلى رأسها قضية الملف النووى الإيرانى فى وقت قـريب. إلا أنه من الممكن الموافقـة على بعض الخطوات فى العراق والتى يمكن أن تساهم فى تهدئة الأوضاع هناك. مثل تحسين الأمن فى جنوب العراق، وحل الميلشيات الشيعية، وإقناع الأطراف الشيعية بتقديم بعض التنازلات.

لكن الخطورة هنا تكمن فى حالة عدم قدرة واشنطن وطهران على إيجاد أرضية مشتركة وفى حالة فشل المفاوضات بخصوص الدستور فإن النتائج المحتملة ستكون مروعة ففى أحسن الأحوال سيدخل العراق فى دائرة عنف أوسع بجانب تطور إلى حرب أهلية كاملة. وعندما ينهار العراق سوف يتحول بعد ذلك إلى ساحة لحرب إقليمية بين إيران، تركيا، وباقى جيران العراق من الدول العربية، حيث سيدخل الجميع فى تنافس من أجل حماية مصالحهم فى العراق المدمر. ومن المتوقع أن تكون الجبهة الرئيسية أو التحالفات فى هذه الحرب مشابهة لتلك التى جاءت أثناء الحرب العراقية - الإيرانية. حيث من المتوقع أن يدعم الشيعة فى العراق إيران والدول التى ساندتها فى الحرب. أما الدول التى كانت قد وقفت بجانب العراق فإنها سوف تقدم الدعم للسنة.

فى بعض الأوقات يتم مقارنة العراق بفيتنام فى بداية السبعينيات أو يوجوسلافيا فى نهاية الثمانينيات، ولكن يمكن هنا أن نقارنها بنموذج أوضح وهو الهند البريطانية فى عام ١٩٤٧، فلم يكن بالهند حرب أهلية، ولا جيوش شعبية مسلحة، ولا نظام مركزى للتطهير العرقى، ولا نزاع على الأرض، ورغم ذلك مات الملايين وتحول الكثير منهم إلى لاجئين، نجد أن جيش الهند البريطانية قد قسم البلاد إلى أغلبية هندوسية، ومناطق للأغلبية الإسلامية. ولم يتمكن هذا الجيش من تجسير الهوة الواسعة بين هذه المجموعات أو السيطرة على العنف، ولهذا أجبرت بريطانيا على الخروج بسرعة. نفس الأمر ينطبق على العراق اليوم، ففى الهند توقفت أو انتهت المشكلة عندما رأت الأقلية أن قدرها أن تحكم ومقابل ذلك قدمت بعض التنازلات للأغلبية للدخول فى العملية السياسية.

إن العنف الطائفى الواسع الانتشار الآن فى العراق يقدم رسائل تذكير مشئومة عن الذى حدث فى الهند قبل حوالى ٦٠ عاماً، وربما يكون الوضع أسوأ فى العراق فالحالة العراقية تتدهور بشكل كبير الأمر الذى قد يترك تداعياته على الشرق الأوسط بالكامل وانتقال هذا النزاع الطائفى إلى الشيعة والسنة فى باقى الدول.

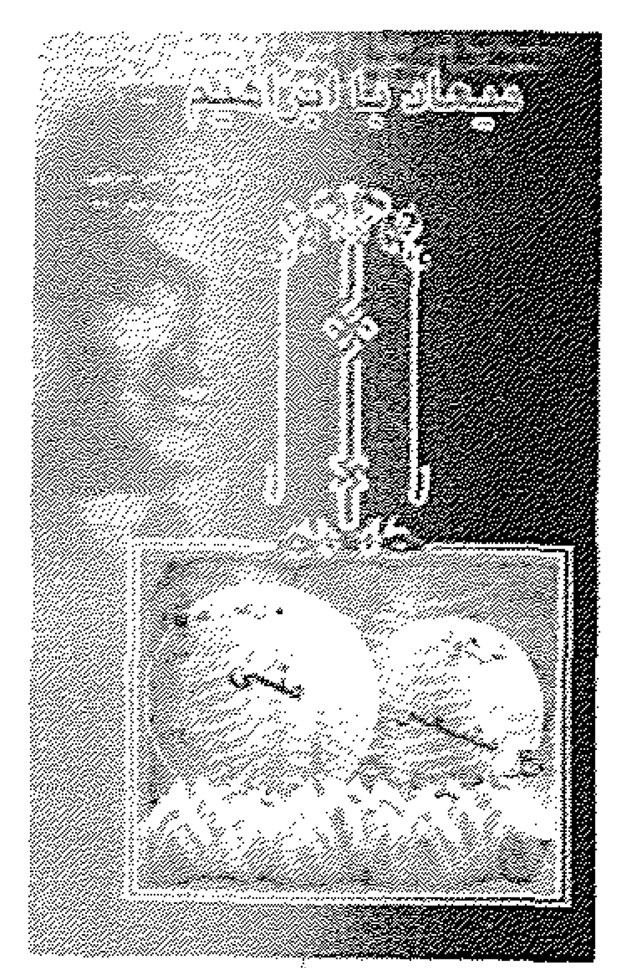




"موعد مع إبراهيم" تأليف الدكتور على شريعتى (١٩٣٣م - ١٩٧٧م)

■ أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

يعتبر على شريعتى أحد مفكرى الثورة الإسلامية فى إيران الذين ساهموا فى نشر الفكر الثورى وحولوا المبادئ إلى تيارات حية فى قلب الأمة الإيرانية . ولد على بن محمد تقى شريعتى فى إحدى قرى سبزوار فى منطقة خراسان عام ١٩٣٣م ، وكان أبوه محمد تقى شريعتى من كبار المفكرين والمجاهدين الإسلاميين . وقد إنضم فى صباه إلى جناح الشباب فى الجبهة الوطنية ، وبعد سقوط مصدق إنضم إلى حركة المقاومة الوطنية التى أسسها آية الله زنجانى وآية الله طالقانى ومهدى بازركان ، وتخرج بعد ذلك من كلية الآداب عام ١٩٥٨م وأرسل فى بعثة إلى فرنسا عام ١٩٥٩م ، وتعد السنوات التى قضاها هناك هى أكثر السنوات خصباً فى حياته حيث حصل على درجة الدكتوراه فى علم الإجتماع الدينى كما نال دكتوراه ثانية فى تاريخ الإسلام . وفى فرنسا زاول نشاطه السياسى فأسس فرع أوروبا لحركة تحرير إيران التى أنشأها بازركان وطالقانى سنة ١٩٦١م ، ثم عاد إلى إيران وعين مدرساً بجامعة مشهد بعد أن تعرض للسجن فى إيران وفى فرنسا ، وأخذ يلقى الدروس والمحاضرات العامة ذات الهدف التنويرى الدينى ، ولهذا طرد من الجامعة ونقل معلماً فى إحدى



القرى فى المدارس الإبتدائية ، وعندما إفتتحت "حسينية ارشاد" ركز فيها شريعتى كل نشاطه وأخذ يلقى محاضرات عن الإسلام وتاريخ التشيع ، وتم إغلاق حسينية الإرشاد وقبض على شريعتى وسجن إلى أن أفرج عنه عام ١٩٧٥م وسمحت له السلطات بالرحيل عن إيران بعد ذلك فى مايو ١٩٧٧م ، وسافر إلى لندن وعثر عليه ميتاً بعد شهر من سفره إلى هناك ميتة غامضة ، ودفن فى دمشق فى الحرم الزينبى، بعد أن ترك حوالى مائة وعشرين عملاً ما بين فلسفى وأدبى . ونحن اليوم نقدم عرضاً موجزاً وسريعاً لأحد أعماله التى تناول فيها موضوع الحج ومشاعره وأحاسيسه وتفسيره لفلسفة الحج من وجهة نظره لعل ذلك يكون تجلية لجانب من جوانب فكر هذا المفكر الإيرانى .

عنوان هذا الكتاب بالفارسية هو "ميعاد با ابراهيم"أى "موعد مع إبراهيم"، وقد طبع فى طهران عام ١٢٧٨ ش (١٩٩٩م) ضمن سلسلة أعمال الدكتور على شريعتى تحت رقم (٢٩) ، وإعتمدت فى كتابة هذا العرض على الطبعة الخامسة التى صدرت فى شتاء عام ١٣٨٠ ش (٢٠٠١م) . ويضم هذا الكتاب ثلاثة أقسام وملاحق سبعة تقع فى حوالى ٥٨٠ صفحة . والقسم الأول تحت عنوان "ميعاد با

ابراهيم" وهو عبارة عن أربع محاضرات متتالية ألقاها شريعتى فى ٢٨ و ٢٩ اسفندماه عام ١٣٤٨ ش (١٩٦٩م) وأول وثانى فروردين عام ١٣٤٩ ش (١٩٧٠م) بعد عودته من أول رحلة حج له ، وذلك فى قاعة محاضرات حسينية ارشاد . أما القسم الثانى فهو عبارة عن محاضرات حول رحلته للحج عام ١٣٤٩ش (١٩٧٠م) ، ويتضمن إحدى عشرة محاضرة . ويضم القسم الثالث من هذا الكتاب سبع محاضرات عن رحلته للحج فى عام ١٣٥٠ ش (١٩٧١م) . وسوف يركز هذا العرض على القسم الأول فقط دون القسمين الآخرين نظراً لضخامة حجم الكتاب ، ويصل عدد صفحات هذا القسم إلى مائة وخمس صفحات فقط ، ومع صغر حجمه إلا أنه يتضمن أفكاراً وقضايا كثيرة أثارها المؤلف حول موضوع الحج ورؤيته الخاصة له .

يبدأ المؤلف حديثه عن مفهوم الإستطاعة فى الحج ويشير إلى أن ما سيقوله حول موضوع الحج ليس تكراراً لما يعرفه الناس أو لما كتبه العلماء والباحثون الجدد والقدامى نتيجة مؤثرات روحية وفكرية شعروا بها خلال هذه الرحلة ، ولكنه سيحلل هذه المسألة من وجهة نظر خاصة به ، ويقول إن هذه الرحلة والنتيجة التى إستخلصها منها هى عبارة عن مرآة رأى فيها كل ما قاله قبل ذلك فى مجالات مختلفة لعلم الإنسان والتاريخ والدين والفلسفة بل وحتى حياة الإنسان المعاصر .

أما بالنسبة للمدة المحددة لأداء هذه الفريضة فهى العمر بأكمله ، لذا فإن أحداً لا يتعجل أداءها ، ومن ثم تؤجل تلقائياً إلى آخر مرحلة من مراحل العمر وتعامل على أنها دَيْن لابد من سداده . والموضوع ليس على هذا النحو لأنه يجب على الإنسان أن يؤدى هذه الفريضة طالما توافرت لديه الإمكانات ، لأنها ليست واجباً تعبدياً وأخروياً يجنى الإنسان ثمار نتائجه بعد موته فحسب ، بل هى عمل ينبغى للفرد أن يرى أثره قبل موته وأثناء حياته ، ومن ثم لا ينبغى الإعتقاد بأن فرصة الحج متاحة لنا حتى يحين الأجل . إن الحج ليس ضريبة يدفعها الأغنياء ، بل يجب على الجميع أن يؤدوها ، أما من تحول الظروف دون ذهابه فإن هذه الفريضة تسقط عنه . والاستطاعة ليست كما نفهمها بمعنى الثراء أو القدرة المالية ، إن الاستطاعة معناها القدرة على أداء عمل ما ليس فقط فى الحج بل تكون فى أداء الصلاة وفى الصوم وفى الدراسة وفى كل عمل يُؤدى يومياً ، إن الاستطاعة تكون أيضاً فى الأعمال الاقتصادية والصحية والبدنية فى ظل الأوضاع الاجتماعية والإمكانات المتاحة . إن الاستطاعة لا تخص الحج وحده ، وإلا تصور عامة الناس أن الأمر يخص طبقة الأغنياء دون غيرهم . إن الحج عبارة عن عنوان كتاب ، هذا الكتاب ألف بواسطة الثورة التى اندلعت فى الإنسانية وما زالت ، وكذلك بواسطة كُتَّاب مثل إبراهيم ونبى الإسلام محمد (ص) . الحج عنوان هذا الكتاب الذى ينبغى علينا دائماً أن نفتحه ونقرأه مراراً ونفهم محتواه ونفكر بشأنه ، لأن هذه الفريضة هى أساس دين إبراهيم الحنيف . إن معرفة إبراهيم تعنى معرفة الروح الأساسية لأديان الحق العظيمة ، تلك التى نعتنق أكملها وآخرها ، ومن ثم فإن معرفة إبراهيم تعد شرطاً أساسياً لمعرفة الدين الإسلامى ، لأن المؤسس الحقيقى للإسلام هو إبراهيم الخليل . إن القيمة الواقعية والمعنى الحقيقى لعمل إبراهيم وثورته الفكرية فى تاريخ البشرية وحضارتها ليسا واضحين فيما كُتب عنه ، حيث عرف عنه أنه محطم الأصنام التى كانت موجودة فى "بابل" أو "أور" ، وهذه ليست مسألة تجعل من إبراهيم ومن جاءوا بعده من الأنبياء زعماء ومؤسسى فكر إنسانى ، بل هناك شئ آخر لابد من توضيحه هنا حتى نتعرف على قيمة ما فعله إبراهيم .

لقد كان البشر يعيشون فى حالة من المساواة التامة فى بداية التاريخ ، لم يكن أحداً يحكم أحداً ، وكانوا يعيشون بشكل جماعى ، إلا أن كل فرد منهم كان يعيش بشكل مستقل عن الآخر . وهذه هى مرحلة المساواة البدائية للإنسان فى بداية حياته . ولم تكن للملكية وجود ، فقد كان البشر جميعاً يحصلون على طعامهم وإحتياجاتهم من مائدة الطبيعة السخية والمتاحة ، ومن ثم عاش الجميع أحراراً متساوين ، ولم تكن هناك وسائل للإنتاج سوى اليد ، أو إذا كانت موجودة فهى بسيطة كأدوات الصيد أو قطف الثمار ، وهنا كان الإنتاج الإقتصادى على سطح الأرض فى يد الطبيعة ويصل إلى متناول الجميع بوفرة . هذه المرحلة هى التى يتحسر عليها البشر دائماً لأنها كانت العصر الذهبى والبداية التى كان كل شئ فيها جميلاً ومريحاً . ثم تغير هذا الشكل البدائى لحياة البشر

تدريجياً وأخذ يتطور ، وتطور الفكر البشرى ، وأخذ الإنسان يتفنن فى أسلوب عمله وفى نظامه الإجتماعى والإنتاجى وفى طريقة تفكيره وإعداده للطعام ، وظهرت الزراعة ، وإنتقل الإنسان من مرحلة الصيد إلى مرحلة الزراعة التى غيرت مائدة الإنسان ، وبعد أن كانت الغابة والبحر فى متناول الجميع ، أصبحت قطعة الأرض اللازمة للزراعة ملكاً لشخص أو لعدة أشخاص ويحرم منها الآخرون . وهكذا دخلت القدرة البدنية والقوة فى العمل فى تاريخ البشرية ، وعلى هذه المائدة الجديدة جلس الأقوياء وتخلف عنهم من لا يتمتع بالقوة ، وأصبح هناك من يملك كل شئ ، وهناك من لا يملك أى شئ . وأصبح صاحب الأرض فى حاجة إلى من يقومون بالعمل عنده فوق هذه الأرض ، فتوجه إلى هؤلاء المحرومين وكلفهم بالعمل طبقاً للشروط التى وضعها هو وإستجابوا له من أجل لقمة العيش والبقاء على قيد الحياة . هذه الإستجابة هى التى أوجدت العبودية ، وهى التى خلقت الإختلاف والتفاوت بين طبقتين متناقضتين فى التاريخ وفى المجتمع الذى كانت تعمه المساواة فهناك من يملك ولا يعمل وهناك من لايملك ويُجبر على العمل عند من يملك . هذه الحالة التى ظهرت فى المجتمع الإنسانى قادت هذه المجموعة إلى إهتمام أكبر بجمع المال وسيطرة إقتصادية وسياسية وإجتماعية أكبر وتسلط على مصير الآخرين ومقدراتهم وتدخل فى شئون حياتهم ، وظهر التفاوت والخصومة بين الطبقات من ناحية ، وإستخدام العنف والقوة من ناحية أخرى ، فعندما كانت الغابة تحت تصرف الجميع لم تكن هناك منافسة ولم يكن هناك حرص ولم تكن هناك جريمة ، غير أن الأمر قد تغير بعد ذلك وظهرت المنافسة والحرص والسيطرة والإحتكار ، وأصبح الناس يرزحون تحت نير الحرمان والجوع والظلم والخضوع لأى شرط من أجل الحصول على لقمة العيش ، ويعانون من المذلة والمهانة والتملق والعبودية بإعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من الأرض التى يعملون عليها .

ولكى يحافظ الأقوياء على مكانتهم ووضعهم كان عليهم أن يقنعوا الآخرين بأن هذا المجتمع هو المجتمع الطبيعى وهو المجتمع الذى صنعه الله طبقاً لحكمته البالغة ، ولابد من غرس فكرة أن هناك نوعين من الناس أحدهما يمتلك طبيعة أكثر شرفاً وعزة وقدرة يمكنه أن يدير المجتمع ، والثانى لا يملك الصفات والخصائص البشرية السامية التى تؤهله لذلك وأنه خلق للعمل فقط ، وهذا يذكرنا بقول ارنست رينان : "لقد خُلق الأوروبيون للإدارة والشرقيون للعمل ، ولهذا جعلهم الله أكثر إنجاباً ونسلاً نظراً للحاجة الماسة للأيدى العاملة ، وجعلنا أقل لأن الحاجة لأرباب العمل تكون أقل" .

ومنذ بداية التاريخ كانت مهمة الأديان والمذاهب والفلسفات هى توجيه الوضع القائم ليبقى ، إن مثل هذا العمل قام به قادة وزعماء الأديان الباطلة والمنحرفة عبر التاريخ ، ذلك أن الشعور الدينى كالنار أو هو كالروح التى تتغلغل فى القلوب وتقود الإنسان دائماً للتضحية والفداء والصبر والتحمل ، ومن ثم كان لابد من الإستفادة من هذا المصدر بحيث يتم جر الناس إلى نوع من التفكير يجعلهم يتحملون به الوضع القائم عن طريق الدين ، والإعتقاد بأن مصيرهم هو مصير مقدر من الله أو من الحكمة الأزلية أو من الآلهة . ولننظر إلى فلسفة ارسطو وأفلاطون وهما من كبار الفلاسفة ومن مؤسسى الفلسفة الغربية عندما يدعيان بأن : البشر إما أن يُخلقوا سادة من جوهر معين أو عبيداً من ماء وطين آخر ، ولا يمكن لفريق من الفريقين أن يحل محل الآخر أو يأخذ مكانه ، وإلا فإن المجتمع البشرى سوف ينهار وتنهار الطبيعة .

أما التوجيه عن طريق الدين فقد كان بإقناع الناس بأن الوضع القائم ليس ظاهرة أو أمرا عارضا سيزول أو حالة مؤقتة ستنتهى ، بل هو أصلاً شكل الخليقة ، ومن هنا كان الدين وسيلة للتوجيه كالفلسفة تماماً .

توحيد إبراهيم فى مواجهة عبادة الأصنام : لقد كانت عبادة الأصنام هى النظرية التى وضعها القائمون على الأديان المزيفة والكاذبة ، وكانت محاربة عبادة الأصنام تعنى إقتلاع البنية العقائدية القائمة على الإختلاف والتباين والتفرقة والظلم والعبودية فى المجتمع البشرى ، ومن هنا كان إبراهيم هو مؤسس الحركة التى أرادت إنقاذ البشرية ، إن قيمة تحطيم إبراهيم للأصنام قيمة تاريخية ، فقد كان عدد من البشرية يرزح تحت نير تقاليد منحرفة وجاء إبراهيم وقضى عليها وأصلح المجتمع وأنقذ البشرية . إن عبادة الأصنام لم تكن فقط مجرد عبادة بل كانت توجيهاً للوضع

الإجتماعى عن طريق الآلهة وعن طريق الدين . إن إبراهيم بتحطيم الأصنام وثورته على عبادتها لم ينقذ البابليين أو أهل مدينة "اور" فى جنوب ما بين النهرين من خرافة فكرية فحسب ، بل إنه أوقف أسلوب هذا التفكير ونمطه ، وتصدى للخدعة الكبرى التى ظهرت فى تاريخ البشرية وهى قبول الأوضاع الظالمة التى أوجدها فريق من الناس ، لقد بدأ إبراهيم بهذا حربه على الزجر والتعذيب والحرمان الدائم وسفك الدماء والعنف الذى أوجدوه فى المجتمع . لقد ثار إبراهيم ضد هذه الأوضاع وضد الفتنة التى أوجدتها بإسم الدين والآلهة ، بينما ما زلنا نحن فى عصرنا الحديث نجد من الفلاسفة من يؤمن بأن هناك من البشر من خلق وضيعاً وهناك من خلق من جنس أفضل وأرقى ، وأن هذا هو شكل الخليقة ونظامها .

إننا عندما نفهم ما هى عبادة الأصنام ، عندئذ نفهم معنى التوحيد . ونتساءل : لماذا عندما قال رسول الله (ص) إن الله واحد لا شريك له ، تخلص بلال الحبشى العبد من ظلم وإستبداد أمية بن خلف ؟ أى صلة بين هذا وذاك ؟ إن التوحيد يعنى تحرير المشاعر الدينية من شباك عبادة الأصنام الخادعة التى أوجدوها فى التاريخ حتى يظل ذلك الوضع القائم على الظلم بإسم الدين . إن تعدد الآلهة يعنى أن هناك عدة طوائف وعدة عناصر وعدة أصول وأجناس فى المجتمع ، وأن الجنس البشرى يضم عـدة نماذج وأشكال : العمال والسادة والأرستقراطيين والأذلاء والعبيد ، أى جماعات متناقضة، وأن المجتمع ليس على وتيرة واحدة فهو مقسم إلى طبقات وجماعات مختلفة وكل جماعة أو طبقة لها إله خاص بها . بينما التوحيد معناه أن يكون للجميع إله واحد ، أى أن يكون الجميع بشراً ، وهذه هى دعوة إبراهيم العظيمة .

إن الحج عمل له بعد فلسفى ومنطقى وعقلى وإنسانى وتحليلى ، ينظر إليه من ناحية التاريخ وعلم النفس الإجتماعى والفلسفة . كما أن له بعد خفى فردى داخلى لا يمكن توضيحه وليس قابلاً للتحليل ولا يحتويه المنطق والإستدلال ، وهو عبارة عن الشعور والإحساس الذى تدركه الروح بنفسها فى مقابل مثل هذا الحدث . هذا الإحساس وذلك الشعور يرتبط بالإحساس الصوفى للإنسان ويتصل بالتأثير الفردى الخاص لكل شخص ، أى هو عبارة عن تجربة فردية ، ولما كان لكل إنسان إستعداد خاص ، فكل قلب يخفق هناك بشكل مختلف عن غيره ، وهذه قضية يصعب تماماً على أى محاضر أو كاتب نقلها للمستمعين والتعبير عنها .

ولكى نتعرف على الحج يجب علينا التعرف على إبراهيم ، فهو الذى ثار على عبادة الأصنام وإقتلع جذورها ولم يقتصر عمله على تحطيمها ، بل إن عمل إبراهيم كان عبارة عن الإستمرار فى المسار الطبيعى للإنسان على مدى تاريخ البشرية ، حيث كان البشر جميعاً سواسية لا فرق بينهم . وهكذا فإن إبراهيم لم يحطم فقط عدة أحجار إتخذت كمعبود ، لكن عمله هذا قد تضمن قيمة تاريخية حيث بدأ حركة حية وفاعلة تتعهد البشرية دائماً بالسير على نهجها وطريقتها . كان إبراهيم جاداً فى تحطيم آلية الدين الكاذب فى هذا التوجيه المريض والظالم التى وضعوها للحفاظ على تعدد الطبقات والتفرقة العنصرية ، وتخليص المشاعر الدينية والأحاسيس العرفانية من الشباك التى نصبوها لممارسة الظلم والجريمة وإستغلال الفرد للفرد والطبقة للطبقة والأمة للأمة . والتوحيد معناه إعلان الوحدة بين أفراد البشر بواسطة وحدة وجود "الله" ، ومعناه أيضاً أن الله واحد ، غير أن إنعكاس هذه العقيدة من الناحية الإجتماعية والتاريخ الإنسانى يعنى أن البشر جميعاً واحد والأطراف كلها واحدة ، والطبقات كلها واحدة والطوائف والجماعات كلها واحدة ، لماذا ؟ لأنهم جميعاً يؤمنون بإله واحد .

لقد حارب إبراهيم إنحراف تاريخ الإنسان ، وحارب إدعاء الألوهية ومن يدعون الألوهية كالنمرود وفرعون وغيرهما ، وكما نفهم من ذلك الإدعاء فإنهم لم يدعوا الألوهية بمعنى أنهم هم الذين خلقوا العالم ، بل بمعنى أنهم أصحاب التصرف فى كل شئ ، فعندما يقول فرعون "أنا ربكم الأعلى" لا يعنى بذلك "أنا خالقكم الأعلى" إنما يعنى "أنا صاحبكم ومالككم ، لأن كلمة رب بمعنى صاحب ومالك وليست بمعنى إله الذى نفهمه اليوم ، وهو يقصد بذلك : أنا ربكم وبيدى مصيركم وطعامكم وعملكم وحياتكم وموتكم ، إذا أردت أعطيت أمرى بقتلكم أو الإبقاء عليكم أحياء ، فعندما يأتى الجلاد ليقتل أحداً وأقول إننى عفوت عن هذا الميت أو المحكوم عليه بالموت فإننى أهبه

حياة جديدة . أى أن حياتك ومصيرك بيدى . ومن هنا فأنا مالكك وربك" . ونفس هذا الشئ يعنى إدعاء الألوهية فإن من يدعى أن مصير الآخرين فى يديه يكون قد إدعى الألوهية ، أى أنه إدعى إمتلاك صفة من صفات الله . وقد حارب الأنبياء جميعاً هذا الإدعاء .

هابيل وقابيل : لقد وجدت فى قصة هابيل وقابيل نموذجاً لكل الآلام التى عرفتها البشرية من ظلم وتفرقة وإختلاف عرقى بعد دخول الإنسان فى عصر الملكية وإنتقال الإنسان من حياة الغابة والمساواة والحرية على مائدة الطبيعة إلى عصر الزراعة . لقد كان قابيل إبن آدم مزارعاً وكان هابيل راعياً . أى أن هابيل كان رمزاً للإنسان ساكن الصحراء المتنقل دائماً ، وكان يعيش فى حالة عدم تقسيم العمل والتفرقة ، وكان قابيل رمزاً للإنسان الذى دخل عصر الزراعة ، ومن ثم ظهرت فيه التفرقة ، وظهر فيه صاحب العمل والرعية ، والعبد والمالك ، والتفرقة والإختلاف الطائفى والطبقى ، وتقسيم العمل وتقسيم الثروة . ويقع الخلاف بينهما بعد ذلك حول الزواج من أختهما ، ويطرح الخلاف على آدم ، وتستمر القصص بينهما بعد ذلك ، ويستقر الأمر على أن يقدم كل منهما قرباناً إلى الله ومن يقبل الله قربانه يكون الحق بجانبه ، ويجب أن يساعده الآخر على تمكينه من دعواه . وفى يوم إختيار القربان وتقديمه يختار هابيل نموذج إنسان العصور الأولى - أفضل جمل أحمر الشعر سميناً طيّب اللحم جميل الشكل لتقديمه كقربان لله ، أى أنه يقدم أعز ما يملكه فى الحياة لله ولعقيدته . أما قابيل الذى يمثل العصر التالى ، فإنه يحضر حزمة من القمح الأصفر المتعفن إلى مكان تقديم القربان ، ومن المسلم به أن الله سيقبل قربان الشخص الذى لا يخدع ولا يغش ولا يزور من أجل جمع المال والثروة ولا حتى من أجل الحرص فى الإيمان والإعتقاد الموجود عنده ، ولكن للأسف نرى هابيل يقتل على يد قابيل ، وقابيل هو نفسه الشخص الذى أحضر كمية من القمح الفاسد لتقديمه إلى الله يظل حياً ، وللأسف أيضاً فإننا جميعاً من أبناء قابيل ولا أظن أن هابيل كان له أولاد . وقد هب إبراهيم بعد ذلك ليخلص البشرية من كل الآلام الناتجة عن تغير شكل الحياة الإجتماعية وجعل الإنسانية إمتداد للروح الهابيلية . وتتعاظم كل يوم قصة إبراهيم وتتجدد ، ذلك لأن محاربة عبادة الأصنام عندما يكون الصنم من الخشب أو الحجارة أو الشجر يكون أمراً سهلاً يسيراً ، ولكن عندما يكون على شكل فكر أو فلسفة أو منطق أو قانون أو تقاليد إجتماعية ، عندئذ يكون الأمر صعباً . وهذا ما يحدث كل يوم إذ أننا نغوص فى الحياة القابيلية أكثر وأكثر ، ونقطع أشواطاً فى المسار القابيلى ، ونكون فى حاجة أكبر إلى إبراهيم .

هناك رحلتان عظيمتان فى التاريخ تفرقت فيهما البشرية من حيث الأوضاع والعلاقات والحياة الإجتماعية والآلام والآمال . المرحلة الأولى : مرحلة ظهور الملكية ؛ وهى المرحلة التى إنتقلت فيها البشرية من مرحلة المساواة الأولية إلى الملكية ، والملكية تعنى التفرقة ، أى حرمان فئة وإمتلاك فئة أخرى . وبعد ذلك ظهور كل شئ من مفاسد أخلاقية وتنافس وصراعات وحرص وحرمان ومذلة وعبودية وتملق وتملك وظلم وجريمة وحرب . وفى هذه المرحلة أصابت آلام جديدة روح الإنسان وظهرت مشاكل جديدة فى المجتمع ودخلت البشرية فى مرحلة جديدة تماماً من حياتها .

أما المرحلة الثانية فهى مرحلة ظهور الميكنة أو الآلية ، وهذه المرحلة هى المرحلة التى يصبح فيها الجميع عبيداً وطعماً لهذه الآلة ، ويبدو أن كل الجرائم والأمراض النفسية الجديدة هى نتائج مرحلة ما بعد ظهور "الآلية" . وكما نلاحظ فإن المدارس والمذاهب الفلسفية أخذت تظهر واحدة بعد الأخرى فى أوروبا فى القرن التاسع عشر .

ثورة إبراهيم : عاش إبراهيم فى ما بين النهرين ، وكانت لهذه المنطقة حضارة قديمة منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد . هناك حضارات سومر وبابل واور وأكاد وآشور ، كل هذه الحضارات سبقت حضارة إيران والهند وسبقت مجئ الآريين . وقد وصلت هذه الحضارات إلى أوج عظمتها قبل أن يظهر إسم أثينا أو اليونان . ويعتبر قانون حمورابى أحد المفاخر العظيمة لمجتمع ما بين النهرين ، وهو يدل على أنه إذا كانت هذه النقوش الحجرية العظيمة فى تلك الفترة مظهراً من مظاهر نبوغ الآراميين والقانونيين الحمورابيين (نسبة إلى حمورابى) ، فإنه يدل أيضاً على أن حضارة ما بين النهرين وتكامل المجتمع فى هذه المنطقة قد وصل إلى مرحلة أن التفرقة والإختلاف وحرمان بعض

الأشخاص وتمتع البعض الآخر والحكومة الطبقية قد أصبح شيئاً أزلياً وأبدياً وإلهياً وقانونياً ونقش على الحجر ، أى تم تخليده ولم يعد شيئاً عارضاً . وتولد عن ذلك شكل قانونى وعقلى يوضح أن التفرقة بين الطبقات والشعوب والمدن والأسر قد تجسدت فى شكل معبد "اور" ومعبد "بابل" وكل ما بها من أصنام تمثل طبقة معينة ومدنية معينة . فهناك صنم "لاجاش" وصنم "نيبور" وصنم "بابل" ، وهذه الأصنام تمثل شعوباً ومدناً مختلفة ، وكان معبد بابل هو أعظم المعابد ، وكان إبراهيم هو أول من حطم هذا المعبد ؛ أى أنه هدم مجتمع عبادة الأصنام ، ووقف بمفرده فى وجه قهر التاريخ .

صحيح أن قهر التاريخ موجود ، إلا أن تضامن الوعى والإيمان معاً يستطيعان تحطيم قهر التاريخ ، كما يحطم اليوم العلم قهر الطبيعة وجبروتها . وقد بين لنا إبراهيم أن الإنسان يمكنه أن يفعل هذا ، ويمكنه أن يسير فى المسار الصحيح بعيداً عن المسار المنحرف الذى يقوده إليه التاريخ جبراً ، هذا هو الدرس الذى تحتاجه البشرية اليوم أكثر من أى درس آخر ، خاصة لمن يسمون اليوم عندنا بالقدريين المحدثين .

إن إبراهيم هو مظهر التحول الفكرى عند قوم فى مرحلة ما بعد عبادة الأصنام ، ومظهر تحول الفكر البشرى من عبادة الطبيعة والأحجار إلى عبادة الله ؛ وذلك كما ورد بشكل جميل ومتقن فى القرآن الكريم حيث تحول فكر إبراهيم من عبادة الأصنام والنجوم إلى عبادة القمر ثم الشمس ثم وصل بعد ذلك إلى عبادة الله . وإبراهيم أيضاً مهاجر عظيم ، فهو رجل حارب طوال حياته المديدة جهاز الكذب الدينى الذى يوجه الظلم والتفرقة فى المجتمع توجيهاً دينياً ، فقد حارب عبادة الأصنام فى بابل ، ثم جاء إلى "حران" وهناك حارب عبادة النجوم ومظاهر عبادة الطبيعة ، ثم ذهب إلى مصر وقصته مع ملك مصر معروفة ، ثم عاد إلى فلسطين وواصل جهاده هناك ، ثم رجع إلى مصر ، ثم جاء إلى بلاد ما بين النهرين ثم إنتقل إلى شبه الجزيرة العربية ، وبعد قصته مع هاجر والكعبة كان يتحرك دائماً بين فلسطين ومكة . هذا الرجل كان مظهراً لروح البحث عن الحقيقة ومحاربة الإنسان لإنحراف الدين والتاريخ والمجتمع ، وكان فى حالة هجرة دائمة ، وفى حالة حركة وجهاد وسعى وتصدى لكل مظاهر الفساد والكذب والتزوير والظلم حتى نهاية حياته .

إن قصة إبراهيم وزوجته سارة التى كبرت ولم يكن لها أبناء معروفة ، ورغبة إبراهيم فى أن يكون له ولد هى رغبة فى إستمرار حركة إبراهيم وثورته . وقد سمحت له سارة بأن يتخذ من جاريته زوجة حتى ينجب منها ، فيتزوج من هاجر التى تنجب له الولد ، مما يثير حسد سارة فيضطر إبراهيم إلى أخذ هاجر وإسماعيل إلى واد قفر ويتركهما هناك بين يدى القدر الذى يقدم لهما أول مساعدة وهى بئر زمزم حتى تستمر هذه الحركة وتلك النهضة التى بدأت من هناك ويكبر إسماعيل وتموت هاجر ، ويأمره الله ببناء بيته أو بيت الناس فى نفس هذه البقعة ، ويقام هذا البيت بمساعدة إسماعيل الذى هو عبارة عن إستمرار لحركة أبيه . ويعتبر بناء هذا البيت تذكاراً لأول ثورة للحقيقة وللفكر والنضال فى الوقت الذى إنتقل فيه مسار التاريخ من المساواة البدائية إلى أكثر فترات الحياة إمتلاء بالآلام والحروب والدماء والخداع .

العبادة من وجهة نظر الإسلام : كانت العبادة فى التاريخ عبارة عن سعى روح الفرد للإرتباط بالله والتقرب إليه . وفى الإسلام يكون للعبادة شكل آخر يبدو أكثر وضوحاً فى الحج . فالعبادات فى كل الأديان تتسم بتزكية الأخلاق وتهذيب الفرد ، غير أن هذا لا يتجلى فى الإسلام على شكل إنزواء وتجرد من الحياة وبعد عن المادة وإغفال للدنيا وعدم الوعى بما يدور من حولنا ، بل إن روح الفرد تصل إلى الله عن طريق مسار الطبيعة المادية والمجتمع والحياة الواقعية للناس وعن طريق المرور بمصير الآخرين . والعبادة فى الحج لها حالة خاصة ، حيث يكون للحياة النفسية والداخلية وضع آخر وعالم آخر لا نستطيع التحدث عنه كما سبق أن ذكرت ، وأهم ما يميز الحج هو ذوبان الفرد وظهور "الناس" و "نحن" بدلاً من الـ "أنا" ، ففى الميقات تسقط كل العلامات التى تميز الأفراد عن بعضهم البعض ويتحول الجميع إلى أفراد متساوين مجتمعين فى مكان واحد ولهم ظروف متشابهة ، ويلتفون بقماش له لون واحد يشبه الكفن ؛ لا خياطة ولا عقد فيه ، وفى هذه الحالة تسقط كل الأشكال والألوان والزينات ، وهناك بالقرب من الكعبة يكون الغرق فى قصة إبراهيم وهاجر وكل تلك الذكريات المليئة بالغرابة ، وهناك لا يتميز أحد

عن أحد وتتحول الـ "أنا" إلى "نحن" ، أى يذوب الفرد فى المجموع ويصبح جزءاً لا يتجزأ منه .

إن ثورة إبراهيم ليست ثورة فلسفية أو إعتقادية محصورة فى الذهن والفكر ، وتكون لها جاذبية لمجموعة من المفكرين والفلاسفة والعلماء ، بل هى ثورة تنسحب فى نفس الوقت على صلب المجتمع المحروم وجماهير الشعب وكذلك على الأجيال المتعاقبة من بنى البشر على مدى التاريخ . ومن هنا كانت قصة إبراهيم أساساً وقاعدة فى كل الأديان الكبرى بعد إبراهيم . ومن ثم فإن حركة إبراهيم تكون أكثر فاعلية وجدية وحيوية وإلحاحاً فى كل لحظة وكل عام وكل قرن وكل عصر من أجل البشر . إن إحياء قصة إبراهيم والثقافة الإبراهيمية وتكرارها كل عام يمكن أن ينتقده البعض على أنه نوع من العودة إلى الماضى ، بينما الحقيقة أنه يجب سحبها على المستقبل ، إن ما ننادى به هو ضرورة الحفاظ على سنة إبراهيم وتقاليده ، ونقصد بذلك إستمرار ثقافة إبراهيم وحركته على توالى الأجيال والعصور التاريخية المتعاقبة ، ويكون ذلك عن طريق المفكرين والمسئولين الموجودين فى كل عصر وفى كل مجتمع ، حتى نتصدى للحركات النمرودية وحركات الشرك . إن العودة إلى ذكرى إبراهيم وإحياء ثقافته ليس فقط إتباعاً وتقليداً لما حدث فى الماضى ، بل هو إتصال بالماضى وإعلان عن الوفاء للحركة الموجودة دائماً ، لأن عبادة الأصنام النمرودية موجودة دائماً . إن الحج عبارة عن تمرين لكل السنوات ولكل الأجيال ليكون الإنسان إنساناً ، وليكون لدينا مجتمع إبراهيمى .

لقد فهمت من الحج ثلاثة مبادئ هامة أولها : مبدأ "الإتصال" ، والثانى : مبدأ "الإجتماع" ، والثالث : مبدأ "الحركة المنظمة" أو "الهجرة" من أجل هدف ما . كما أننى أحسست بإحساس آخر وهو أن الإنسان يتحول جسده كله إلى عين حتى يرى مكة وهو على بعد عشرات الفراسخ ، وعندما يقترب من المسجد الحرام تتحول روحه كلها إلى عينين مترقبتين ، وعندما يدخل من باب المسجد الحرام يشعر بهزة شديدة تصيبه ، وعندما يرى الكعبة لا يرى أحداً بداخلها ، لقد تعودنا عند زيارة القبور والأضرحة على وجود شخص ما بداخلها نعرف عنه الكثير ونعرف شيئاً من أقواله وأفعاله ، ولكن هنا لا يوجد أحد ، بل هى عبارة عن مجموعة من الأحجار المتراصة . وعدم وجود شخص أو شئ بداخل الكعبة يزلزل فى داخلنا الشعور الذى تعودنا عليه دائماً من عبادة الأشخاص أو الأشياء أو الأصنام . ولكن فى نفس الوقت فإن قلب الإنسان يمكنه أن يدرك هذا الشئ المطلق الذى لا تحده شخصية ويكون راضياً ومقتنعاً .

هذا هو البيت العتيق ، من العتق ، يعنى البيت الحر .. أى البيت الذى تحرر من سيطرة الجبابرة والعتاة ومن ملكية الأثرياء وأصحاب الثروة . هذا هو البيت الذى لا يستطيع أى شخص فرض سيطرته أو سلطته السياسية عليه ، ولا يمكن لأحد أن يصدر له سند ملكية . لماذا ؟ ذلك لأنه أول بيت وضع للناس . أى ناس ؟ الناس غير الجبارين وغير المترفين ، أى أن له ملكية عامة ، أى أن هذا البيت "بيت الناس" و "البيت العتيق الحر" ملك للناس وصنعه الله للناس .

كل البشر أينما كانوا فهم غرباء، إن "وطن الإنسانية" و "وطن الإعتقاد" ومنبع فوران الروح هو هنا ، إن لكل إنسان وطناً طالما كان حياً ، ويعيش جسد الإنسان فوق الوطن غير أن روحه تعيش هناك ، ومن ثم فإن "الوطن الثقافى" للإنسان يكون هناك ، وبيت الناس يكون هناك . وبناء على ذلك فإن كل من يأتى من أى مكان ويصل إلى بيته يجب عليه أن يصلى . هذه هى فلسفة هذا الحكم . كم هى فلسفة سامية بالنسبة "لبيت الله" "بيت الناس" ، هذا البيت العتيق .

أما المبادئ الثلاثة التى أشرت إليها من قبل فأولها مبدأ الإتصال ، ما معنى الإتصال ؟ الإتصال معناه أن يجدد الإنسان فى كل عام صلته بهذا المكان الأصلى والملئ بالذكريات لهذه الحركة العظيمة ومنبع التاريخ الدينى العظيم ، وأن يوطد صلته بالماضى ، ويعرّف جيله على هذه القيمة الكبيرة والروح العظيمة التى تشع وتنبعث من إبراهيم على مر التاريخ ، وأن يوطد صلته بالجذور والمنابع العظيمة والغنية التى يحاول أعداؤه دائماً قطعها ، ومن هنا يكون الحج دائماً وكل عام عبارة عن إتصال البشر بالفطرة والمصير التاريخى والرسالة العظيمة لإنسانيتهم وهذا هو الإتصال .

أما المبدأ الثانى فهو "الإجتماع" ، والإجتماع معناه أن يترك الجميع أماكنهم ويلتقون معاً لقاء فكرياً فى مكان معين ، فيحكى كل منهم عن وضعه الإجتماعى

. فأتعرف أنا على مائة بيئة أخرى وتتعرف مائة بيئة أخرى على بيئتى . إن تصادم ولقاء هذه المجتمعات البعيدة عن بعضها يؤدى إلى إحياء الروح الإجتماعية والفكر الإجتماعى . إن التجمع يكون أصلاً دافعاً للتحرك الإنسانى والوعى والنمو العالمى للإعتقاد البشرى . صحيح أن هناك مؤتمرات كثيرة تعقد وتنظم فى العالم ، إلا أن هذا التجمع يختلف عن كل هذه التجمعات الأخرى ؛ ففى التجمعات الأخرى يحضر ممثلون عن الطبقات الذين إختيروا للحضور ، بينما هنا تتجمع الأمم والشعوب إلى مكان الإجتماع مباشرة دون أن يمثلوا أحداً ، إن كل من يحضر هنا يمثل نفسه فقط ، إنه إجتماع الشعوب والأمم وليس إجتماعاً للصفوة أو النخبة من الأرستقراطيين والمفكرين والعلماء . إنه إجتماع من صلب الناس ، وكل الناس مدعوون هناك .

والمبدأ الثالث هو مبدأ الحركة والهجرة ، إن أول شئ لفت نظرى وجعلنى أفكر فى كلمة الهجرة هو التحرك الدائم فى الحج ، فمنذ أن يستعد الإنسان للذهاب للحج يكون فى حالة حركة ، ومنذ أن تبدأ مناسك الحج لا يوجد أى توقف ، فلا يستطيع الإنسان التوقف ولا ينبغى عليه أن يتوقف ، فهو يتنقل من الميقات إلى الطواف إلى السعى وهكذا . هذا التحرك الدائم هو تذكار لتحرك إبراهيم فى طريق محاربة "عبادة الأوثان" وإحياء التوحيد وإستقرار العدالة فى تاريخ البشر . وأيضاً هو تذكار لتحرك وسعى الإنسان البائس - ولكنه المنتصر فى النهاية - الذى هو هاجر . نعم إنه تذكار تحرك هاجر ، تذكار الهجرة الدائمة ، إن دين الإسلام هو دين الهجرة ، لا تبق فى مكانك ، لاتبق على حالتك، كن دائماً روح المهاجر ، كن إنساناً مهاجراً ناحية المبدأ وناحية المقصد ، كن مهاجراً إلى حيث يمكنك أن تكون إنساناً ، وحيث يمكنك أن تكون مجاهداً . إن هذه الحركة تبدو واضحة فى الحج فهو عبادة متحركة مع الجماعة وليس مع الفرد .

إن هجرة بوذا كانت من الأرض والحياة والإنسان إلى الوحدة "والنيرفانا" ، أما الهجرة الإنسانية فى الإسلام فهى من ناحية الفرد إلى ناحية الجماعة ومن الحياة التى ليس لها هدف إلى الهدف ، هذه الحركة حركة ملتزمة ولها رسالة .

إن ما يجب أن أقوله فى النهاية هو أنه لا ينبغى دفن أى شخص فى المسجد الحرام ، فهو من العظمة بحيث لم يدفن فيه إبراهيم ، وليس من حق أى نبى أن يدفن فيه ، ولكن بجوار هذا البيت العظيم يوجد منزل هاجر جارية سارة ، وهى الإنسانة التى عرفت فى التاريخ على أنها ضعيفة لكونها إمرأة ، وأكثر ضعفاً لكونها جارية ، وأضعف جارية لأنها الزوجة الثانية ، وتزوجها زوجها بموافقة سارة حتى ينجب منها ، أى أنها لا تتمتع بأى ميزة من مميزات المجتمع البشرى ومفاخره ، هناك حيث لم يكن لإبراهيم ولا لأى أحد من الأنبياء حق فى الدفن ، تكون هناك هاجر ، فهناك منزلها .

أنظر كيف يكون إختيار الجندى المجهول فى هذه الثقافة .

على أية حال ، إن الحج عبارة عن ميعاد الله وإبراهيم والناس فى كل عام وكل جيل.

أين ؟ بجوار بيت إمرأة جارية ، هى هاجر .

وثائق

١- بيان المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية بمناسبة مجزرة قانا على أمريكا انتظار سيل من سخط الأمة الإسلامية

■ جمهورى إسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٦/٨/٣

قام آية الله على خامنئى المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية بتوجيه رسالة مهمة إلى العالم الإسلامى ندد فيها بالمجازر الإسرائيلية فى قانا، وكذا بصمت وعدم اكتراث الأمم المتحدة والمنظمات الداعية لحقوق الإنسان إزاء ما يرتكبه النظام الإسرائيلى من جرائم فى لبنان، مؤكداً أن حزب الله أصبح اليوم يأخذ الخطوط الأمامية للدفاع عن الأمة الإسلامية وشعوب المنطقة كافة، وأن مقاومة الشعب اللبنانى وشجاعته فى مواجهة تحالف إسرائيل والإدارة الأمريكية الخبيثة وتابعتها بريطانيا لسوف تزكى روح المقاومة أكثر فأكثر بين دول العالم الإسلامى.

وفيما يلى نص رسالته:

بسم الله الرحمن الرحيم

لاشك أن فاجعة قانا المروعة أدمت قلوبنا، كما بعثت فينا مشاعر الغضب وجعلتنا والشعوب الإسلامية وأحرار العالم كافة فى حزن واستياء. ما ذنب أولئك الأطفال الأبرياء، الضعاف الصغار لكى يحدث لهم كل هذا الذعر والخوف، بأى ذنب أحرقت قلوب الأباء والأمهات، على ذلك النحو، من قبل النظام الإسرائيلى السافك للدماء. من أى منطلق تظل لبنان تحت هذا القصف الوحشى المستمر، وتبقى وسط هذا التدمير والقتل للمدنيين، بينما يقف العالم المدعى التحضر وكذا الأمم المتحدة وبقية المنظمات الداعية لحقوق الإنسان بهذا الشكل من عدم الاكتراث. إلى متى يجب أن يتحمل العالم المسلم هذا النظام الإسرائيلى الذى لا يعكس سوى الفتنة والشر؟! لمتى تترك الدول الإسلامية الولايات المتحدة المستكبرة والمشعلة للحروب فى هذه المنطقة الحساسة هكذا مطلقة اليدين؟ ولاشك فى أن ما حدث فى لبنان، قد كشف للعالم الحقوق الإنسانية الأمريكية، وكشف كذلك عن مشروعها الشرق أوسطى الساعية إليه. لقد اتضح اليوم أن عملية الهجوم على لبنان إنما كانت عملية مدروسة ومخطط لها آنفا، من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل باعتبارها خطوة أساسية لفرض الهيمنة على الشرق الأوسط والعالم الإسلامى.

إن جورج بوش ومعاونيه الأمريكيين ملطخو الأيدى فى لبنان لدرجة لا تقل ذنباً عن قادة النظام الإسرائيلى الخبيث والمجرم، وكذا الأمم المتحدة والحكومات الغربية الملتزمة للصمت حيالها، ومواقف بعض الدول الأخرى الداعمة لإسرائيل مثل بريطانيا المعروفة بتاريخها سيئ السمعة، كل هذا يحمل هؤلاء مسئولية المشاركة فى تلك الجريمة، بنسب متفاوتة، سواء أمام المحاكم البشرية على الأرض، أو أمام المحكمة الإلهية فى السماء.

اليوم أصبحت الشعوب الإسلامية أكثر استياءً من الولايات المتحدة الأمريكية وأكثر من أى وقت مضى، لكن على خلفية دعم الإدارة الأمريكية للنظام الإسرائيلى المجرم وكذا تأييده وانتهاكه السافر لحقوق الشعوب الإسلامية، يحتم على هذا النظام أن ينتظر السيل الغاضب من العالم الإسلامى.

ومن ناحية أخرى، نود الإشارة إلى أن صمود الشعب اللبنانى وجهاد عناصر حزب الله البطولى إنما ينتج عن شدة إيمانهم وتوكلهم على الله عز وجل. فى حين أن السياسة والاستراتيجية التى تسير عليها الولايات المتحدة والقائمة على زعزعة استقرار الأمن وخلق الأزمات والحروب بهذه المنطقة من شأنها أن تضاعف من غضب شعوب هذه المنطقة حيالهم، وهكذا ستعكس تلك الأوضاع غير المستقرة عليهم فى النهاية.

وكذا سيؤدى السلوك العدوانى الذى تنهجه كل من أمريكا وإسرائيل تجاه المنطقة إلى إحياء روح المقاومة فى أوساط العالم الإسلامى أكثر فأكثر، وتصبح قيمة الجهاد عالية فى أعين المسلمين أكثر من ذى قبل. ولهذا يجب أن يعلم شباب العالم الإسلامى أن الطريق الوحيد لمواجهة هذا التعدى الإسرائيلى الوحشى وعدوان الشيطان الأكبر هو طريق المقاومة والتضحيات، أما موقف الاستسلام أمام رجال الإدارة الأمريكية المغامرة والمثيرة للفتن إنما سيزيد مثل هؤلاء طمعاً وتعدياً، ويصعب المسألة على الشعوب.

لو أن لبنان قد أظهر استسلامه فى وجه العدوان الإسرائيلى الأمريكى، ولم يضح بشبابه وبمجاهديه فى الجنوب اللبنانى الذين تحملوا أعباء هذا الدفاع، لكانت المحنة للبنان وشعبها ومن ورائها دول المنطقة الأخرى.

اليوم لقد أصبح حزب الله يمثل الخطوط الأمامية للدفاع عن الأمة الإسلامية وشعوب المنطقة كافة، فالعدو الإسرائيلى لا يفرق بين دين ودين ولا بين مسجد أو كنيسة، لا بين سنة ولا شيعة، إذ إنه كيان عنصرى سافك للدماء وإذا لم يردع، فإنه لن يتورع عن القيام بأى جرائم أخرى بحق أى شعوب أخرى.

لذا فعلى جميع شعوب المنطقة وكافة طوائفها إسلامية أو غيرها فى لبنان، وكذا على الدول الإسلامية كافة أن يتوحدوا، وألا يسمحوا لحدوث الفرقة فيما بينهم كما خطط العدو.

ومن ناحية أخرى، فإيران الإسلامية ترى أن من واجبها التصدى فى وجه العدوان الأمريكى وتحركاته الشريرة التى يحرك بها النظام الإسرائيلى، وأنها ستقف بجوار جميع الشعوب المظلومة كافة وخاصة شعب لبنان العزيز والشعب الفلسطينى المناضل.

إن الولايات المتحدة الأمريكية بتأييدها الصريح والواضح لقتل المدنيين اللبنانيين، وبمعارضتها لوقف إطلاق النار، وبمساعدتها للنظام الإسرائيلى عسكرياً، سياسياً، اقتصادياً إنما هى بذلك ومن خلال شروطها تفرض ظلماً مضاعفاً على لبنان حكومة وشعب.

ولاشك أن الشعب اللبنانى المقاوم والمجاهد لن يستسلم لمثل هذا الظلم، ولن يقرر إلا بما يخدم مصالحه.

وأخيراً نتقدم بخالص التعزية للشعب اللبنانى الحبيب، ونعرب عن تعاطف ومواساة ووقوف شعب إيران مع أبناء الشعب اللبنانى.

والسلام على الأمة اللبنانية، وعلى حزب الله المنتصر وعلى زعيمه الشجاع المؤمن العربى السيد حسن نصر الله .. قال الله تعالى فى كتابه الحكيم: "فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ....".

سيد على خامنئى
٢٠٠٦/٨/٣

٢- رسالة المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية على خامنئى إلى الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله

■ www.alwelawah.net

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ المجاهد الغالى السيد حسن نصر الله ، أدام الله عزه وعافيته، سلام عليكم بما صبرتم .

تحية لكم ولإخوانكم ولمجاهدى حزب الله فرداً فرداً وبعد، فإن الذى أهديتموه للأمة الإسلامية بجهادكم وصمودكم المنقطع النظير يفوق حدود وصفى، وإن جهادكم البطولى الذى تكلل بالنصر الإلهى لكم ، قد برهن مرة أخرى أن الأسلحة المتطورة الفتاكة غير فاعلة أمام الإيمان والصبر والإخلاص، وإن الشعب الذى يملك الإيمان والجهاد لا ينهزم أمام هيمنة القوى الظالمة.

لقد كان انتصاركم انتصاراً للإسلام، ولقد استطعتم بحول الله وقوته أن تثبتوا بأن التفوق العسكرى ليس بالعدد والأسلحة والطائرات والبوارج والدبابات، وإنما هو مرهون بقوة الإيمان والجهاد والتضحية مع الاستعانة بالعقل والتدبير. إنكم فرضتم تفوقكم العسكرى على الكيان الصهيونى، كما كرستم التفوق المعنوى القيمى على الأصعدة الإقليمية والعالمية، وقد حطمتم الخرافة القائلة بأن الجيش الصهيونى لا يقهر، وكشفتم عن زيف مهابة هذا الجيش وكشفتم للجميع مدى هشاشة هذا الكيان الغاصب.

إنكم جلبتم العزة للشعوب العربية والإسلامية وكشفتم للعيان مدى قدرات هذه الشعوب فى الساحة العملية، بعد أن حاولت الأجهزة الإعلامية والسياسات الاستكبارية إنكار هذه القدرات ونفيها لعشرات السنين. إن ما حدث يشكل حجة من الله تعالى على

جميع الحكومات والشعوب الإسلامية، خاصة فى منطقة الشرق الأوسط . لقد أصبحتم مرة أخرى مصداقاً لهذه الآية القرآنية المشرقة : "قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار" (سورة آل عمران الآية ١٣) ، وأولو الأبصار فى عالم اليوم هم تلك الجماهير المليونية والشباب المؤمنين فى دول المنطقة، والساسة النزيهين والمستقلون والعقلاء.

إن جهادكم المظلوم قد فضح العدو وكشف عن وجهه الحقيقى. إن ما ارتكب من مجازر بشعة بحق المدنيين، وقتل الأطفال والأبرياء والنساء العزلاوات، ومجزرة قانا وكثير من الأحداث المماثلة الأخرى، وتشريد آلاف العائلات وتدمير البنى التحتية لأجزاء مهمة من لبنان، وغيرها من المآسى، كل ذلك كشف عن الوجه الحقيقى لقادة أمريكا وبعض الدول الأوروبية جنباً إلى جنب مع وجه الكيان الصهيونى الكريه البغيض، كما كشف عن مدى الكذب والزيف الذى يغلف الشعارات الكاذبة المنافقة التى يرفعها هؤلاء: حقوق الإنسان والحرية والديمقراطية. وقد كشف أيضاً عن مدى المآسى التى يمكن أن تطال المجتمع الإنسانى عندما يكون قادة الدول بعيدين عن الرحمة والشفقة والمنطق والصدق. إن التصريحات التى أدلى بها الرئيس الأمريكى والتى اعتبر خلالها جرائم الكيان الصهيونى عمليات دفاعية، ومزاعمه المضحكة حول انتصار إسرائيل فى حرب لبنان، جسدت أمام أعين الجميع نموذجاً ساخراً لهذه القسوة والفظاعة، وانعدام الحق.

أما لبنان، وما أدراك ما لبنان. لقد برز لبنان مشرقاً مشعشعاً بفضل عزيمة شعبه وبسالته. لقد أخطأ العدو فى تصوره بأنه من خلال مهاجمته لبنان يستهدف أضعف حلقة فى سلسلة دول المنطقة، ليدشن مشروعه الشرق أوسطى الموهوم كما ينشده هو، إلا أن العدو الأميركي-الإسرائيلى كان فى غفلة عن صبر الشعب اللبنانى وذكائه وبسالته، كما كان فى غفلة عن قوة سواعد لبنان الضخمة، ومن السنة الإلهية التى تشير إليها الآية الكريمة: "كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (البقرة: من الآية٢٤٩)، وقد أفاقته من غفلته تلك الصفعة القوية التى تلقاها من الشعب اللبنانى وشبابه البواسل وساسته الأذكياء.

واليوم يحاول العدو بتر هذا الساعد القوى الفاعل، ويعمل على إثارة الخلاف بين السياسيين، وبث جراثيم الجزع وانعدام الصبر والشك والتردد بين المواطنين. فعلى الجميع أن يكونوا يقظين أمام هذه السموم المرشوشة. إنكم ستنجحون بحول الله وقوته فى إحباط مؤامرات العدو، ومستحقون بذلك انتصاراً ثانياً إنشاء الله. إن الجهاد الذى تواجهونه اليوم فى هذه الساحة لا يقل أهمية عن جهادكم المفعم بالتضحية والتفانى فى الساحة العسكرية. وإن عناصر الصبر والتوكل والإخلاص والتدبير، تشكل المقومات المصيرية فى هذه الساحة.

أحييكم، وأحيى سائر الأخوة الأبطال فى ساحة الجهاد، وأقبل أياديكم وسواعدكم.

سيد على خامنئى ٢٠٠٦/٨/١٦

٣ - البيان الختامى للاجتماع الرسمى الـ ١٦ لمجلس خبراء القيادة

■ وكالة الأنباء القرآنية الإيرانية (Iqna 30/8/2006)

أصدر مجلس خبراء القيادة فى إيران بيانا ختاميا للاجتماع الرسمى السادس عشر من الدورة الثالثة تم قراءته فى الجلسة الأخيرة والتى عقدت يوم الاربعاء ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦ فى طهران. وفيما يلى الترجمة غير الرسمية لأبرز ما تضمنه البيان الختامى للاجتماع الرسمى الـ ١٦ لمجلس خبراء القيادة فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

عقد مجلس خبراء القيادة فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى أجواء الأيام الشعبانية المباركة وذكرى ولادة الإمام الحسين (ع) والإمام السجاد (ع) وصاحب العصر والزمان (عج) وأبو الفضل العباس اجتماعه الأخير فى دورته الثالثة بحضور أعضاء المجلس المنتخبين.

يهم مجلس خبراء القيادة التأكيد على النقاط التالية:

١- التأكيد على استمرار نهج الجمهورية الإسلامية التى أرساها الإمام الخمينى الراحل، والارتباط بين الحكم الإلهى ورأى الناس.

٢- الموقع الأساسى لقائد الثورة فى نظام الجمهورية

الإسلامية، وفى ختام الدورة الثالثة لمجلس خبراء القيادة اعتبار المشاركة فى انتخابات الدورة الرابعة تكليفا دينيا ووطنيا وفى سبيل الحفاظ على النظام المقدس للجمهورية الإسلامية.

٣- الانتخابات فى الجمهورية الإسلامية هى ساحة حضور الناس فى المجالات السياسية والاجتماعية، والاشتراك الواسع فى الانتخابات هو حق وواجب دينى ووطنى، ونعتبر سلامة الانتخابات، وإتاحة الفرص المتساوية للجميع ورعاية الأخلاق الانتخابية من العوامل المهمة لتشجيع الحضور الواسع للجماهير فى الانتخابات.

٤- مجلس الخبراء يدعو الشعب الشعب الإيرانى لتجنب ما يضعف الوحدة ويثير الاختلافات ، والالتزام بتعليمات قائد الثورة دام ظله.

٥- حصول الشعب الإيرانى المسلم على الطاقة النووية هو حق مسلم له ، وطلب المراقبة الدولية على النشاطات النووية للكيان الصهيونى الغاصب ونزع أسلحة الدمار الشامل التى يملكها.

٦- الانتصار البطولى الذى حققه الشعب اللبنانى وحزب الله فى مواجهة الكيان الصهيونى المجهز من رأسه وحتى أخمص قدميه، وحماته من المستكبرين يشكل ضربة جديدة لأمريكا ويثبت مرة أخرى صوابية النهج الذى وضعه الإمام الخمينى الراحل الذى دعا الشعوب الإسلامية إلى القيام والمقاومة ضد أعداء الإسلام.

الشعب الإيرانى يفتخر أن دماء شهدائه الأعزاء أثمرت وشكلت نموذجا للمقاومة وصمود الشعوب الحرة ، حيث تمكن أبناء الثورة الإسلامية فى لبنان وفلسطين من إركاع العدو المستكبر وأثبتوا ان زمن ضرب المسلمين وسلبهم الأمن والراحة قد ولى وان مشروع الشرق الأوسط الأمريكي قد فشل.

المجلس يبارك هذا النصر ويقدر الدور الذى لا يستغنى عنه الذى قامت به شخصية قيمة كالسيد حسن نصر الله، وحزب الله ومقاومة الشعب اللبنان?، ويوصى الشعوب الإسلامية أن سبب النصر الذى حزب الله لبنان على الأعداء المستكبرين هو تعلم الإسلام الأصيل والتمسك به، ويدعو جميع المؤمنين فى العالم إلى اخذ العبرة والتعرف على المعارف الإسلامية الأصيلة.

٧- فى أجواء بداية العام الدراسى الجديد ، نؤكد ان جيل الشباب هو أمل اليوم والغد وهو بانى مستقبل البلاد، لذا يجب الجهاد والتخطيط والسعى لرفع المستوى العلمى والأخلاقى للشباب، وتطوير البلاد لتحقيق الأهداف الموضوعة للعشرين سنة القادمة ، وإحباط مؤامرات الأعداء، وتوعية الشباب لهذه المؤامرات كى يقوموا بدورهم فى حماية أهداف الإمام والقيادة.

٨- فى الظروف الحساسة القائمة إحدى أهم المسائل الاستراتيجية فى المنطقة والعالم الإسلامى هى حماية الوحدة الإسلامية فى وجه مؤامرات الاستكبار العالمى والصهيونية، والامتناع عن الإفراط والتفريط والاختلافات القومية والعرقية والمذهبية، والوعى فى مواجهة الأهداف السلطوية الغربية والأمريكية والصهيونية.

وبلا شك فان أكبر عامل لتوفيق الأمة الإسلامية والشعوب الإسلامية فى الشرق الأوسط هى الوحدة والانسجام. يجب إحباط كل مؤامرات الأعداء، والحفاظ والدفاع عن استقلال وعزة الأمة الإسلامية وشعوب المنطقة.

وعلى الشعب العراقى أيضا ان يواصل طريق المجد والانتصار عبر الوحدة والتضحية، ويجب على النخب العراقية كافة سنة وشيعة وأكراد و.. الكفاح من أجل ميثاق موحد لبناء عراق عامر ومرفوع الرأس بعيدا عن سلطة الاحتلال. وهذا هو سر الانتصار.

٩- مباركة أسبوع الحكومة، وتقدير الشهيدين العزيزين رجائى وباهنر، وشكر الحكومات السابقة على جهودها، تمنى من الله التوفيق للحكومة الحالية التى جعلت العدالة وخدمة الناس محور حركتها والتى لا تكل ولا تتعب ولا سيما رئيس الجمهورية المحترم والشعب?ى

إن أشمل نصيحة للحكومة هى النصيحة والإرشادات التى أعلنها قائد الثورة دام ظله خلال لقائه رجال الدولة يوم الاثنين الماضى (٢٨ أغسطس).

وقد أكدت إرشادات قائد الثورة على معالجة مشاكل الفقر والحرمان، ودعت إلى السعى لمواجهة الفقر والفساد والتمييز، وندعو الحكومة إلى مراجعة دقيقة لحصيلة عملها خلال عام كامل ومقارنته بالخطط والبرامج والوعود الانتخابية، من اجل إزالة نقاط الضعف وتقوية نقاط القوة.

وفى النهاية التكريم والتقدير للأمام الراحل وشهداء الثورة الإسلامية والدفاع المقدس، والشهداء المظلومين فى العراق ولبنان وفلسطين وجميع البلدان الإسلامية.

دعوة الشعب الإيراني وجميع اتباع أهل البيت للاستفادة من هذه الأيام المباركة (شعبان ورمضان) من أجل الرقى الأخلاقى والروحى والارتباط بالله، والعمل على مساعدة إخوانهم.

الدعاء بطول العمر المبارك لقائد الثورة الإسلامية دام ظله

مجلس خبراء القيادة فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

افتتاحيات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية في شهر مرداد ١٣٨٥هـ.ش. الموافق يوليو/أغسطس ٢٠٠٦م

كانت حرب حزب الله اللبنانى مع إسرائيل هى الموضوع الرئيسي، وربما الوحيد، الذى شغل اهتمامات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية خلال شهر مرداد ١٣٨٥هـ.ش. الموافق يوليو/ أغسطس ٢٠٠٦، حيث تابعت الصحف أحداث وتطورات هذه الحرب منذ بدايتها وتداعياتها، وحتى صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، ووقف الحرب، ونتائجه. ولم تتفاوت اهتمامات الصحف سواء كانت أصولية أو إصلاحية حول هذا الموضوع، بل تناغمت فى التعبير عن هذا الاهتمام، ولم تتعارض مواقفها، بل صدرت عن رؤية تكاد تكون واحدة، كما عكست رأى الحكومة والشعب حيال هذه الأحداث بوضوح تام، حيث التقت رؤية الحكومة والشعب والإعلام على صعيد واحد.

فيما يتعلق بلبنان أكدت الصحف جميعها على وحدة لبنان وتماسكه على اختلاف طوائفه وهيئاته ومذاهبه وأحزابه، مؤكدة أن الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل لم ولن ينجحا فى ضرب الوحدة الوطنية للشعب اللبناني، وأن حزب الله جزء لا يتجزأ من نسيج هذا الشعب، وأن الجنوب اللبنانى جزء لن ينفصل عن التراب اللبناني، وأن فشل زيارة رايس للمنطقة من أجل الترويج لمشروع الشرق الأوسط الأمريكى الإسرائيلي، يدعم وحدة لبنان وصموده، هكذا أكدت صحيفة كيهان فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٣و٢٦و٢٠٠٦/٧/٢٩م، وصحيفة اطلاعات فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٣و٥و٦و٨/٩، وصحيفة جمهورى اسلامى فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٣و٢٦و٧/٢٩ وصحيفة همشهرى فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٣و٢٥و٢٦و٧/٣٠ وصحيفة رسالت فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٣و٢٤و٢٥و٧/٢٦، وصحيفة شرق فى افتتاحيات أعدادها بتاريخ ٢٤و٢٥و٢٦و٢٧و٢٩و٧/٣٠.

وقد عزفت الصحف الإيرانية كافة فى افتتاحيات أعدادها خلال هذا الشهر سيمفونية عذبة عند حديثها عن حزب الله اللبناني، وقائده السيد حسن نصر الله، فوصفته بالخبير المجرب، حيث وصل فى التعامل مع إسرائيل إلى نتيجة مؤداها خلاصة ما ذكره القرآن الكريم عن كفرة اليهود، مما جعله يدرك أن لا مجال للتعامل معهم إلا من خلال ثقافة المقاومة التى تعتمد ثقافة الاستشهاد. وأن إيران توقعت من هذا الرجل الكثير، وصدق حدسها إذ أصبح الزعيم الوحيد للمقاومة فى لبنان، وأمل شعب لبنان والشعوب العربية والإسلامية فى الاستقلال والتحرر من ربقة العدو الصهيوني، عندما هزم عدوا يدعى أنه لا يقهر، وصمد أمام أقوى جيش فى المنطقة، وأثبت أن إرادة المقاومة والالتزام بها هى السبيل الوحيد لمنع العدو من التوسع أو تحقيق أى نوع من النصر، ولم يستطع العدو الإسرائيلى أن يصل إليه بعد اجتياحه الجنوب، لأن موطنه فى قلب كل لبناني، وحيثما حل صار البيت بيته والناس أهله، لقد نجح هذا الشاب فى غرس مفهوم المقاومة وثقافة الاستشهاد فى نفوس شعب لبنان، فلم يعد حزب الله مجرد حزب سياسي، بل صار صرح المقاومة وممهد سبيلها بصدق وتواضع، وعنصر جذب المخلصين إلى المقاومة، فصار موضع ثقة اللبنانيين لأنه لا ينسب انتصاراته على العدو الصهيونى لنفسه، وإنما يؤكد أنها ما تحققت إلا بدعم الشعب اللبناني، والشعوب العربية والإسلامية. صنع هذا الشاب حماسة وخلق أسطورة فى شعب عملى يهتم بالمصلحة، فغير مفهوم المصلحة من المسائل المادية والشخصية إلى المسائل المعنوية والقضايا الوطنية والإسلامية.

وأكدت الصحف الإيرانية فى افتتاحياتها أن أمل إسرائيل فى هذه الحرب العدوانية غير المتكافئة كان معقودا على القضاء على حزب الله مما يعنى القضاء على المقاومة، أو تقليم أظافرها بنزع سلاح حزب الله، لكن آمالها ظلت تتراجع إلى الحد الذى قبلت فيه بوقف القتال قبل أن تحقق أهدافا عسكرية أو استراتيجية، فقد فوجئت إسرائيل بأن حزب الله والمقاومة اللبنانية قد بلغت حدا من الكفاءة والتحديث فى حرب العصابات لم تبلغه أية منظمة فدائية أخرى، مشيرة إلى أن فشل إسرائيل فى إضعاف حزب الله أو نزع سلاحه يمثل انتصارا لحزب الله بغض النظر عن التضحيات التى قدمها، لأنه يستطيع تجاوز هذه التضحيات التى أعد لها نفسه من قبل.

كما أشارت الصحف الإيرانية فى افتتاحيات أعداد ٧/٣١ إلى مذبحة قانا مستنكرة إياها، ومؤكدة أنها تعبير عن الفشل العسكرى الإسرائيلي، وعجز جيش إسرائيل عن تحقيق نصر على حزب الله، مما جعله يلجأ إلى قتل المدنيين الأبرياء، وضرب البنية التحية اللبنانية بحجة إضعاف المقاومة.

كما أشارت الصحف فى افتتاحيات أعداد ١٢و١٣و٨/١٤ إلى صدور قرار مجلس الأمن هدية وخدمة لإسرائيل، وأن قبول حزب الله بقرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ حقنا لدماء الأبرياء، وأنه قد أدهش المراقبين وبرهن على حسن توجه حزب الله للصالح العام، دون البحث عن المكاسب أو المقابل المستحق، وأن حزب الله مع قبوله هذا القرار يدرك أنه سوف يواجه صعوبات وتداعيات كثيرة تحتاج إلى تحمل وصبر وانضباط وتدبر عظيم، ولكنه يريد أن يبلغ رسالته إلى الجميع، سواء من أيدوه أو وقفوا ضده أو وقفوا على الحياد فى حربه غير المتكافئة، مشيرة إلى بعض الدول العربية، وبعض علماء أهل السنة من الوهابيين، وسواء لأعدائه ومن يناصرهم ويدعمهم، وتتلخص هذه الرسالة فى أنه ليس حزبا سياسيا يندرج تحت مواصفات الأحزاب السياسية، ولكنه حركة وطنية شعبية تمتد فى وجدان كل وطنى حر يؤمن بالله وقدرته وقدره، وقد أثبت قائده السيد حسن نصر الله أنه الصورة المثالية للقائد الذى يرضاه الله ورسوله.

وأشارت الصحف إلى أن قبول حزب الله انتشار الجيش اللبنانى فى الجنوب يعنى أنه جزء من هذا الجيش فهو لم يترك مواقعه، لأن الجيش لن يستغنى عن خبراته فى هذا الموقع، وسوف يكون القائد الفعلى لهذا الجيش بغض النظر عن الظاهر، فهو لا يطلب سلطة بل عملا وطنيا. وأبرزت الصحف الإيرانية قول السيد حسن نصر الله إن ما لا تستطيع إسرائيل تحقيقه يعتبر سلبا يضاف إلى إيجابيات حزب الله ومكاسبه. كما أن حزب الله بدأ فور انسحاب القوات الإسرائيلية عملية مساعدة العائدين إلى الجنوب اللبناني، وعملية إعمار هذه المنطقة.

قامت الصحف الإيرانية فى افتتاحيات أعداد ٧/٣١ و٣و٩و٨/١٩ بتحليل رسالة الزعيم سيد على خامنئى إلى السيد حسن نصر الله، وأحاديثه حول صمود لبنان وحزب الله مؤكدة أن حزب الله قد حصل على مكانة عظيمة لدى العرب والمسلمين بتفضيله المقاومة على المهادنة والاستشهاد على الذلة، وتقديم المصلحة الوطنية على المصلحة الحزبية، ورغبة الأمة على رغبة السياسيين، فكسر احتكار الدعم، ومنع التبعية لأية دولة عربية أو إسلامية أو غير ذلك، وأوجد بعدا عالميا للمقاومة، وهزم مصطلح الإرهاب الذى يستعمله الغرب سلاحا ضد حركات المقاومة.

لم تنس الصحف الإيرانية فى افتتاحيات أعداد ١و٢و٦و٨/٩ التعليق على قرار مجلس الأمن بمطالبة إيران وقف نشاط تخصيب اليورانيوم، من منطلق واحد، مؤكدة أن إيران قد توفرت لها الندية فى عرض وجهات نظرها، بما يثبت متابعتها لأدق تفاصيل الخريطة المعرفية العالمية، بل بما يشير إلى فهمها العميق لطبيعة التغيرات التى لحقت بالمجتمع العالمي، ولمنطق التطور فى العلاقات الدولية والاقتصادية والسياسية والثقافية بين الأمم، وهناك شواهد متعددة على إنجازات مشهودة فى مفاوضات دولية بالغة التعقيد، وفى مجالات متعددة، إنجازات تشهد بالقدرة على الحوار، وعلى إقناع الأطراف الأخرى من خلال استراتيجية الجلد السميك والهيكل الانسيابي، ومن ناحية أخرى ترفض التدخل الأجنبى فى شئونها، وتعتبر أن استمرار أبحاثها فى مجال الطاقة النووية فى الأغراض السلمية حق مشروع لها، وسترفض كل قرار يحرمها من هذا الحق المشروع فى إطار قيمها الثورية والإسلامية، وهو ليس واجبها وحدها، وإنما واجب الدول الإسلامية كلها، وأن إيران تتخذ موقفا يبدو فيه القدرة على تقديم الحلول، وهو الموقف الذى يرتضيه الشارع السياسى الإيراني، وأن هذا القرار يستوجب بدء مرحلة جديدة من المفاوضات، تسمح لها التعامل بمصداقية، وتوفير آليات التعاون، وتبادل المصالح.

التلميذ تفوق على أستاذه

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

عندما كنت في طهران لحضور مؤتمر حول العلاقات الإيرانية بدول شمال أفريقيا عام ١٩٩٦م، تصادف وجود السيد حسن نصر الله في إيران خلال فترة المؤتمر في زيارة لإيران، كان يتباحث فيها حول مزيد من الدعم الإيراني لحزب الله اللبناني، وكان لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره، ويتولى رئاسة الهيئة التنفيذية لحزب الله إضافة إلى عضوية مجلس الشورى أعلى مركز في حزب الله. وقد حرص السيد حسن نصر الله على لقاء المشاركين العرب في المؤتمر، وكنت من بينهم، واستضاف السفير السوري في طهران هذا اللقاء في بيته، وعند وصولي رحب بي السيد حسن نصر الله، وأجلسني بجواره، والتقطوا لي صورة تذكارية معه، وكانت فرصة لنتجاذب أطراف الحديث.

كان من الواضح أن السيد حسن نصر الله مهتم بدعم علاقاته مع مصر، كما مع إيران، وكان في حديثه يعطي المصريين حقهم في الإشادة بمواقفهم، ودعمهم للقضايا العربية، وخاصة قضيتي فلسطين ولبنان، وهو يتفق مع الإخوة الإيرانيين في أن المصريين سنة الهوية وشيعة القلب، ومن ثم فهو عندما يجلس معهم تجتمع في قلبه أخوة الدم وأخوة المذهب، وقد بدا أن الرجل صادق في كلامه. وكان حديثه عن إسرائيل حديث خبير مجرب، وصل في التعامل معها إلى نتيجة مؤداها خلاصة ما ذكره القرآن الكريم عن كفرة اليهود، مما جعله يدرك أن لا مجال للتعامل معهم إلا من خلال ثقافة المقاومة التي تعتمد على ثقافة الاستشهاد. وقد توقعنا من الرجل الكثير، وصدق حدسنا إذ أصبح الزعيم الوحيد للمقاومة في لبنان، وأمل شعب لبنان والشعوب العربية والإسلامية في الاستقلال والتحرر من ربقة العدو الصهيوني، عندما هزم عدوا يدعي أنه لا يقهر، وصمد أمام أقوى جيش في المنطقة، وأثبت أن إرادة المقاومة والالتزام بها هي السبيل الوحيد لمنع العدو من التوسع أو تحقيق أي نوع من النصر.

إن ذلك الشاب الذي ولد ونشأ في جنوب لبنان، لم يستطع العدو الصهيوني أن يصل إليه بعد اجتياحه الجنوب، لأن موطنه في قلب كل لبناني، وحيثما حل صار البيت بيته والناس أهله. لقد نجح هذا الشاب في غرس مفهوم المقاومة وثقافة الاستشهاد في نفوس شعب لبنان، فلم يعد حزب الله مجرد حزب سياسي، بل صار صرح المقاومة وممهد سبيلها بصدق وتواضع، وعنصر جذب المخلصين إلى المقاومة، فصار موضع ثقة اللبنانيين لأنه لا ينسب انتصاراته على العدو الصهيوني لنفسه، وإنما يؤكد أنها ما تحققت إلا بدعم الشعب اللبناني، والشعوب العربية والإسلامية. صنع هذا الشاب حماسة وخلق أسطورة في شعب عملي يهتم بالمصلحة، فغير مفهوم المصلحة من المسائل المادية والشخصية إلى المسائل المعنوية والقضايا الوطنية والإسلامية. يعتبر آية الله علي أكبر محتشمي پور وزير الداخلية الإيراني السابق وسفير إيران في سوريا وأمين عام المؤتمر الدولي لانتفاضة فلسطين وأحد مؤسسي مجمع رجال الدين المناضلين(روحانيون مبارز) أحد كبار المهتمين بالسيد حسن نصر الله وحزب الله، وكبار داعميه، ولا يخفى أنه كان أستاذ السيد حسن نصر الله في عدة مجالات سياسية واستراتيجية ومذهبية، وكان رفيقه في عملية بناء جديدة لحزب الله وجناحه العسكري، وإزاء الأحداث الأخيرة والمواجهة العسكرية بين حزب الله وإسرائيل، لم يجد آية الله

علي أكبر محتشمي بور مناصا من أن يعترف بأن التلميذ السيد حسن نصر الله قد تفوق على أستاذه.

كان أمل إسرائيل في هذه الحرب العدوانية غير المتكافئة معقودا على القضاء على حزب الله مما يعني القضاء على المقاومة، أو تقليم أظافرها بنزع سلاح حزب الله، لكن آمالها ظلت تتراجع إلى الحد الذي قبلت فيه بوقف القتال قبل أن تحقق أهدافا عسكرية أو استراتيجية، فقد فوجئت إسرائيل بأن حزب الله والمقاومة اللبنانية قد بلغت حدا من الكفاءة والتحديث في حرب العصابات لم تبلغه أية منظمة فدائية أخرى، وأن السلاح الذي يستخدمه قد تطور وشمل من صواريخ الكاتيوشا حتى صواريخ الزلزال التي تستطيع أن تصل إلى آخر نقطة في إسرائيل، فمساحة إسرائيل ٢٧ ألف كيلومترا مربعا، عرضها ١١١٢ في طول ٢٠٠ كيلومتر، ومدى صاروخ زلزال ٢ الذي يملكه حزب الله يصل إلى٢٥٠ كيلومترا. فضلا عن السلاح السري الذي تملكه المقاومة وهو ثقافة الاستشهاد التي تعطي مقاتليها القوة والجرأة وإتقان العمل والمهارة التجريبية والمكتسبة سواء في التدريب في إيران أو جبهات القتال خلال الحرب العراقية - الإيرانية التي امتدت ثماني سنوات، أو مع العدو الإسرائيلي على الجبهات اللبنانية خلال ثماني عشرة سنة، ودراسته الخطط الإسرائيلية تماما، واختياره الخنادق المناسبة والقواعد المتقدمة المضادة للقنابل في جبال لبنان، فلم تستطع إسرائيل القضاء على قواعده ولا الوصول إلى قياداته رغم ذلك الدمار الكبير الذي أحدثته في لبنان، والقنابل الذكية التي استخدمتها. هذه الخبرة والمهارة التي اكتسبها حزب الله كان نتيجة التوكل على الله، والاعتماد على الذات، ورفض اشتراك أي أجنبي في صفوفه ولو كان حليفا عربيا أو إيرانيا، إلا أن يكون في خطوط الدعم والتدريب وليس في خطوط القتال، هذه الوطنية الخالصة جعلت كافة أبناء الشعب اللبناني وطوائفه تؤيد حزب الله وتدعمه ولا تتدخل في شئونه، بل تمنحه حرية الحركة في جنوب لبنان للدفاع عنه، مع ثقة في كفاءته. بل صار معارضوه متفقين معه، إلى الحد الذي يصبح نبيه بري متحدثا باسمه في أية مفاوضات.

هكذا تفوق تلامذة حزب الله اللبناني على أساتذتهم من جيش حراس الثورة الإسلامية الإيرانية بشكل لا يقبل المقارنة، فقد صار حزب الله قوة بارزة واستثنائية من حيث العلم والقدرة والتجربة بالمقارنة مع أية منظمة في حجمها. كان تلامذة حزب الله يتدربون في مجموعات تصل إلى ثلاثمائة فرد في دورات تتم في لبنان وسوريا وإيران، حتى أصبح عدد المتدربين يزيد على مائة ألف مقاتل، لا يعملون جميعا بصفة دائمة.

كما أن التسليح الذي اختاره حزب الله فعال ومؤثر إلى درجة أنه حتى لو اضطرت قوات حزب الله إلى الرجوع خلف نهر الليطاني، فإن صواريخ رعد ١ ورعد ٢ وحتى الكاتيوشا تستطيع أن تصل إلى عمق ٣٠ كيلومترا في أرض إسرائيل، كما أن صواريخ خيبر ١و٢و٣ تصل إلى عمق ٧٠ و١٢٠ و٢٥٠ كيلومترا في أرض إسرائيل، وهكذا فإن وجود حزب الله في مواجهة إسرائيل واستمراره في المقاومة يعني قدرة عربية تستطيع أن تستثمر الدعم باختلاف مصادره من أجل بقاء الأمة العربية في مواجهة أعدائها.

إن فشل إسرائيل في إضعاف حزب الله أو نزع سلاحه يمثل انتصارا لحزب الله بغض النظر عن التضحيات التي قدمها، لأنه يستطيع تجاوز هذه التضحيات التي أعد لها نفسه من قبل، كما أن قبوله انتشار الجيش اللبناني في الجنوب يعنى أنه جزء من هذا الجيش فهو لم يترك مواقعه، لأن الجيش لن يستغني عن خبراته في هذا الموقع، وسوف يكون القائد الفعلي لهذا الجيش بغض النظر عن الظاهر، فهو لا يطلب سلطة بل عملا وطنيا. وقد قال السيد حسن نصر الله: إن ما لا تستطيع إسرائيل تحقيقه يعتبر سلبا يضاف إلى إيجابيات حزب الله ومكاسبه. كما أن حزب الله بدأ فور انسحاب القوات الإسرائيلية عملية مساعدة العائدين إلى الجنوب اللبناني، وعملية إعمار هذه المنطقة. لقد حصل حزب الله على مكانة عظيمة لدى العرب والمسلمين بتفضيله المقاومة على المهادنة والاستشهاد على الذلة، وتقديم المصلحة الوطنية على المصلحة الحزبية، ورغبة الأمة على رغبة السياسيين، فكسر احتكار الدعم، ومنع التبعية لأية دولة عربية أو إسلامية أو غير ذلك، وأوجد بعدا عالميا للمقاومة، وهزم مصطلح الإرهاب الذي يستعمله الغرب سلاحا ضد حركات المقاومة. إن قبول حزب الله قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ قد أدهش المراقبين وبرهن على حسن توجه حزب الله للصالح العام، دون البحث عن المكاسب أو المقابل المستحق، إن حزب الله مع قبوله هذا القرار يدرك أنه سوف يواجه صعوبات وتداعيات كثيرة تحتاج إلى تحمل وصبر وانضباط وتدبر عظيم، ولكنه يريد أن يبلغ رسالته إلى الجميع، سواء من أيدوه أو وقفوا ضده أو وقفوا على الحياد في حربه غير المتكافئة، وسواء لأعدائه ومن يناصرهم ويدعمهم، وتتلخص هذه الرسالة في أنه ليس حزبا سياسيا يندرج تحت مواصفات الأحزاب السياسية، ولكنه حركة وطنية شعبية تمتد في وجدان كل وطني حر يؤمن بالله وقدرته وقدره. وقد أثبت قائده السيد حسن نصر الله أنه الصورة المثالية للقائد الذي يرضاه الله ورسوله.

نظرة على تطور الرقابة التصحيحية فى إيران

http://www.irisn.com/nezjrt-jstesvjbe

يعرف التحكيم أو القضاء بوصفه إحقاقا للحق وابطالاً للباطل، فبلا أدنى شك تعتبر الرقابة على تنفيذ القوانين أيضا نوعا من القضاء الذى يميز بين الردئ والسيئ اللذين هما وجهين لعملة واحدة، لا ينفصل أحدهما عن الآخر.

وإذا اعتبرنا أن الرقابة نفسها من مقام القضاء، فمن الطبيعى ألا يرضى عنها البعض تارة، أو ينتقدها البعض الآخر تارة أخرى. والواقع أن رقابة (إشراف) مجلس صيانة الدستور على انتخابات مجلس الشورى الإسلامى قد أثير حولها الكثير من الاعتراضات خاصة ما يتصل بـ"الرقابة التصحيحية"، ولعل هذا ما دفعنا للبحث حول جذور تلك الاعتراضات، ووجهات النظر المختلفة بهذا الخصوص.

طرح المسألة وتوضيح محل النزاع:

منذ البداية وحينما كان الإنسان يباشر أموره وإدارة مصالحه بنفسه حينها لم يكن للمؤسسة الرقابية أى معنى، ولكن مع التتابع وظهور مؤسسات الوكالة والوصاية وأمثالها فى إدارة أموال ومصالح الغير نيابة عنه، وكذا مع معرفة الإنسان المؤسسة الحكومية فى تنظيم علاقاته الاجتماعية اكتسبت الرقابة جوانب حقوقية، وسرعان ما تحولت إلى موقع قانونى بجوار بقية المؤسسات القانونية التقليدية كلما تعقدت الإنسانية فيما بينها، بشكل قد أصبح معه كل الأنظمة القانونية فى العالم لها مؤسسة رقابية تشملها دساتيرها للحيلولة دون استغلال سلطة ما نفوذها على الآخرين.

وكذا لم يغفل الدستور الإيرانى المصدق عليه عام ١٩٧٩، عن مثل هذه المؤسسة القانونية، بل وأشار إليها فى مواده المتعددة.

فضلاً عن أن هذا الدستور المصوت عليه مباشرة من قبل الشعب الإيرانى يعترف رسمياً "بسيادة الإنسان على مصيره الاجتماعى".

ومن أجل هذا أقر الدستور بأن أمور الدولة يجب إدارتها انطلاقاً من أصوات العامة وعبر الانتخابات، انتخابات رئيس الجمهورية، نواب مجلس الشورى الإسلامى، أعضاء المجالس المحلية ونظائرها، أو عبر الاستفتاء العام الذى أقر مواده أيضاً، وكذا نص المادة (٦٢) من الدستور: "يتألف مجلس الشورى الإسلامى من نواب الشعب الذين ينتخبون مباشرة، وباقتراع سرى...". لكن من الملاحظ أن إجراء الانتخابات على مستوى جميع أرجاء إيران بعد أمرا غاية فى الصعوبة، وليس بمقدور أى مؤسسة أخرى غير مؤسسات السلطة التنفيذية بإمكاناتها المادية والبشرية تحمل مسئولية إقامة مثل تلك الانتخابات. لذا فعلى خلاف نص مسودة الدستور، جاء نصها النهائى ودون تحديد لمؤسسة بعينها من أجل إقامة الانتخابات، وترك هذا للقوانين العادية التى تعطى هذه الوظيفة لوزارة الداخلية.

ومن هنا كان مدراء السلطة التنفيذية يرون أن اقتدارهم مستمد من مجلس الشورى، وأن استمرارية سلطتهم كانت ترتبط بتركيبة المجلس القادمة وبنتائجها الانتخابية، لذا نجد أن المادة (٩٩) من الدستور نصت على الآتى: "يتولى مجلس صيانة الدستور الإشراف (الرقابة) على الانتخابات الخاصة بكل من مجلس خبراء القيادة ورئاسة الجمهورية، وأعضاء مجلس الشورى الإسلامى، وعلى الاستفتاء العام".

ورغم أن هذه المادة أشارت إلى الرقابة على الانتخابات، وتناولتها ضمن الوظائف الأخرى لهذا المجلس (مجلس صيانة الدستور) إلا أنها لم تحدد نوعية هذه الرقابة تماماً، بحيث إننا نجد هناك فى المتون الفقهية والقانونية نوعين من الرقابة هما: الرقابة المعرفية والرقابة التصحيحية وكلاهما له آثاره ونتائجه المغايرة للآخر.

النوع الأول من الرقابة يكون معها للمنفذ الصلاحيات الكاملة والقدرة على اتخاذ القرار، إلا انه يلتزم فقط بعرض تقرير يحوى أداءه على المراقب.

أما النوع الثانى من الرقابة فلا يكون هناك أدنى سلطة أو قدرة للمنفذ بدون تصويت وإقرار المراقب. وعلى أية حال، فإن الدستور لم يشر إلى نوعية هذه الرقابة، ومن ثم كان طبيعياً إثارة الخلاف بين أوساط النخبة من ناحية وبين مجلس الرقابة باعتبارها مؤسسة رقابية ووزارة الداخلية باعتبارها مؤسسة تنفيذية على عاتقها تقع مسئولية تصحيحية، البعض يدافع عن الأولى فى حين يناصر الآخر الثانية، وكلاهما يحاول الاتيان بالأدلة والأسانيد التى تثبت وجهة نظره، وفى الوقت ذاته، تفند الرأى الآخر.

وعلى سبيل المثال، لا الحصر، فإن معارضى الرقابة التصحيحية يرون أن مجلس الرقابة تنصرف رقابته فى الأساس على رقابة معرفية دون أى قدرة على اتخاذ القرار، حيث أن وظيفته تكمن فى عرض أداء الجهة المنفذة للانتخابات على الشعب والسلطة القضائية فقط.

وكذا يؤكد أنصار هذه المعارضة على عدم أحقية مجلس الرقابة فى إبطال النتائج الانتخابية، وأن قرارات وإجراءات وزارة الداخلية فى هذا الشأن قطعية ونافذة ولا تحتاج إلى تصويت من مجلس الشورى.

كذلك الأمر مع بحث أهلية المرشحين لانتخابات مجلس الشورى، فكل من الهيئة التنفيذية التابعة لوزارة الداخلية ومجلس الرقابة يرى عدم أحقية الآخر فى إصدار القرار حيال هذا الشأن، يعنى أيهما له الرقابة المعرفية وأيهما التصحيحية؟؟

أما على أرض الواقع فإن مجلس صيانة الدستور له كافة الصلاحيات الملزمة فى انتخابات مجلس الشورى الإسلامى، أوصى بذلك مؤسس الجمهورية فى إيران (الخمينى) للحيلولة دون وصول أشخاص غير مؤهلين إلى مراكز اتخاذ القرار فى إيران.

خلاصة القول إن الرقابة التصحيحية لمجلس صيانة الدستور على انتخابات مجلس الشورى الإسلامى أمر غير عادل قابل للإنكار، غير أن البعض قد يكون لديه النقد، فهناك من يؤيد الرقابة التصحيحية وهؤلاء أطلق عليهم اصطلاحا الرقابة العامة، أما من يعارض الرقابة التصحيحية فقد أطلق على نظريتهم "الرقابة الاستثنائية".

الرقابة العامة والتصحيحية من النظرة القانونية:

سبق أن ذكرنا أن الدستور لم ينص صراحة على شكل ونوعية الرقابة، ولا شك فى أن هذه المسألة هى أبرز مبهمات الدستور، والتى غالباً ما تؤدى إلى كثير من الخلافات بين أجهزة الدولة المختلفة، رغم أن مادة الدستور قد فصلت هذا الأمر حينما أقرت أن تفسير الدستور من اختصاص مجلس صيانة الدستور بتصديق ثلاثة أرباع الأعضاء.

ومن ثم فإن أفضل إجراء لرفع الخلافات الموجودة الرجوع لمجلس الصيانة من أجل تفسير الدستور، بذلك نصل إلى وجهة نظر واحدة.

فى أول انتخابات مجلس الشورى الإسلامى لدورته الأولى، لم يكن مجلس الصيانة قد تشكل بعد، وذلك نظراً لكون مجلس الشورى نفسه هو الذى يقوم بانتخاب الستة أعضاء القانونيين (إضافة إلى الستة أعضاء الفقهاء الذين ينتخبهم المرشد)، ومن ثم قام مجلس الثورة بالتصويت على لائحة قانون انتخابات المجلس، إذ ووفقاً لهذا القانون فإن الرقابة على الانتخابات تقع على عاتق اللجنة الرقابية التى شكلها مسئول كل مدينة، والصلاحيات هنا تكون معرفية وليست تصحيحية وبالعكس القائمون على الانتخابات هم الذين لديهم كافة الصلاحيات. أما بعد إقامة الانتخابات، وبلورة المجلس، يتشكل مجلس صيانة الدستور الذى طرح قانون رقابة مجلس صيانة الدستور على انتخابات مجلس الشورى الإسلامى للتصويت عليه إلى أن تم ذلك بعد فترة من تمديد العمل بتلك اللائحة فى مايو من عام ١٩٨٦ .

هذا ووفقاً للمادة ٣ من هذا القانون فإن "الهيئة المركزية للرقابة يكون لها حق المراقبة والإشراف على كافة المراحل الانتخابية بما فى ذلك إجراءات وزارة الداخلية والهيئات التنفيذية وكذا تشخيص صلاحيات المرشحين والأمور الأخلى المتعلقة بصحة الانتخابات...".

المادة (٤) من نفس القانون تنص على الآتى: "إن وزارة الداخلية تقوم بتهيئة المجال لإقامة الانتخابات الخاصة بانتخابات مجلس الشورى بعد تصويب مجلس الصيانة على ذلك".

المادة (١١) تنص على أن "الهيئة المركزية للرقابة ... يجب أن تطرح الأدلة والأسانيد الدالة على عدم صحة الإجراءات الانتخابية - فى أى مرحلة - على مجلس الصيانة حتى يتم الفصل فى المسألة".

مما سبق تناوله يتضح أن الرقابة على انتخابات المجلس تئول إلى مجلس صيانة الدستور، كما أن هذه الرقابة عامة وتشمل كافة مراحل الانتخابات المختلفة.

الرقابة العامة والتصحيحية من وظائف مجلس الصيانة، ومن اللافت للأنظار أن السلطات الحاكمة فى إيران والتى تمارس صلاحياتها بإشراف ولى الأمر المطلق (المرشد) لم تحظى بصلاحيات مثل صلاحيات مجلس الصيانة، حتى أن المادة (٩٣) من الدستور تنص على أن "مجلس الشورى لا يعد سنداً قانونياً بدون

وجود مجلس الصيانة ذاته، وكذا المادة (٩٨) أفادت بأن تفسير الدستور هو من ضمن مسئوليات مجلس الصيانة أيضاً.

وبعبارة أخرى، لو أن أعضاء مجلس الصيانة (تسعة أعضاء) قاموا بتفسير نص قانونى (دستورى) ما، فإن مجلس الشورى الإسلامى والكافة ملزمون آنذاك باتباع وتنفيذ هذا التفسير، إذن كيف يتسنى لنا بعد ذلك اعتبار أن رقابة هذا المجلس هى رقابة معرفية وليست رقابة تصحيحية؟!

ولعل أيضاً مسالة الرقابة العامة والتصحيحية تنطبق كذلك مع فتوى الخمينى حينما أكد فى مواقف مشابهة لها فى باب الوقف: "أن الواقف يمكنه تحديد المراقب (المشرف) على الوقف". وهذا ما يتمشى تماماً مع ما جاء فى المادة (٩٩) من الدستور والقائلة: "يتولى مجلس صيانة الدستور الإشراف على انتخابات مجلس خبراء القيادة ورئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الشورى، وعلى الاستفتاء العام".

ومن ناحية أخرى، يذكر خامنئى فى سياق التأكيد على نظرية الرقابة التصحيحية ذاتها "أن الجدل الناشئ حول الرقابة التصحيحية يعد إحدى القضايا الخاوية التى لا تهدف سوى إلى إضعاف مكانة مجلس الصيانة، واعتلاء نفوذ العناصر المعارضة للإسلام وللإمام والنظام والتشريع فى إيران ..... هذا الذى لن يتحقق ....".

أداء مجلس الصيانة ووزارة الداخلية حيال الرقابة التصحيحية للانتخابات الخاصة بمجلس الشورى:

كما ذكرنا آنفاً أن أول انتخابات مجلس الشورى الإسلامى لم يكن مجلس الصيانة قد تشكل بعد، أما التجديد النصفى لانتخابات المجلس فى دورته الأولى فقد كان أول إشراف لمجلس الصيانة وحينها تقدم لدوائر انتخابات طهران ٥٧ مرشحاً لتسجيل أسمائهم، تم رفض أهلية ٢٤، وأيد ٣٣ مرشحاً فقط، وكان من بين الذين رفضت أهليتهم أشخاص تابعون لأحزاب اليسار خاصة عناصر حزب "توده" ومنظمة فدائى خلق وغيرهم. (من بينهم السيد إحسان طبرى، نور الدين كيانورى) وحينما لم يعترض وزير الداخلية على رفض أهلية البعض أعتبر ذلك دليلاً على أنها رقابة تصحيحية وعامة.

أما فى الدورة الثانية لمجلس الشورى، حينما رفض أهلية ٢٤ مرشحاً أيضاً واعترض وزير الداخلية على هذا الأمر، أفاده أمين عام مجلس الصيانة برسالة تتضمن الشرح التالى: "وفقاً للمادة ٩٩ من الدستور، وكذا المادة (٣) من قانون انتخابات مجلس الشورى، فإن رقابة مجلس الصيانة تعد رقابة عامة وتصحيحية على كافة المراحل الانتخابية بما فى ذلك رفض أهلية المرشحين". وهكذا كان يتكرر الحال فى كل دورة انتخابية أخرى لمجلس الشورى الإسلامى حينما كان يتم رفض أهلية بعض المرشحين بأن يقوم وزير الداخلية بالاعتراض على الإجراء المتبع من قبل مجلس الصيانة، غير إن أمين مجلس الصيانة كان يرد عليه برسالة تذكره بعمل المجلس وسلطته الرقابية العامة التى تشتمل على كل مراحل العملية الانتخابية، مما يشير بدوره إلى أن رقابة مجلس صيانة الدستور على انتخابات مجلس الشورى الإسلامى هى رقابة تصحيحية ومن ثم يمكننا القول إن الجلبة المثارة حول مسألة الرقابة إنما هى إحدى القضايا الخاوية التى لا تهدف سوى إلى إضعاف مكانة مجلس الصيانة، واعتلاء نفوذه بعض العناصر المعارضة للإسلام وللإمام ...، هذا الذى لن يتحقق.

مجلس الخبراء من وجهة نظر الإمام الخمينى

مهدى مجيدى قدس (القدس) ٢٠٠٦/٧/١٩

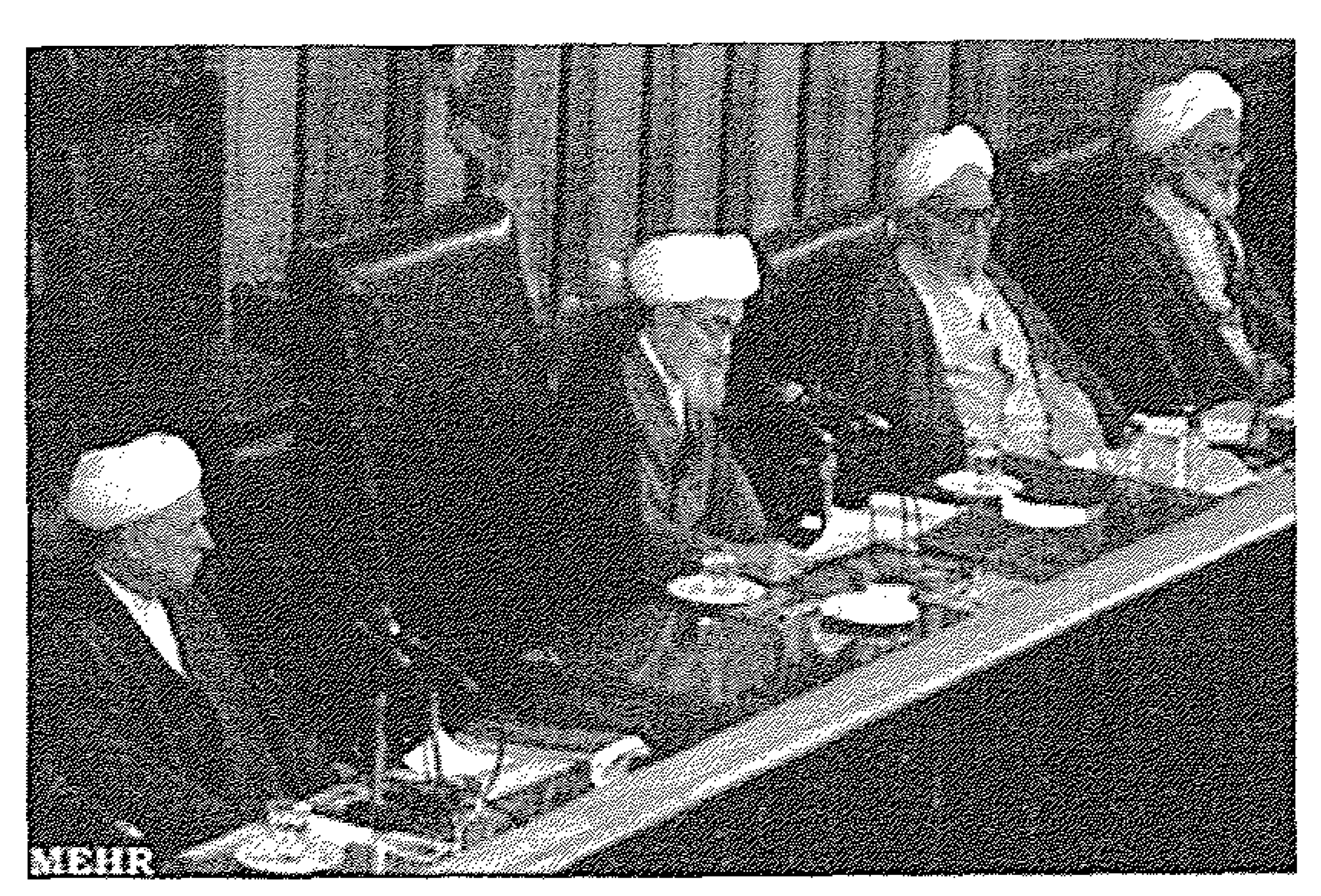
تحولت إيران إلى نظام الجمهورية الإسلامية بعد أن صوت ٩٨,٢٪ من الشعب لمصلحة قيام هذا النظام عام ١٩٧٩، وتدريجياً تكونت أركان هذا النظام، وفى تلك الأثناء تحدث الأمام الخمينى ذو الرصيد الشعبى الضخم عن إقامة مجلس المؤسسين الذى عرف فيما بعد باسم مجلس الخبراء.

كانت هذه الخطوة من الإمام غير مسبوقة فى تاريخ إيران فقد أتاحت قيام إطار قانونى حمل فى طياته أفكار وأهداف القوى الثورية، فقد تمكن مجلس الخبراء فى فترة زمنية صغيرة من التوصل إلى مسودة الدستور التى تم الإعداد لها من جانب القوى الثورية بتأييد من الإمام الخيمنى.

وقد شهد مجلس الخبراء مناقشات وتطورات جذرية أضفت روحاً جديدة للجمهورية الإسلامية

وأرست قواعد نظام نظرية ولاية الفقيه التى تم طرحها فى السابق من جانب الإمام الخمينى بوصفها نظرية سياسية لتجد طريقها فى الدستور الذى لم يشر إليها مطلقا فى المسودة.

كما شهد مجلس الخبراء تحديات وصراعات وجدلا بشأن توزيع السلطة السياسية فى النظام الإيرانى الجديد.



انتخابات مجلس الخبراء الأولى

بعد سقوط الحكم البهلوى، تعهد المجلس الثورى بقيادة الثورة فى الداخل والخارج حيث تشكلت النواة الرئيسية له فى فترة إقامة الإمام الخمينى فى باريس.

هذا المجلس تكون من رجال الدين البارزين والثوريين الذين تزايدت أعدادهم فيما بعد، أما السادة طلقانى وبهشتى وباهنر وهاشمى رفسنجانى وموسوى اردبيلى ومطهرى فقد تزعموا قيادة هذا التياربشكل سرى فى البداية. ومع مجئ الإمام الخمينى إلى إيران ,وتشكيل الحكومة المؤقتة ، التحقت عناصر جديدة بمجموعة رجال الدين.. وبناء عليه ضمت تركيبة المجلس الثورى، عناصر ليبرالية إسلامية ورجال دين ثوريين من شتى التيارات. فقد هيأ انهيار الحكم البهلوى، الظروف المناسبة لظهور ونمو الأحزاب والجماعات السياسية، بشكل كبير كان حزب الجمهورية الإسلامية أحد أهم الأحزاب الإسلامية التى وجدت على الساحة بعد أسبوع واحد من انهيار النظام البهلوى. هذا الحزب كان قد تم تأسيسه من جانب آية الله بهشتى عام ١٩٧٦ ويضم رجال دين بارزين وثوريين من الطلبة والمقربين للإمام الخمينى، وله نفوذ قوى داخل المراكز الدينية والمذهبية الإيرانية.

فى تلك الأثناء كان الشهيد بهشتى ، الشخصية الأبرز فى هذا الحزب وبسرعة مدهشة تداخلت هذه الشبكة الحزبية مع الشبكة التقليدية للمراكز الدينية الإيرانية وخلال أربعة أشهر تقرر إجراء انتخابات مجلس الخبراء.

من مجلس المؤسسين إلى مجلس الخبراء:

يمكن إرجاع فكرة الإمام الخمينى إزاء مجلس المؤسسين إلى عام ١٩٤٥ ، حيث تحدث الإمام للمرة الأولى خلال تلك الحقبة عن المجلس المكون من رجال الدين المجتهدين، وكان الحديث بشأن أهل الحل والعقد عند الفقهاء وهم الأمناء على الشعب من أجل المشورة والتشاور.

وهو الشئ ذاته الذى اتفق عليه فى الدستور عام ١٩٧٩ تحت مسمى مجلس الخبراء من أجل تعيين المرشد ، من جانب مجلس قيادة الجمهورية الإسلامية.

على هذا النحو من الملاحظ أن تحديات الثورة والتطورات الداخلية والخارجية قد انتهت إلى ما توصل إليه الإمام الخمينى من أفكار فى السابق.

فى بداية يناير عام ١٩٧٩ وبعد طرح قضية الدستور الجديد، اعتبر الإمام الخمينى أن مجلس المؤسسين هو المرجع الرئيسى لمناقشة الدستور والموافقة عليه، طبقاً لما هو معتاد وطبقاً للنظم البرلمانية قائلاً: "سيجتاز نواب الأمة فى المجلس، جميع مراحله القانونية وسيدونون ويستكملون دستور هذه الجمهورية".

واعتبر الإمام كذلك أن مهمة الحكومة ومجلس الثورة، هى تشكيل مجلس المؤسسين المكون من مرشحى الشعب بهدف الموافقة على دستور الجمهورية الإسلامية الجديد وإجراء الانتخابات وفقاً لقرارات مجلس المؤسسين الجديد قائلاً: "الهدف من قيام مجلس الثورة بتشكيل حكومة مؤقتة هو أن تقوم هذه الحكومة المؤقتة بتكوين مجلس المؤسسين".

إن تشكيل مجلس المؤسسين استحوذ على خطابات الإمام الخمينى بعد نجاح الثورة حيث أكد أهمية دور الشعب فى اختيار من ينوب عنه فى مجلس المؤسسين، لكن الأحداث بعد ذلك مضت فى اتجاه مخالف حيث انتشرت الاضطرابات واستشهد الإسلامى البارز فى مجلس الثورة الأستاذ مطهرى. واعتبر الإمام الخمينى أن هذه الأحداث بمثابة مؤامرة لإعاقة عملية الموافقة على الدستور. متهماً متآمرين فى الداخل والخارج بالتعاون من أجل الإطاحة بالدستور والمبادئ الإسلامية. فشن حملة ضد المفكرين الغربيين قائلاً: "لسنا بحاجة إلى خبراء القانون الغربيين".

ونهاية للنقاش فى هذا المجال، أصدر الإمام الخمينى خطاباً إلى رئيس الوزراء ورد فيه:

"سيتم استكمال مسودة الدستور ومن ثم موافقة مجلس الثورة عليه فعليكم إيصاله إلى الرأى العام حتى يبدى كل صاحب رأى وكل طبقات الأمة الإيرانية، رأيه بشأنه فى فترة محددة من قبلكم، وبناءً على القرار المتخذ من خلال تبادل وجهات النظر مع مجلس الثورة والحكومة، يختار شعب كل محافظة وكل أقلية دينية،

ممثليهم طبقاً للعدد الذى يحدده مجلس الثورة الإسلامية والحكومة .. بعد ذلك يناقش الدستور ويصوت عليه من جانب ممثلى الشعب بشكل نهائى وخلال الاستفتاء النهائى، على أفراد الشعب قبوله أو رفضه بشكل مباشر.

ومع التحول الجذرى فى مجلس المؤسسين وتحويله إلى مجلس الخبراء، تم بالتدرج طرح آليات جديدة إزاء قضايا واختصاصات ممثلى هذا المجلس، وكانت المسألة المحورية فى هذا البحث، ضرورة تفعيل وجود رجال الدين فى مثل تلك المؤسسة التشريعية.

أهمية ومكانة مجلس الخبراء من وجهة نظر الإمام

أكد الإمام الخمينى دور ولاية الفقيه المحورى فى الدستور، يقول الإمام الخمينى: "إن هؤلاء المنحرفين عن الإسلام يقولون فى مجلسهم إنه من الضرورى حل مجلس الخبراء وآخرين أيضاً يتحدثون من أجل إثارة المظاهرات، جميعهم يخافون من مجلس الخبراء لأن مجلس الخبراء يريد إثبات ولاية الفقية، لأن مجلس الخبراء يريد إقرار ما أمر الله به وهم يخافون منه".

الإمام الخمينى يرى أن ولاية الفقيه أمر إلهى وأنها مثل ولاية رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيقول: "إن ولاية الفقيه ليست بالشئ الذى يقره مجلس الخبراء وإنما ولاية الفقيه هى ما أقره الله تبارك وتعالى فولاية الفقيه مثل ولاية رسول الله".

المكانة القانونية والإشرافية لمجلس الخبراء

حوار مع آية الله مقتدايى عضو مجلس الخبراء

■ حامد حقيقت ■ قدس (القدس) ٢٠٠٦/٧/١٧

يمثل مجلس خبراء الزعامة أهم مؤسسة رقابية تمارس الرقابة على أعلى أركان النظام فى إيران، وقد ساهم هذا المجلس المهم فى صمود نظام الجمهورية الإسلامية بعد رحيل مؤسس الثورة وعلى مدى ستة عشر عاماً.

وبالرغم من هذا العبء الثقيل والمكانة الرفيعة ونفوذ الكلمة وحسن التدبير والدراية السليمة، نجد أن هذه المؤسسة العريقة بمثابة رأس المال اللازم لاستمرار الثورة والنظام الإسلامى. وللحفاظ على مكانة وشأن هذه المؤسسة دائماً ما نفكر بجدية بعيداً عن الإفراط أو التفريط، فقط من أجل تقوية مكانة هذه المؤسسة الحساسة بالنظام. وانطلاقاً من ذلك قامت جريدة قدس بإجراء هذا الحوار مع آية الله مقتداى، عضو مجلس الخبراء وصاحب الدور المؤثر فى إنشاء محكمة الثورة الإسلامية، وفيما يلى نص الحوار:

x- السيد مقتدايى، بالإضافة إلى ستة عشر عاماً من عضويتكم فى مجلس الخبراء، شغلتم مناصب عديدة فى نظام الجمهورية الإسلامية، من أهمها يمكن الإشارة إلى مسئوليتكم فى محكمة الثورة بقم، وكمتحدث عن المجلس الأعلى للقضاء، وكرئيس لمحكمة الدولة العليا وبالإضافة إلى عضويتكم فى مجلس الخبراء، فإنكم تشغلون حالياً منصب نائب رئيس نقابة المعلمين بحوزة قم العلمية وتراسون جامعة الزهراء، فبوضعكم عضواً مؤثراً وصاحب خبرة فى هذا المجلس، ما هو تقييمكم لأبرز مهام هذا المجلس؟

- يمكن القول أن هذا المجلس أرفع وأهم مركز اتخاذ قرار فى نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولأسباب عديدة له أولوية على باقى مراكز اتخاذ القرار وأهم خصائص هذا المجلس، هى مسئوليته باختيار وتحديد شخصية الزعيم، "المرشد" وللمجلس خاصية بالغة الأهمية، تتلخص فى تركيبة المجلس حيث يضم حوالى ٧٠ مجتهداً وهم أشخاص لهم باع طويل من حيث العلوم الحوزوية ولهم خبرة وتجارب أيضاً من حيث العلوم السياسية والاجتماعية والإدارية.

هؤلاء الأشخاص تم اختيارهم من جانب الشعب من شتى محافظات الدولة، وهم يختارون بالوكالة عن الشعب شخصية المرشد من بين الفقهاء والمجتهدين، وبناءً عليه فالمجلس يحظى بمكانة مرموقة من الناحية العلمية والفقهية والاجتماعية والسياسية.

x- ما هى أهم اختصاصات مجلس الخبراء؟

- تم تحديد وتعريف اختصاصات مجلس الخبراء فى الدستور بشكل واضح فنجد فى المادة ١٠٧ أن تعيين المرشد، من مهام الخبراء المنتخبين من الشعب. وخبراء الزعامة، يتناقشون ويتشاورون بشأن جميع

الفقهاء المتوافر فيهم الشروط المذكورة فى المادتين (٥) و(١٠٩).

وبناء عليه يختار مجلس الخبراء، المرشد من بينهم حيث الأعلم بالأحكام الفقهية أو القضايا السياسية والاجتماعية أو صاحب القبول الشعبى وهى مواصفات مذكورة فى المادة ١٠٩ . ولذلك فإن تعيين المرشد، أول وأهم مهام الخبراء. المهمة التالية لمجلس الخبراء، هى مراقبة الشروط المنصوص عليها فى شخص المرشد. والوقوف على استمرارية هذه الشروط والصفات فى المرشد، وتنص المادة ١١١ من الدستور أنه فى حالة افتقار المرشد إلى إحدى الصفات الرئيسية، فإنه يُعزل من منصب الزعامة. وتحديد هذا الأمر متوقف على مهام مجلس الخبراء حيث الرقابة على أداء المرشد.

x- كيف تقيمون أداء المجلس لهذه المهمة؟

– تم تشكيل لجنة باسم لجنة التحقيق فى مجلس الخبراء وهى لجنة مختصة بأعمال الرقابة على نهج وصفات وأعمال المرشد. واللجنة تشرف وتراقب عمليات اتخاذ القرار والأحاديث وعمليات العزل والتنصيب والممارسة من المرشد، وتنفيذاً لهذه المهمة، تعقد اللجنة المذكورة اجتماعات متواصلة، وتقدم اقتراحات وأبحاثاً وهى لجنة يجمعها ارتباط متواصل بمكتب المرشد.

x- هل هذه اللجنة لديها اختصاصات من أجل الرقابة على أداء المجموعات التى تدار تحت رقابة المرشد؟

– فيما يتعلق بالأشخاص الذين تم تنصيبهم من جانب المرشد على تلك المجموعات، فإنهم ضمن اختصاصات اللجنة سالفة الذكر، وإذا افترضنا أن المرشد، اختار رئيس السلطة القضائية، وكان هناك اعتراض على أداء هذه السلطة فإن ذلك يتم بطريقتين الطريقة الأولى، أن يعترض الشعب على أداء محكمة وقاضيها وفى تلك الحالة يتم انتهاج السبل القانونية لاتخاذ قرار أو إجراء مناسب، أو أن تكون الإشكاليات مرتبطة بضعف إدارى وإذا ثبت ذلك من جانب أحد المديرين، فإن القضية فى هذه الحالة مرتبطة بشخص المرشد وتقوم اللجنة المذكورة بإبلاغ المرشد عن الأفراد المسئولين عن الضعف الإدارى. وهذه القاعدة متبعة فى وسائل الإعلام وفى شتى المراكز التى يتولى المرشد تعيين المسئولين فيها، وفى هذا الصدد توجد نماذج عديدة على ما قدمته من إجابة حيث يقوم المرشد فى تلك الحالة بتقديم تقاريره.

x- كم عدد أعضاء لجنة التحقيق بمجلس الخبراء وما هى طريقة انتخابهم؟

– يوجد فى هذا المجلس، ستة عشر شخصاً من الأعضاء البارزين والمعروفين فى مجلس الخبراء حيث يتم انتخاب هؤلاء الأشخاص من خلال الحصول على غالبية آراء الأعضاء فى مجلس الخبراء ومن ثم يوكل إليهم هذه المهمة.

مجلس الخبراء والرقابة على الزعامة

■ **عبد الله نورى** ■ بازتاب (الصدى) ٢٠٠٦/٧/٢٥

يقول الإمام الخمينى فى المجلد التاسع من صحيفة النور: "إننا أتباع لرأى الأمة أياً كان وبأى شكل، فليس لدينا الحق لأن الله تعالى لم يعطنا الحق، والنبى صلى الله عليه وسلم لم يعطنا الحق فى أن نفرض على أمتنا شيئاً".

وفى حديثه الأخير، وقبل رحيله بشهرين فى مجلس تعديل الدستور كتب الإمام رداً على رسالة جاء فيها: "لو أن الشعب فوض الخبراء (صوت) لتعيين مجتهد عادل لزعامة الحكومة، فهم بذلك يعينون هذا الفردالذى سيعهد إليه بالزعامة ، ومن هنا فإن الولى منتخب من الشعب وحكمه نافذ".

وهذا كله يعنى أن الأصل لدى الإمام هو رأى الشعب وبناء عليه وطبقا لرؤية الإمام فإن مجلس الخبراء يجب أن يحظى بالمكانة المناسبة والواقعية بين عموم الشعب وأن يصبح مرتبط بأغلبية الشعب ، حتى يمكنه تنفيذ رأى الشعب والسلطات التى خولها له والاستفادة بالقدر الكافى من دوره فى المؤسسة. ومن هنا فإن مجلس الخبراء يضم الأفراد الذين لديهم القدرة فى عكس رأى الأمة.

وكان أهم ما اختصت به دساتير المسلمين سواء فى أهل السنة أو أهل الشيعة هو باب النصيحة لأئمة المسلمين وهذا الباب مهم جداً فى الإسلام ، فلم يحدد النصيحة لأى شخص ، بمعنى لم يحدد مجلس الخبراء لنصح الزعامة أو مراقبة الزعامة بل كان الموضوع عاما ومفتوحا وشاملا وللكل ، لأن النصح مسئولية كل المسلمين، وهذا الأمر يتفق مع ما جاء فى الدستور

المادة (٨) ولكن فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

كذلك أمر الرقابة على الزعامة هو أحد الأبواب الهامة التى يؤكد عليه الإسلام ويطالب بها الجميع، ولقد قرأت جملة للإمام يقول فيها "أن كل الأمة مسئولة أن تراقب الأمور فإذا أعوجت فإن الأمة مسئولة أن ترشدنى وتنبهنى، فجميع الأمة مسئولة أن يكون لديها موضوع الرقابة على جميع الأعمال والمتعلقة بالإسلام". وجاء له أيضاً فى موضع آخر كان يقول لأصحابه "يجب على الجميع مراعاة هذه المسألة وعندما أخطئ فى أى وقت فى كلمة أو فعل على خلاف الإسلام أن يعترضوا علىّ".

وبناء عليه فإن موضوع الرقابة موضوع لاينحصر على أحد أو يختص به أحد فهو موضوع عام وجميع الأمة مكلفة به.

وللأسف يعتقد البعض بأشياء ليس لها أساس وأن الزعيم مسموح له الخطأ. وأن يتمادى فيه ولا يحق لأحد أن يرشده ويقومه !!

ويقول الإمام "أنه لا يستطيع أحد أن يدعى أننى دون نقص وإن ادعى شخص ذلك فقد ادعى أكبر نقص".

ويقول المرحوم (ميرزا نائينى) وهو أحد المؤسسين للحكومة الإسلامية فى كتابه (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) أن عامل الردع للاستبداد شيئان العصمة والتى هى فى الإمامة، ومراقبة الأمة.

وقد استحكم هذا الأصل تماماً فى صدر الإسلام وفيما يرتبط بمجلس الخبراء فإنه مؤسسة خاصة إحدى مسئولياتها الرقابة والتحكم، وعندما يصبح مجلس الخبراء متخصصا، يصبح قادراً، ويكون ذلك عندما يعتمد على الرأى القوى للشعب وذلك كما عبر عنه الإمام، وهذا المجلس تصح رقابته الخاصة على الزعامة.

وتقول المادة (١١١) من الدستور نفس الشئ "عندما يصبح الزعيم فاقداً وعاجزاً عن إتمام مسئولياته القانونية، أو فاقداً لإحدى الشروط المذكورة فى المادتين الخامسة والتاسعة يقال من منصبه، ويحدد هذا الأمر والمسئول عنه مجلس الخبراء المذكور فى المادة ١٠٨".

وبشكل مجمل فإن القول القائل بأنه لايجب أن نضع الزعامة فى نظام الجمهورية الإسلامية موضعاً للرقابة والنقد وموضعاً للبحث العام أو الخاص قول لا يطابق شرعاً ولا القرآن ولا روايات ولا يتطابق مع سيرة النبى (صلى الله عليه وسلم) والائمة ولا الدستور.

فمجلس الخبراء سيظل قوياً بإشرافه على الزعامة ورقابته لشئونها.

من ناحية فإن هذا المجلس يجب أن يقدم صورة جيدة للشعب الذى فوضه للقيام بمهامه ومن الممكن أن يصبح هذا المجلس طرفاً قوياً فى تقديم المشورة والنصح للزعامة، فليس دوره أن يضعف الشخصية الأولى للدولة.

ردود فعل على اللائحة الشاملة للانتخابات

■ **ايرج جمشيدى** ■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/٣١

أثارت لائحة وزارة الداخلية الخاصة بتغيير قانون انتخابات رئاسة الجمهورية، ردود فعل متباينة على الساحة السياسية. وفى حين اعتبر الإصلاحيون أن هذه اللائحة بمثابة إجراء سياسى يهدف إلى الإطاحة بالمنافسين. رأى الأصوليون أن هذه اللائحة، هى السبيل الأمثل للنهوض بمستوى الانتخابات الرئاسية فى إيران.

بموجب هذه اللائحة أصبحت شروط التقدم للترشيح على منصب رئيس الجمهورية، أكثر صعوبة لكن نشر المسودة الأولية لهذه اللائحة كان كافياً لتشهد الساحة السياسية الإيرانية مرة أخرى حراكاً حزبياً.

فإذا كانت الحكومة ومجلس الشورى قد حاولا فى السابق إصلاح قانون الانتخابات من أجل تسهيل شروط التقدم للترشيح، إلا أن الحكومة ومجلس المحافظين حالياً، ينتهجان سياسة عكسية وكلاهما بصدد العمل على الحد من الوجود الزائد من قبل المتقدمين للانتخابات من خلال تصعيب شروط التقدم.

وإذا كانت حكومة السيد محمد خاتمى فى الماضى قد حاولت توسيع نطاق الانتخابات مطالبة بحذف الرقابة على صلاحية المرشحين وتبنى قانون جديد، إلا أن المحافظين حالياً بصدد تفعيل هذه الرقابة والتشديد عليها وبينما أتهم محمد خاتمى فى السابق بفتح الطريق أمام المناهضين للثورة وأتباع السافاك،

نجد أن المحافظين حالياً متهمون بإعداد لائحة جديدة للانتخابات لا تتيح لغير الأصوليين الوصول إلى السلطة فى الجمهورية الإسلامية.

المحافظون المعروفون حالياً باسم الأصوليين، يعتقدون أن خاتمى والمجلس السادس، كانوا بصدد إضعاف قانون الانتخابات بالدولة، وهو القانون الذى يعتبر بمثابة قيد رقابى يحول دون نفوذ المناهضين للثورة والعلمانيين والشيوعيين والتابعين للسافاك والملك إلى المناصب الحكومية والانتخابات بالدولة.

ويرى المحافظون كذلك أن الرقابة على الصلاحية، آلية مؤثرة للدفاع عن ماهية النظام الجمهورى الإسلامى، وقد حالت بالفعل دون إحداث تغييرات فى بنية النظام الإسلامى على مدى سنوات. من ناحية أخرى نجد أن مجلس صيانة الدستور يتفق مع الأصوليين من حيث هذه الرؤية. وبالرغم من أن "أحمد جنتى" أمين عام مجلس صيانة الدستور وإمام الجمعة المؤقت بطهران قد تحدث خلال إحدى خطب الجمعة بطهران بشأن الرقابة على الصلاحية وأن تفويضها إلى مجلس صيانة الدستور كان بموجب القانون الصادر عن مجلس الشورى الرابع وأنه لن يبدى أى معارضة فى حالة إذا ما ألغى مجلس الشورى هذا القانون، إلا أن مجلس صيانة الدستور اعتبر أن إلغاء الرقابة على الصلاحية مخالف للشرع والدستور، عندما قام مجلس الشورى السادس بإلغاء هذا القانون.

وفى النهاية أوصلت انتخابات مجلس الشورى السابع وانتخابات الرئاسة التاسعة، المحافظين إلى سدة الحكم، اعتماداً على القانون الذى منح مجلس صيانة الدستور حق الرقابة على الصلاحية لتفشل مساعى الإصلاحيين.

ويعتقد بعض المرشحين المرفوضة صلاحيتهم فى انتخابات مجلس الشورى السابع، أن الرقابة على الصلاحية لم تكن فقط العامل الوحيد وراء عدم تقدمهم للترشيح وإنما كانت هناك عوامل أخرى عديدة، ويرى الإصلاحيون أنه تم التغاضى عن قرار مجمع تشخيص مصلحة النظام القائم على ارتباط رفض صلاحية المتقدمين للانتخابات بالاستعلام من المراجع الكبار.

حدثت هذه الأمور أيضاً خلال الانتخابات الرئاسية التاسعة، حيث رفض مجلس صيانة الدستور صلاحية اثنين من كبار مرشحى الإصلاحيين هما "مصطفى معين" و"محسن مهر عليزاده"، بينما اعتقد رئيس مجلس صيانة الدستور أن تسهيل عملية تسجيل أسماء المرشحين فى الانتخابات الرئاسية قد يساهم فى كثرة عدد المرشحين، حيث تحدث خلال تلك الحقبة أثناء خطبة صلاة الجمعة فى طهران مطالباً بالتوصل لطريقة من أجل حل هذه الإشكالية وفى هذا الصدد نجد أن الأصوليين الذين يمثلون غالبية مقاعد مجلس صيانة الدستور اتفقوا مع رئيسهم فى هذا الرأى، كما طالبت حكومة أحمدى نجاد الأصولية بحل هذه المشكلة مباشرة وبعد توليهم لمهامهم فى الحكومة الجديدة.

سراب أنصار التعمير

■ عباس بازوكى ■ مردم سالارى (الديمقراطية) ٢٠٠٦/٨/٧

لم يعتبر مجلس صيانة الدستور أن قرار مجلس الشورى السابع الخاص بإجراء انتخابات مجلس الخبراء والانتخابات المحلية بشكل متزامن مغايرا للدستور والشرع، ولذا فإنه بعد ما لا يزيد على ثلاثة أشهر سوف تجرى الانتخابات المحلية وانتخابات مجلس الخبراء وهناك آراء عديدة حول صحة هذه الانتخابات، حيث أعرب الإصلاحيون عن قلقهم العميق من تنفيذ مخطط آخر لإلغاء المنافسين بشكل كامل لكن المهم أننا نعلم أنه لا أغلبية مجلس الشورى السابع ولا مجلس صيانة الدستور يولون اهتماماً لوجهة نظر الإصلاحيين وسيمضون فيما هم عازمون عليه.

وبناءً على هذا فإننا فى هذه الفرصة الضيقة سنقوم وحتى عقد الانتخابات المحلية بنقد أداء الأشخاص الذين استطاعوا على مدى الأربعة أعوام الماضية أن يؤثروا على مسيرة الإصلاحات التى يريدها الشعب ومما لاشك فيه أن الجيل القادم فى إيران وعلى وجه الدقة ما يسمى بأنصار التعمير سوف يتسم بالحساسية. وسنقوم فى هذا العدد وربما فى بعض الأعداد القادمة ببحث آراء وشعارات هذه الجماعة حتى يساعد الشعب على أن يكون له رأيه بخصوص مدى فاعلية أنصار التعمير.

صورة ما يسمى بأنصار التعمير

بعد أن منى الجناح المحافظ فى إيران بهزيمة ثقيلة

على مدى عدة انتخابات متعاقبة وأصبح تقريبا كل المؤسسات المنتخبة في يد الإصلاحيين أخذ على عاتقه اتخاذ قرار جديد واستراتيجية سرية أن يفتح حصون الحكومة الواحد تلو الآخر ولهذا وعلى أعتاب انتخابات الدورة الثانية من الانتخابات المحلية قرر مجلس تنسيق قوى الثورة الذى يتولى رئاسته على أكبر ناطق نورى أن يأخذ فى الانتخابات الجديد اسماً جديداً ومما لاشك فيه أن العناصر السياسية القديمة التى تدخل فى عضوية هذا المجلس مثل عسكر أولادى وباهنر ومريم بهروزى قد اتخذت هذا القرار مع العلم بأن الوجوه التقليدية فى هذا الجناح تفتقر إلى الشعبية.

هذا فى حين أنه يبدو أنه قد تم تقسيم المهام فى هذا المجلس فمن ناحية كانت بعض الوجوه مثل بادامچيان وسائر شيوخ الجناح المحافظ يرون أن المشاركة فى هذه الانتخابات ليست مهمة إلى حد كبير وعلى عكس الانتخابات السابقة للجمهورية الإسلامية ليس الوجود أمام صناديق الاقتراع واجباً شرعياً، ومن ناحية أخرى فإن عناصر جديدة وبدوافع مثل محمود أحمدى نجاد الرئيس السابق لبلدية طهران كانت تسعى بجد لتعبئة قواها للمشاركة فى الانتخابات المحلية.

فى مثل هذه الظروف وتحت مسئولية ومتابعة أحمدى نجاد تم إغلاق القائمة الانتخابية لأنصار التعمير للانتخابات المحلية للدورة الثانية من الانتخابات المحلية وفى غياب الشعب نجحت هذه القائمة ومع كسب أصوات المصوتين التقليديين حصلوا على مقاعد المحليات ومع إعلان نتائج الانتخابات فالشخص الذى كان قد لعب الدورالأساسى فى اختيار أعضاء المجلس وقدم باعتباره المرشح الأساسى للحصول على منصب رئاسة البلدية قد حاز هذا المنصب.

بهذا الشكل نجح أحمدى نجاد فى الحصول على مقعد رئاسة بلدية العاصمة لكن لم تكن هذه نهاية الأمر وتواصلت الوعود الساخنة لهذه الجماعة وأحرزت فى انتخابات مجلس الشورى السابع ورئاسة الجمهورية نجاحات مذهلة ومع أنه مازالت هناك دراسات جادة حول عدالة وتنافسية وحرية هاتين العمليتين الانتخابيتين لكن على أية حال نجح أنصار التعمير فى الوصول إلى مقاعد المؤسسات المنتخبة والآن ونحن فى العام الرابع على فوز أنصار التعمير فى الانتخابات المحلية والعام الثالث من عمر مجلس الشورى ونهاية العام الأول من حكم أحمدى نجاد وبهذا يكون قد مر عام على الأقل وقطاعات مهمة من النظام قد أصبحت تحت تصرف وتحت أمرة جماعة أنصار التعمير بشكل كامل.

وأنصار التعمير هم الجماعة القوية التى استفادت بشكل لا مثيل له من تنسيق أركان الحكم وأسعار النفط المرتفعة لكن ماذا فعلت فى هذه الفترة ؟ ربما يكون من الأفضل أن نقوم بتصفح النقد الذى يوجه لأنصار التعمير .

بصفة عامة تعانى الذاكرة التاريخية والقصيرة المدى للشعب فى كل أنحاء العالم من نقص كبير وهذا النقص هو النسيان وهذا الأمر ليس مقصوراً على شعب دولة أو عدة دول وكثير من السياسيين فى العالم قد استطاعوا أثناء الانتخابات كسب الرأى العام من خلال شعارات وموضوعات وفى النهاية وبالاستفادة من حالة النسيان التى تعترى الشعب يتخلى عن تنفيذ وعوده وفى إيران وبالنظر إلى عدم وجود أحزاب قوية وعدم انخراط الشعب فى المؤسسات المدنية مثل الأحزاب والنقابات والمنظمات غير الحكومية و.. فإن حدوث مثل هذا الأمر وارد إلى حد كبير لكن الأمر الذى يأسف له الإنسان هو أن بعض الجماعات السياسية فى إيران التى لا تتمتع بتاريخ كبير للوصول إلى مقاعد السلطة فقط تستفيد من الأدوات الدعائية فقط ولا تنظر إلى سراب وعودها الذى على المدى البعيد سيؤدى إلى استياء الشعب ومما يدعو لمزيد من الأسف أن بعض المنابر الرسمية ووسائل الإعلام التابعة للحكومة أيضاً أحياناً وبشكل كامل تكون فى خدمة رعايا هذه الجماعات بل إنها تتجنب نشر نقد بناء.

لكن ما الإشكالية فى أن يخصص للأحزاب الإيرانية فى يوم ساعة من مئات ساعات البث الإذاعى والتليفزيونى حتى يتحدثوا إلى الشعب عن برامجهم ويوجهوا النقد للحزب الحاكم؟ أليس هذا التصور صحيحاً؟! إن قطع الوعود التى لا نهاية لها ليس له أى فائدة سوى انتشار الإحساس باليأس؟

لكن فى ظل غياب مثل هذا الإحساس بالمسئولية تجاه مصالح الأمة والدولة الإيرانية فإن هذا الواجب الثقيل والمكلف يقع على كاهل الصحافة غير الحكومية الناشئة وكم هم مظلومون من يقومون بنقد الحكومة وفى هذا المقال يتم التأكيد على أولاً ، الإسناد إلى صحيفة همشهرى فقط باعتبارها الناطقة باسم بلدية طهران.

ثانياً: لن يتم طرح موضوع حول سلبية أو إيجابية وعود رئيس بلدية طهران السابق فالوعود التى تطرح هى التى مازال الشعب ينتظر تحقيقها ومن المؤكد إننا باعتبارنا مواطنين إيرانيين نتمنى ألا تصبح هذه الآمال سراباً.

قام محمود أحمدى نجاد فى أول وجود رسمى له فى المجلس الإسلامى لمدينة طهران بشرح مواقفه وأكد فى هذه الجلسة افتقاد التخطيط الشامل فى طهران وعدم فاعلية الإدارة والقوانين العديدة وغير المنسجمة وترسيخ الإجراءات الوقتية وعدم التخطيط والقرارات غير العلمية فى إدارة المدينة والافتقار إلى الاشراف الشامل على منظومة أنشطة إدارة المدينة وتأثر بعض الأعمال البلدية بالمصالح الحزبية وتحدث عن ضرورة التخطيط الطويل المدى والتعاطى الكامل بين كافة أركان الحكومة وارتباط النخبة بالشعب والبلدية للتأثير فى عمليات اتخاذ القرار وتحويل طهران إلى رمز القيم الإيرانية والإسلامية وواحدة من أكثر المدن عمراناً وكذلك أيضاً محورية القانون.

كان تحليل رئيس البلدية المنتخب للحالة العامة لبلدية طهران فيما يبدو شاملاً لكن ما كان سيؤدى إلى اختلاف الإدارة الجديدة للمدينة عن الإدارات السابقة، هو المتابعة الحاسمة والتنفيذ الدقيق للوعود التى قطعت والعمل للقضاء على السلبيات السابقة، إن تجربة أحمدى نجاد على مدى عامين فى بلدية طهران وهيمنة أنصار التعمير على هذه الهيئة الضخمة سيحدد مدى تمسك جماعة أنصار التعمير بالبرامج المعلنة.

١- من الأولويات المدنية كانت ضرورة التخطيط على المدى البعيد بالنسبة لمدينة طهران تتمتع بأهمية كبرى مع الاعتراف بأن إعداد مثل هذا البرنامج يحتاج لجهود هائلة ودراسات خبرة هائلة، يجب القول لماذا لم يتم مثل هذا التخطيط طويل المدى بالنسبة لمدينة طهران حتى الآن وما هو مصير الأولوية الأهم لأحمدى نجاد فى بلدية طهران.

وفى نفس الإطار يقدم أحمدى نجاد فى مراسم تكريمه فى وجود مسئولى وزارة الداخلية تقريراً عن الوضع الراهن وأسلوب الخروج منه.

وللأسف بعض مضى عامين من الوجود فى رئاسة البلدية لم يحن أى موعد لتقديم مثل هذا التقرير عن الوضع الراهن فى إطار برنامج مفصل وسيكون طبيعياً أن تعانى طهران من عدم وجود تقرير دقيق عن حالتها الراهنة وأن عمليات التخطيط التى تمت فى مختلف إدارات المدينة لن تساهم فقط على القضاء على الإجراءات الوقتية الراسخة فى طهران بل ستؤدى إلى تعميقها.

٢- من الوعود الأخرى التى قطعها أحمدى نجاد وكان له رد فعل ملحوظ فى وسائل الإعلام إن هناك مشروعاً فورياً على مدى خمسة وأربعين يوماً لترميم الطرق الأسفلتية فى طهران وفى هذا الخصوص قال أحمدى نجاد: النائب الفنى والمعمارى مكلف فى إطار مشروعاً فورى وعاجل أن يقوم على مدى شهر ونصف بترميم الطرق الأسلفتية مع مراعاة المواصفات الفنية.

ومضت أيام وشهور على انتهاء المهلة ومازالت شوارع طهران مليئة بالحفر والمطبات وتعانى الإجراءات المؤقتة من دون التركيز على تخطيط طويل المدى ومن النقاط الجديرة بالتأمل فى هذا الموضوع أن رئيس بلدية طهران كان قد وعد أنه فى حالة عدم إنجاز هذا الأمر سيعرض أسباب ذلك على الرأى العام.

وللأسف لم ينفذ هذا الوعد ولم يقدم أحمدى نجاد أى توضيح على سبب عدم تنفيذ هذا الوعد ربما يعتقد البعض أن نائبه المعمارى لم يتمكن من أداء مهامه أما لو كان الأمر كذلك فلماذا اختير نفس النائب فيما بعد من جانب أحمدى نجاد لمنصب نيابة رئيس الجمهورية.

٣- الإعلان عن برنامج لخفض التلوث فى الجو وأزمة المرور فى طهران فى المستقبل القريب وكان هذا الأمر من الأولويات الأخرى لرئيس بلدية طهران الذى يعتبر المرور وتلوث الهواء فى طهران من المشاكل الأساسية فى المدينة وكانت موضع تأكيد فى مختلف المناسبات من جانب رئيس البلدية وكان الاعلان عن برنامج للحد من هذه الأزمة فى المستقبل القريب من الممكن أن يكون خبراً سعيداً جداً لمواطنى طهران حتى يستطيعوا التعود رويداً رويداً على رؤية اللون الأزرق لسماء طهران من دون أن يهدروا الساعات من وقتهم فى أزمة مرور العاصمة ولكن للأسف هذا المستقبل القريب لم يحن بعد وطهران على الرغم من وصول رئيس بلديتها لرئاسة الجمهورية مازالت تعانى عدم وجود برنامج شامل لإدارة هذه المشكلة الأساسية.

٤- بعد مضى شهرين وعد رئيس بلدية طهران فى جلسة مجلس المدينة والقائم على إعداد تقرير على الوضع الراهن وسبل الخروج منه فى إطار برنامج مفصل أعلن محمود أحمدى نجاد رئيس البلدية آنذاك فى عبارة أخرى أنه سيعمل من أجل تخطيط شامل للمدينة "منشور طهران" يضم أولويات عمل رئاسة بلدية طهران وقال: سيتم الإعلان سريعاً عن تفاصيل هذه الإجراءات.

والدراسة الدقيقة للأحداث المتعلقة بفترة شغل أحمدى نجاد منصب رئاسة بلدية طهران تفيد أن المواطنين لم يطلعوا ليس فقط على التفاصيل بل على الخطوط العامة لهذا المنشور بل إن إعداد منشور بالأساس قد غاب فى هالة من الغموض.

٥- أحد الآمال التى كانت تراود الشعب مع اختيار أحمدى نجاد كرئيس لبلدية العاصمة كان سيادة روح

تقديم الخدمة وتجنب النزاعات السياسية التى لا طائل منها وهذا بدوره سيعد المجال للتحقيق بشكل أسرع فى مشاكل وقضايا المدينة الكبرى وعلى هذا الأساس أعلن أحمدى نجاد بالنظر إلى التشابه الفكرى لقرارات مجلس مدينة طهران ورئيس بلدية طهران أنه سيقضى على مشاكل مدينة طهران بأسرع مما هو مقرر.

هذه المقولة زادت من تفاؤل الشعب ورفعت من مستوى توقعاته وعلى هذا الأساس إذا لم نكن ننتظر حل المشاكل الأساسية للمدينة بأسرع من الموعد المقرر فهل سيكون هذا الإنتظار منطقياً بحيث نطالب رئيس البلدية بحل المشاكل الأساسية ومن بينها المرور وتلوث الهواء ونشر وسائل النقل العامة، وخاصة مشروع منشور طهران و... فى موعد قانونى والحكم فى هذا الصدد وإلى أى مدى يخفف من حدة المشاكل المذكورة نتركه للقارئ.

٦- العلاقة المتبادلة والوثيقة بين رئاسات البلديات والشعب تتطلب أن يعرف كل طرف حقوقه وواجباته فمنذ فترة والعلاقة بين الشعب ورئاسة البلدية هى لمصلحة رئاسة البلدية باتجاه واحد أى أن واجبات الشعب تجاه رئاسة البلدية محددة أما حقوق الشعب على البلدية لا تتسم بحالة من الشفافية وقد تم إعلان مشروع تدوين منشور حقوق المواطن من جانب رئيس البلدية "همشهرى" وكان من الممكن أن يكون نقطة مناسبة لإصلاح المسيرات السابقة لكن للأسف لم تتخذ إجراءات جدية وأساسية فى هذا الخصوص.

٧- كان إعداد مشروع لإحياء الهوية المدينة وإحياء التراث الثقافى هو من النقاط المطروحة فى الأحاديث الصحفية حتى نهاية عمل أحمدى نجاد.

وربما يكون عدم قضاء مدته بالكامل مبرراً لعدم إعداد المشروعات التنفيذية وربما على مدى الثلاثة أعوام الباقية تقوم وزارة الإسكان وإنشاء المدن بإنجاز هذا الوعد على أساس أن أمامها فرصة أربع سنوات.

٨- أعلن أحمدى نجاد فى حوار خاص لجريدة "همشهرى" عن إعداد برنامج شامل للنقل فى طهران "همشهرى" ولكن حتى نهاية فترة رئاسته للبلدية لم يتم تقديم أى مشروع جديد للتحقيق فى الوضع المتردى لعمليات النقل فى طهران من المؤكد أنه فى بعض الأوقات كان ينقل عنه أنه نظراً لعدم التناغم بين الحكومة ورئاسة البلدية توجد معوقات كبيرة فى هذا الصدد.

وسلوكه فى الحكومة الجديدة ودراسة هذا الموضوع فى الظروف الراهنة تتمتع بجاذبية كبيرة لأن السلوك الحالى للحكومة بخصوص طريقة ومدى معدل تقديم تسهيلات لتطوير النقل العام فى طهران يتناقض بشكل واضح مع السياسات المعلنة لرئاسة البلدية أثناء شغله هذا المنصب وتوقعاته كرئيس بلدية من رئيس الحكومة فى ذلك الوقت.

٩- كان إنشاء قطار جوى أحادى الاتجاه لمسافة ٢٣٧ كم فى مدينة طهران من بين سياسات رئيس البلدية أحمدى نجاد وقد اعتبر أن نهاية شهر رمضان عام ٢٠٠٣ هى بداية لعمليات إنشاء القطار الجوى.

وللأسف كان مصير هذا المشروع كمصير المشروعات السابقة.

المرأة ورئاسة الجمهورية

■ د. جميلة كديور ■ اطلاعات سياسى اقتصادى (الأخبار السياسية الاقتصادية)
العدد ٢٢٣-٢٢٤، أغسطس ٢٠٠٦

تساؤلات عدة تطرح عند مناقشة قضية تولى المرأة رئاسة الجمهورية مفادها: هل إعطاء مسئولية رئاسة الحكومة للمرأة مسألة منافية للشرع والقانون؟، وهل المرأة فى إيران بمقدورها شغل هذا المنصب؟، وهل المادة (١١٥)× من الدستور المعنية بشروط رئيس الجمهورية والتى تنص على اعتباره رجل دين وسياسة وبعض النواحى الأخرى تحول دون تولى المرأة رئاسة الجمهورية؟، ما هو قصد المشرع من عبارة رجل دين وسياسة؟، وهل الأعراف وأساليب انتخاب رئيس الجمهورية فى المراحل الماضية بمقدورها الفصل فى تأييد مسألة تمثيل المرأة فى الرئاسة من عدمه؟.

لقد ظلت تلك التساؤلات حائرة بين الوسط النسائى فى إيران لسنوات طوال دون إجابة معينة، وتنطلق هذه الدراسة من افتراضات عدة هى:

- أن المشرع للدستور لم يوضح وجهة نظره إزاء لفظة "رجل".
- وفقاً للعرف، فإن رجل الدين والسياسة المقصود به هنا الإنسان بوجه عام، سواء كان رجلاً أو امرأة.
- وفقاً للانتخابات الماضية لم تكن ترفض صلاحيات النساء.

هذا وبالرغم من أن أساس المادة (٩٨) من الدستور تنص على إلقاء وظيفة تفسير الدستور على مسئولية مجلس صيانة الدستور، الأمر الذى لم يحدث حتى هذا الحين مع المادة (١١٥)، خاصة حول لفظة "رجل"، إلا أن هذا لا يحول بالطبع دون طرح الموضوع ذاته للنقاش بشكل موضوعى وعلمى من قبل المجتمع.

على أية حال، ها هو الموضوع الآن أصبح قيد الدراسة سواء بين أوساط النخبة أو العامة بعد أن كان يُبتعد عنه كلما اقترب أحد منه. ودخلت النساء للمشاركة فى الساحة السياسية، منذ عام ١٩٩٧، حيث ترشحت السيدة اعظم طالقانى فى انتخابات الرئاسة لدورتها السابعة، وأعلنت أن هدفها الأساسى من وراء ترشيح نفسها كان إثارة الجدل حول مسألة تكليف الرجال، ورغم هذه المحاولات الكثيرة من قبل المرأة، إلا أنه مازالت مسألة تكليف "الرجال" لم تحسم بعد وكذا فإن رفض صلاحية ترشيح المرأة فى منصب رئاسة الجمهورية الإيرانية طوال الدورات الماضية لم يكن بسبب حيثية المرأة فى حد ذاتها وإنما لأسباب أخرى كثيرة، كما أنه يعتقد أن مجلس الصيانة الجهة الوحيدة المعنية بتفسير الدستور لم تحاول كذلك تناول الموضوع ذاته.

هذا وتنص المادة (١١٥) من دستور جمهورية إيران الإسلامية على أن رئيس الجمهورية يتحتم انتخابه من بين رجال الدين والسياسة المتوافر فيهم الشروط التالية:

"أن يكون إيرانى الأصل، وتتوافر لديه القدرة على الإدارة والتدابير، ذا ماض مشرف، يتمتع بالأمانة والتقوى، ويؤمن بمبادئ وأسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومذاهبها".

ومن ناحية أخرى، كانت الرؤى المتناقضة لمتحدث مجلس صيانة الدستور فى الماضى حول موضوع مشاركة المرأة الرئاسة إنما تعبر عن وجهة نظر شخصية، لا تحمل الموقف الرسمى لهذا المجلس، وفى الوقت ذاته، لم تكن النساء الفاعلات فى المجال السياسى يأخذن بالتفسير الضيق والمحدود لمجلس الصيانة إزاء هذا الأمر.

مجلس الشورى ومناقشة المادة (١١٥):

حينما وصل مجلس الشورى الإسلامى إلى الجلسة الخامسة والأربعين، وهى الجلسة النهائية لنقاش مواد الدستور الإيرانى وبمجرد فتح النقاش حول المادة المتعلقة بسمات رئيس الجمهورية إلا وقام السيد نائب رئيس المجلس بتأجيل الجلسة قائلاً: "إن المادة ٨٩ المتعلقة بخصائص رئيس الجمهورية التى خصصنا اليوم لنقاشها يبدو أنها مازالت فى حاجة لمزيد من الوقت، ومن ثم نرجئها إلى جلسة قادمة ..". غاية الأمر، أن ثمة خلافاً قد نشب بين نواب المجلس وبعضها البعض حول نص القانون المقترح "رئيس الجمهورية يجب أن يكون إيرانى الأصل"، فثمة من رأى أن النص الصحيح يجب أن يكون على هذا النحو التالى: "رئيس الجمهورية يجب أن يُنتخب من بين رجال الدين والسياسة الواجدين للشروط التالية، أن يكون إيرانى الأصل، من الرعايا الإيرانيين، يتمتع بالأمانة والتقوى، ويؤمن بمبادئ وأسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وبمذهبها الرسمى". غير أن بعض

الأعضاء ومن بينهم السيد عضدى قد اعترض على بندين فى هذا النص ألا وهما "التقيد بالمذهب الرسمى للبلاد"، إذ أنه وفقاً لاعتقاده أن شرط الإسلام والإيمان بمبادئ الجمهورية الإسلامية الإيرانية كافياً، وكذا شرط "الذكورة" ليس له داع، نظراً لكونه تحصيل حاصل، وبالتالى اقترح نص المادة على النحو التالى: "يجب أن يكون رئيس الجمهورية إيرانى الأصل، ومن رعايا إيران، ومؤمناً بمبادئ الجمهورية الإسلامية (ولا يشترط ذكر الذكورة)، إذ أنه تحصيل حاصل لذا اقترح ما يلى: "أن يكون رئيس الجمهورية إيرانى الأصل، من رعايا إيران المؤمنين بمبادئ الجمهورية الإسلامية (ولا يستلزم الذكورة)، ذا ماض مشرف، متمتعاً بالأمانة والتقوى".

والواقع أن آية الله منتظرى رئيس "مجلس الخبراء" ونائب الخمينى السابق كان أول المؤيدين لهذه المادة غير أنه علق على الموضوع ذاته، على النحو التالى:

".. إننا إزاء مسألة الذكورة لا يمكننا غض النظر عن مسلمات الدين الإسلامى كما أنه لا يمكن سلب حق من حقوق أخواتنا المسلمات، لكن الحكومة والولاية من الخطأ تصور أنهما حق إنما هى مسئولية ومسئولية ثقيلة، وكذا أودعها الله عز وجل فى أعناق الخاصة ولم يدعها للنساء خوفاً من حملها. وهذا لا ينال من حرمتهن أو حقوقهن. ففى الفقه الإسلامى، قالوا إن مسألة الولاية ومسألة القضاء موقوفة على الرجال، نظراً لمسئولياتها الثقيلة وكذا لعواقبهما الكثيرة، غير أن أبى حنيفة أحد مراجع أهل السنة الأربعة يقرر تصدى المرأة لمنصب القضاء قياساً على باب الشهادة، على خلاف بقية أئمة السنة الذين رأوا انحصار هذا المقام على الرجال فحسب، وكذا أجمع فقهاء علماء التشيع على هذه المسألة، ومن ثم أقول إن نساءنا الملتزمات بالإسلام وبمبادئ ثورتنا لن يرضين الإتيان بشيء لا يطابق الموازين الإسلامية".

وفى هذا السياق ذاته، كان هناك تعليق للسيدة كرجى المرأة الوحيدة العضوة فى مجلس الخبراء على موقف آية الله منتظرى من تصدى المرأة للرئاسة إذ تقول "إن المرأة أيضاً بمقدورها إحراز الأمانة والتقوى والماضى المشرف والإيمان بمبادئ الإسلام والجمهورية شأنها شأن الرجل، كما أن الإسلام على خلاف السائد لم يحسم هذه المسألة لصالح الرجال فقط".

وكان التأييد الآخر للسيد جواد فاتحى نائب أهالى كردستان الذى تناول مسألة شرط الذكورة ولكن من زاوية أخرى، حيث قال إن آية الله منتظرى تحدث عن المسألة من جانب المسئولية الثقيلة وتجنيب الإسلام لأعبائها على النساء، وكذا أقول إن المرأة دائماً ما تغلب العاطفة والمشاعر على حساب العقل، لذا يمتنع الحكم على النساء، وهذا من مسلمات الفقه الإسلامى، وتباعاً ينطبق الأمر على تولى المرأة لشغل الرئاسة.

وهكذا ظل الأمر حائراً بين مؤيد ومعارض لمسودة القانون الذى ينص على أن رئيس الجمهورية يجب أن يكون رجلاً إيرانى الأصل، من رعايا إيران معتقداً بالمذهب الرسمى للبلاد، ذا ماض مشرف، تتوفر فيه الأمانة والتقوى".

ومن ثم تحول إلى مجلس الخبراء لبحثه والتصويت عليه، وبالفعل أخذ التصويت وانتهى من بين ٦٠ صوتاً إلى ٥٢ صوتاً مؤيداً، و٤ معارضين ومثلهم ممتنعون.

أسس معارضة رئاسة المرأة فى مجلس الخبراء.

استند الموافقون على مسألة الذكورة فى رئاسة الجمهورية على محورين:

١- اتفاق علماء وفقهاء الشيعة والسنة على وقف مسألة الولاية والقضاء على الرجال.

٢- وفقاً لطبيعة المرأة المائلة للعاطفة أكثر من التعقل يجعلها غير مؤهله لتحمل هذه المسئولية الثقيلة.

وفى هذا السياق، سبق وأن استعرضنا آراء آية الله منتظرى حيال مسألة الذكورة وكذا باعتبارها شرطاً أساسياً للزعامة (الإرشاد)، ورغم أن فقه الشيعة الإمامية لم يخصص باباً منفصلاً فى هذا الخصوص، إلا أنه تناوله أيضاً تحت باب القضاء حينما تكلم عن صفات القاضى، وبين كيف أن هناك إجماعاً على وقف المسألة على الرجال فحسب، وتباعاً عكسوا ذلك على الحكم والرئاسة أيضاً. ومن ناحية أخرى، وفيما يتعلق بطبيعة المرأة وصفاتها التى تتنافى مع تلك المسئولية الثقيلة، أكد آية الله مرتضى مقتدايى عضو مجلس الخبراء رداً على لجنة النساء فى المجلس لدورته السادسة حول المادة ١١٥ من الدستور قائلاً: "إن الأمر موقوف على الرجال من منطلق أن الرئاسة فرع من أفرع الولاية، ولا شك أن المسألة ليست على هذا النحو، لنقص قد يعترى المرأة أو ينال من كرامتها وإنما بسبب الكيفية التى خلقت عليها وللاختلاف الطبيعى بين النساء والرجال".

وجهات النظر المعارضة

يرى العلامة شمس الدين أن فقهاء الشيعة الإمامية لم يجمعوا على ضرورة شرط الذكورة للحكم أو لرئاسة الحكومة تماماً، وكذا لا يمكننا الربط بين الذكورة للقضاء والرئاسة، ويعتقد أنه بالبحث الدقيق بالقرآن الكريم والأحاديث ... لا يمكن إيجاد إجماع فى الكتاب أو السنة على ضرورة أن يكون الرئيس رجلاً، وكذا لا يوجد أى دلائل أخرى تشير إلى ذلك.

كذلك يرى آية الله صانعى (من كبار المدافعين عن حقوق المرأة فى إيران) أن شرط الذكورة ليس واجباً سواء فى القضاء أو المرجعية والولاية، إنما تحدد المعرفة والعلم والتقوى، وكلمة "رجل" الواردة فى الأحاديث والروايات ليس المقصود بها الرجال دونما النساء "فالنساء والرجال متساوون فى كافة الحقوق السياسية، الاجتماعية الاقتصادية، لذا فالمرأة صالحة سواء للرئاسة أو الفقه، ومختلف المقامات الأخرى (الوزارات، القضاء، ...)".

وكثير من وجهات النظر الأخرى الفقهية لاسيما وجهة نظر آية الله سيد محمد حسين فضل الله الذى أيد صلاحية النساء فى رئاسة أعلى السلطات والمسئوليات، بعد أن أشاروا إلى الحديث القرآنى عن الملكة بلقيس، إضافة إلى رأى آية الله سيد حسين موسوى تبريزى الذى ذهب إلى "أنه من المسلم به عدم وجود ما يحول بين المرأة ورئاسة الجمهورية سواء فى الشرع أو الفقه، ولكن وفقاً لوجهة نظر الكثير من الفقهاء قد يحول ذلك فى إقامة الحجة والمرجعية فقط".

ومما سبق تناوله، يتضح أن الخلاف بين العلماء والفقهاء حول قيادة المرأة لبعض المناصب السيادية ظل قائماً رغم عدم وجود ما ينافى ذلك سواء فى الشرع أو الفقه، ولعل الخلاف كان سبب الإبهام حول تفسير كلمة "رجل" الورادة فى الأحاديث والراويات، وكذا عبارة "رجال متدينين سياسيين" الواردة فى تفسير المادة الخامسة عشرة بعد المائة من الدستور، لكن بعد دراسة مختلف الآراء يمكن القول إن التفسير اللغوى والاصطلاحى الصحيح للفظة "رجل" - والتى ظلت مبهمة لفترات طويلة - من ناحية، وقيام المشرع للدستور وكذا نواب مجلس الخبراء بإصدار تفسير رسمى لمواد الدستور المتعلقة بالمادة ١١٥ وبنودها من شأنه رفع الإبهام الذى علق بمسئوليات المرأة لفترات طويلة.

(×) تنص المادة (١١٥) على أن رئيس الجمهورية ينتخب من بين المتدينين السياسيين الذين تتوافر فيهم الشروط التالية:
١- أن يكون إيرانى الأصل ويحمل الجنسية الإيرانية.
١- قديراً فى الإدارة والتدابير.
١- ذى ماض مشرف.
١- تتوافر فيه الأمانة والتقوى.
١- مؤمناً ومعتقداً بمبادئ جمهورية إيران الإسلامية والمذهب الرسمى للبلاد : انظر دستور إيران. المترجم.

منظمات المجتمع المدنى

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٨/١٦

١- المؤسسات الحوزوية: وضع نظام تعليمى بالحوزة العلمية للفتيات

صرح حجة الإسلام جمشيدى القائم بأعمال مدير مركز إدارة الحوزة العلمية للفتيات قائلاً: "أسس مركز إدارة الحوزة العلمية للفتيات عام ١٩٩٦ كإدارة تابعة لمركز إدارة الحوزة العلمية بقم وأرسلت أوراق تأسيسه إلى المجلس الأعلى للحوزة وقبل إتمام هذا المشروع قام مدير مركز إدارة حوزة قم العلمية آية الله مكارم الشيرازى بتحويله إلى مركز مستقل تحت مسمى مركز إدارة الحوزة العلمية للفتيات وتم التصديق على قرار تأسيسه من قبل المجلس الأعلى للحوزة".

وأضاف حجة الإسلام جمشيدى أن هذا المركز أسس بهدف التوجيه والإشراف على جميع الحوزات العلمية فى سائر أنحاء إيران وقد بدأ عمله الفعلى عام ١٩٩٧، وكانت الحوزات العلمية قبل هذا التاريخ تطبق برامج تعليمية مختلفة دون أدنى نوع من التنسيق فيما بينها، وكانت أولى خطوات عمل المركز التعريف بالحوزات العلمية للفتيات بهدف التنسيق فيما بينها، وكانت الخطوة التالية وضع نظام تعليمى مناسب لظروف الفتيات والنساء مع الأخذ فى الاعتبار الملابسات والاحتياجات الأساسية للمستوى التعليمى المطلوب، والآن بعد مرور عشر سنوات على بداية نشاط المركز يطبق نظام تعليمى عام فضلاً عن نظم تعليمية على مستويات مختلفة تصل حتى المستوى

الرابع لمرحلة الدكتوراة بشكل متناسق فى جميع المدارس الحوزوية للفتيات".

وأضاف جمشيدى أن الوضع العام لمدارس الفتيات جيد وتتوافر بها الإمكانات التعليمية اللائقة لكن مازالت هناك مسافة طويلة للوصول إلى الوضع المطلوب وفى الخطوة التالية سيتم الاهتمام بالارتقاء بالمستوى الكيفى للعملية التعليمية وعلى المدى البعيد سيسعى المركز إلى أن يكون كهيئة عليا تختص بوضع السياسات التعليمية فى حوزات الفتيات وممارسة أعمال التوجيه والإشراف عليها.

ويمارس المركز نشاطاته العلمية حالياً على ثلاثة مستويات هى التدريس، والدراسات والبحوث، والجانب التربوى بهدف تكوين جيش ثقافى من متخرجات المدارس العلمية الدينية فى سائر أرجاء إيران.

٢- المنظمات العمالية: إصلاح قانون العمل يواجه تحديات

تواصلت اعتراضات العمال على مشروع إصلاح قانون العمل، تلك الاعتراضات التى كانت قد وصلت إلى درجة أن ممثلى العمال أعلنوا أن الأمر قد وصل إلى مرحلة جديدة بدأت بتجمهر عمال الوحدات الصناعية والإنتاجية فى أذربيجان الشرقية اعتراضاً على مسودة مشروع إصلاح قانون العمل، وفى غمار الأحداث صرح محمود دهقان عضو اللجنة القانونية بمجلس الشورى الإسلامى بشأن إصلاح قانون العمل قائلاً: إن مشروع إصلاح قانون العمل لم يصبح لائحة حتى الآن وإنما هو اقتراح من قبل وزير العمل الذى سيقدمه بعد عرضه على مجلس الدولة إلى مجلس الشورى الإسلامى فى شكل لائحة، وطبقاً لقول الدكتور دهقان يمكن تغيير بنود المشروع داخل مجلس الدولة أو لا يعرض كلائحة على الإطلاق.

ويرى الدكتور محمود دهقان أن بعض بنود قانون العمل تضع العامل وصاحب العمل فى مواجهة بعضهما البعض وينبغى التفكير فى حل هذه الأزمة بل يضع القانون نوعاً حتى الحدود التى تقلل الصدامات بين الطرفين إلى الحد الأدنى.

وانتقد أن يستخدم مشروع إصلاح قانون العمل كأداة لتسوية الحسابات السياسية قائلاً: لا ينبغى أن يتمسك أى تيار سياسى بقانون العمل الحالى بغرض تسوية الحسابات، لأن قانون العمل أحد أدوات الإنتاج التى أحيانا تكون فى يد العامل وأحياناً أخرى فى يد صاحب العمل، وهناك بعض الأفراد الذين يرون أن قانون العمل قانون مقدس ويعدون أمر التدخل والتغيير فيه أمراً متقبحاً، مما يعد إضراراً بالقانون لأن القانون ينبغى أن يتغير وفق متطلبات الزمان والمكان.

ويركز مشروع إصلاح قانون العمل على مشكلة العمالة المؤقتة، ومع الأسف لم يقدم مشروع وزير العمل حلاً للعمالة المؤقتة لأن أولى عوامل تضييع حقوق العمال العقود المؤقتة، وحول هذا الموضوع يقول منشى زادة أحد أساتذة قانون العمل إن مشروع إصلاح قانون العمل غير فعال ولا يصدر عن خبراء بشئون قوانين العمل وانتقد الفقرتين اللتين أضيفتا إلى قانون العمل قائلاً: مشكلة عقود العمل المؤقتة ليست فى تحديد مدتها وإنما فى عدد العقود حيث يجب تحديد عدد العقود التى تجرى للعامل الواحد، فعندما أيد وزير العمل مقترح أن يكون العقد أقل من ثلاثين يوماً وجدنا أن العقود تبرم على مدة ٢٩ يوماً لكن صاحب العمل الخبير بالالتفاف حول القانون يبرم فى السنة الواحدة ١٢ عقداً للعامل مثلما كان الحال فى قصر عقود العمل على ثلاثة أشهر، كان صاحب العمل يبرم العقد بـ ٨٩ يوماً.

بناءً على هذا نجد أن إبرام العقود فى النماذج التى أعدتها وزارة العمل ليس هو المحدد للأمر بسبب عدم تحديد عدد العقود، وإن جميع دول العالم تحدد عدد العقود للوظائف الدائمة لكن الخطأ الذى لم يحل فى إيران هو تحديد المدة الإجمالية للعمل المؤقت بغض النظر عن مدة العقد.

وفى جميع دول العالم لا يبرم أكثر من عقد مؤقت واحد للعمل الدائم وبعد ذلك يجب أن يصبح العامل المؤقت عاملاً دائماً.

كما انتقد منشى زادة الفقرة الرابعة من مشروع إصلاح قانون العمل قائلاً: إن ما أضيف كملحوظة على المادتين ٢١ و ٢٤ يميع القانون ولا يحدد ما يقوم به العقد المؤقت للعمل فى المادتين ٢١ و ٢٤، ومن ناحية أخرى لم يعلم ما سبب إيداع قيمة تأمين سنوات العمل فى صندوق اعتبارى، وفى إشارة إلى أن العامل يأخذ مكافأة شهر عن كل سنة عمل قال منشى زادة: إذا قسمنا الثلاثين يوماً على اثنى عشر شهراً بالسنة ينبغى على العامل أن يودع أجر يومين ونصف من كل شهر فى مؤسسة تأمينية تكون قد حصلت من وزارة العمل على تصريح بذلك، لكن لم

يحدد تعديل القانون ما الفائدة من هذا الحساب بالنسبة للعامل وهل للعامل حق السحب من هذا الحساب، وإذا لم يكن له حق السحب فى أى شئ ستشغل تلك الأموال ومن ناحية أخرى لماذا يلزم أن تحصل مؤسسة مالية ما على تصريح من وزارة العمل على تصريح بذلك.

إلا إذا كانت وزارة العمل تقوم بأى عمل فى هذه الدولة بحيث تعطى مؤسسة مالية تصريحاً هل قيام عامل بالادخار يحتاج إلى تصريح من وزارة العمل.

كما اعتبر منشى زادة أن إدماج البند (ز) فى المادة ٢١ لقانون العمل أمر غير جائز وقال: فى المادة (ز) لم يحدد انخفاض الإنتاج فى الوحدات الإنتاجية الكبرى أو أنه يطبق أيضاً على الوحدات الإنتاجية الصغرى أيضاً وأضاف أنه من الطبيعى أن يغير العامل وظيفته أو المكان الذى يعمل به إذا واجه فيه مشاكل وقد روعى هذا الأمر فى المادتين ١٥٨، ١٦٥ من قانون العمل وتصدر لجان حل الخلافات العمالية قراراً بفصل العامل فى حدود مواد قانون العمل.

٣ - هيئات التمريض: اعتراض على قرارات هيئة التنظيم والإدارة

أرسلت منظمة هيئات التمريض الإيرانية رسالة مفتوحة إلى الرئيس محمود أحمدى نجاد اعتراضاً على قرارات هيئة التنظيم والإدارة الإيرانية جاء فيها: تقدم هيئات التمريض الإيرانية أخلص تحياتها واحترامها لسيادتكم لما تبدونه من عون وعناية خاصة بهيئات التمريض، وخاصة قراركم بتشكيل لجنة تختص بترتيب أولويات مشاكل هيئات التمريض والعمل على حلها، لكن لبالغ أسفنا وتعجبنا فى ذات الوقت وجدنا هيئة التنظيم والإدارة وقد خالفت قرارات اللجنة المذكورة ولا تلقى بالا بما أمرتم به.

وبناء عليه فإن منظمة هيئات التمريض بالجمهورية الإسلامية الإيرانية بحكم كونها ممثلة ١٥٠ ألفاً ممن يعملون فى حقل التمريض تعلن اعتراضها الشديد على القرارات الخاطئة الصادرة عن هيئة التنظيم والإدارة، وأنها تدعو الهيئة المذكورة إلى إعادة النظر فى تعاملها مع اللجنة التى اخترتموها وذلك حتى نهاية الشهر الجارى.

وتنتظر هيئات التمريض الإيرانية فى جميع القطاعات الحكومية والخاصة وقطاعات التأمين الاجتماعى والقوات المسلحة على نحو لا يقبل المساومة أو التجزئة أن توافق هيئة التنظيم والإدارة على وجه السرعة على المطالب التالية:

- تقليل عدد ساعات عمل هيئات التمريض.
- إلغاء سقف الـ ٦٥٪ لترقية هيئات التمريض.
- تمتع هيئات التمريض ببدلات مخاطر العمل.
- زيادة الأجر الإضافى الخاص بالسهر والمبيت فى محل العمل.
- زيادة أجر الورديات خارج مقر العمل.
- زيادة بدل مصاعب العمل.

وإذا لم تعلن هيئة التنظيم والإدارة موافقتها السريعة على المطالب السابقة حتى نهاية الشهر الجارى، ومع تقديرنا لجميع مساعداتكم لهيئات التمريض لكن المنظمة من منطلق شعورها بدورها الذاتى والنقابى حيال هيئات التمريض المحترمة الخادمة للجمهورية الإسلامية ستقوم بالإجراءات التالية بالتعاون مع جميع العاملين فى هيئات التمريض فى سائر أرجاء إيران - عقد تجمع لهيئات التمريض أمام هيئة التنظيم والإدارة فى حالة عدم تحقيق المطالب السابقة وستعقد تجمعات موسعة فى جميع محافظات إيران أمام أفرع هيئة التنظيم والإدارة وذلك بعد مرور أسبوعين من التجمع الأول.

فى حالة عدم تحقيق المطالب ستعقد هيئات التمريض تجمعات داخل أماكن عملها وستضرب عن العمل.

وجدير بالذكر أن هيئة التنظيم والإدارة هى المتسببة فى هذه الإجراءات وهى المتحملة لوقوع أى حدث مؤسف فى هذا الصدد بسبب ما اتخذته من سياسات خاطئة، لأنها أثبتت عدم فاعليتها، ودأبها فى اختلاق المشاكل وبخاصة الإدارة الاجتماعية بها سواء فى عهد الحكومة السابقة أو الحكومة الحالية وأنها عملت على تردى الأوضاع على نحو مطرد.

إن هيئات التمريض تربط آمالها بدراية وقدرة سيادتكم على اتخاذ القرارات الصائبة، وبتدخلكم وقراراتكم الحاسمة ستتحرك هيئة التنظيم والإدارة فى اتجاه المسار الصحيح لسياسة حكومتكم لتذوق هيئات التمريض طعم العدالة وقبل هذا لكى لا يصير قرارات هيئة التنظيم والإدارة دافعاً لإثارة غضب هيئات التمريض. وأجركم عند الله.

٤- الهيئات الصحية: افتتاح أول ناد للمصابين بمرض الإيدز

لأول مرة فى إيران يتم افتتاح نادى للمتعايشين مع مرض الإيدز تحت مسمى نادى الرفاق الإيجابيين، تم تأسيس النادى داخل مستشفى الإمام الخمينى فى طهران بهدف ملأ أوقات فراغ الأشخاص المتعايشين مع مرض الإيدز وتقديم الدعم لهم وتقليل التفرقة الاجتماعية وعمليات العزل الاجتماعى التى يعانون منها ويستخدم الأعضاء ما يتاح لهم داخل النادى من مصادر معلوماتية ومهارات مكتسبة عبر البرامج الوقائية لحماية أقربائهم والمحيطين بهم وتقديم المساعدة لبعضهم البعض فى محيط ودى يعلم أفراده الألم المشترك الذى يجمع بينهم وذلك للتقليل من أثر المشكلة التى يعيشونها وبث الهدوء المعنوى والبدنى لبعضهم البعض.

يقوم أعضاء النادى بدعم برامج مواجهة الأضرار الاجتماعية لمرض الإيدز من خلال ما يمارسونه من أنشطة اجتماعية وثقافية، وأولى بنود برنامج النادى هى ملأ أوقات فراغ الأعضاء للقضاء على شعورهم بالوحدة والتكامل، حيث يمكن أن يمارسوا داخل النادى أنشطة رياضية وثقافية وذلك بعد تخصيص مكان لممارسة هذه الأنشطة.

وجدير بالذكر أن النادى يخضع لإشراف وإدارة مركز دراسات الإيدز الإيرانى وقد صرح سيد مؤيد علوبان وكيل وزارة الصحة فى حفل افتتاح النادى بقوله:

حتى نهاية شهر مايو الماضى تم تسجيل ١٣٣٥٧ حالة إصابة بمرض الإيدز فى إيران وبالطبع تزايد هذا العدد خلال الشهور الثلاثة التالية وإن مرض الإيدز ضمن الأمراض التى سيتزايد عدد المصابين بها خلال السنوات العشر القادمة، وإن وجود أندية مثل نادى الرفاق الإيجابيين يمثل إحدى المراكز لتعليم السلوكيات التى تحد من انتشار المرض وتقدم دعماً تعليمياً ضروريا لحصاره، ومما لا شك فيه أن مرض الإيدز لا يمكن التغافل عنه أو تجاهله لأننا إذا تناسيناه فسينتشر أكثر ليشكل كارثة قومية.

وقد شارك الدكتور شيرى جوزيف ممثل الاتحاد الدولى لتنظيم الأسرة فى إيران (IPPF) فى مراسم افتتاح النادى وصرح قائلاً بأن المصابين بمرض الإيدز لا يحتاجون للدواء والخدمات العلاجية فقط وإنما يحتاجون للدعم المعنوى والأنشطة الاجتماعية مثل بقية المواطنين العاديين.

وأشار جوزيف إلى مشاركة المصابين بالإيدز فى تأسيس وتشغيل النادى واعتبرها أحد مفاتيح نجاح التجربة، ثم قرأ رسالة السيدة مادوبا لاناس الرئيسة الإقليمية لجنوب آسيا فى الاتحاد الدولى لجمعيات تنظيم الأسرة (IPPF/ SARO) حيث قالت فى فقرة منها: لحسن الحظ لا توجد حتى الآن إحصائيات مقلقة عن انتشار المرض حتى تضطر إيران لتعبئة قدراتها البشرية لمواجهة المرض، لكن افتتاح هذا النادى يقدم نموذجاً مثيراً للإعجاب، لأ دولة ما تتحمل المسئولية بدلاً من الإنكار أو التغافل، وللأسف قليلة مثل هذه النماذج فى دول العالم.

٥- الهيئات الطلابية: المجالس الفئوية من التأسيس إلى الائتلاف

فى كثير من حالات الاعتراض السياسى الموسع يكون جوهر الاعتراض راجعاً فى الأساس إلى مطالب فئوية، حتى فى الأمور المعيشية البسيطة مثل مشكلات عنابر النوم أو التغذية بالمدن الجامعية إذ تتحول بسبب عدم التعامل السليم معها إلى حدوث أمواج عاتية من الاعتراض السياسى الذى عادة ما يتناسى المطالب الفئوية.

كما أن هناك بعض الأفراد الذين يستغلون المطالب الفئوية فى ألعابهم السياسية بحيث لا يكون الهدف لديهم هو حل المشكلة وتلبية المطالب الفئوية ومن ثم تظل عالقة، ومما يعقد الأمر أكثر شمولية المطالب الفئوية بمعنى أنها مطالب عامة داخل الفئة المجتمعية المنادية بها ومن ثم تؤدى إلى مشاركة واسعة من قبل الطلبة فى الاعتراضات بدون التقسيمات والتصنيفات القائمة بينهم على غرار ما يحدث فى الاعتراضات السياسية، لذلك فإن الجمعيات الإسلامية هى التى

كانت تتابع المطالب الفئوية الطلابية قبل تأسيس المجالس الفئوية، وأحياناً كانت تعمل هذه الأمور أحياناً كمحفزات لجذب المؤيدين.

منذ عام ١٩٩٩م أسست حكومة الإصلاحيين المجالس الفئوية على غرار الاتحادات الطلابية الأوروبية، طبقت هذا النموذج فى جامعات أمير كبير وشيراز والفردوس بمشهد والجامعة الصناعية بأصفهان، مع سياسة تقسيم وتنويع الأنشطة الطلابية والارتقاء بمستوى هذه النشاطات. كان التصور المبدئى للمجالس الفئوية أن تكون بمثابة الطبقة المطاطية الفاصلة بين كتلتى الطلبة والمسئولين بحيث تقلل من شدة الاحتكاك فيما بينهما، لأن الطلاب المعترضين على نقاط القصور التى تعانى منها فئتهم يرجعون إلى ممثليهم المنتخبين الذين سيدعونهم إلى ضبط النفس وتجنب اتخاذ إجراءات راديكالية متطرفة.

ومع أوجه الدعم الذى قدمته الحكومة للمجالس الفئوية وأنشطتها مثل وضع ميزانية مباشرة لها وتحجيم دور لجان الانضباط فى التعامل مع الناشطين فى هذه المجالس انتشرت المجالس الفئوية فى معظم الجامعات الإيرانية وزاد دورها بازدياد عدد الطلاب المنضمين لها أو المنقبلين لتوجيهاتها.

إن اشتراك الطلاب فى مراحل اتخاذ القرار وصنعه وعرضه على المسئولين كان فى البداية بمثابة كابوس مروع لأنه جعل الطلبة فى مواجهة شديدة مع المسئولين، هذا التعامل غير المقبول من طرف المسئولين والمفعم بروح الأمل تحقيق الذات من قبل الطلاب أدى إلى خلق تشاحنات بين الناشطين الفئويين ومسئولى الجامعات، هذه التشاحنات أدت إلى إحداث ضغط مباشر أو غير مباشر على الوزراء المؤيدين للمجالس الفئوية الطلابية.

طالب مسئولى الجامعات المعترضين على المجالس الفئوية بتقليل نفوذ هذه المجالس بل وإلغائها التام بحجة بالعملية الإدارية بالجامعات.

النقطة الجديدة بالتأمل هى أن تحليل أسباب التشاحن بين المجالس الفئوية ومسئولى الجماعات يقودنا إلى سببين رئيسيين: الأول، وجود نقاط مبهمة كثيرة فى اللائحة التأسيسية للمجالس الفئوية وصلاحياتها وقد ظلت كما هى منذ سنوات بسبب عدم الاستفادة من وجهات نظر الطلاب. والثانى، غياب روح قبول المشاركة لدى المسئولين والخوف من تواجد الطلاب أثناء مراحل اتخاذ القرار فضلاً عن الإدارة والإشراف، ونظراً للأسباب السابقة بالإضافة إلى الجمود النسبى للتنظيمات الطلابية فى السنوات الأخيرة توقفت عملية نمو المجالس الفئوية الطلابية.

بل اتخذت فى بعض الأحيان سياسات تعمل على إضعاف المجالس وفى نفس الوقت تزايد الشعور لدى أجهزة الدولة بأهمية المجالس الفئوية كاحتياج أساسى لخلق التوزان السياسى بين الطلاب بعد تراكم خبرات الناشطين فيها وقد دعم هذا الشعور، النقاشات التى دارت فى الاجتماع العام للمجالس الفئوية الطلابية على مستوى إيران.

مؤخراً تم التصديق على اللائحة الأساسية لاتحاد المجالس الفئوية فى شتاء ٢٠٠٥م بمشاركة ممثلى خمسين جامعة، وبدء الاتحاد الفئوى لطلاب إيران بانتخاب اللجنة المركزية له.

أنشطة حزبية

١ - جبهة مشاركة إيران الإسلامية: لم نعقد اجتماعاً لاختيار الأمين العام للجبهة

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/٢٣

استمراراً للتداعيات التى تمر بها جبهة المشاركة فإن الجبهة لازالت حتى الآن بصدد الإعداد للجمعية العامة التى كان مقرراً عقدها فى يوليو الماضى، إلا أنه تم تأجيل انعقادها إلى أغسطس الحالى نظراً لعدم توافر مكان لعقد الجمعية العامة. هذا الأمر كان سبباً لأن يقوم مسئولو الحزب بتوجيه النقد للمؤسسات الحكومية متسائلين: لماذا لا تضع تلك المؤسسات مكاناً محدداً تحت تصرف جبهة المشاركة؟ يذكر هنا أنه قد تم الاتفاق على عقد الجمعية العامة فى قاعة "مؤسسة أمير المؤمنين الثقافية" على أن تستمر الجمعية فى الانعقاد لمدة يومين.

من أهم الموضوعات وأكثرها تغطية إعلامية ذلك الموضوع الخاص بتغيير الأمين العام وانتخاب أمين عام جديد بدلاً من محمد رضا خاتمى وذلك من قبل اللجنة المركزية.

حول هذه النقطة تحديداً قال حسين كاشفى مساعد الأمين للجبهة، مقرر الجمعية العامة القادمة: "الواقع أنه لم يتم التصريح فى اللائحة الأساسية للحزب بضرورة إقامة أو عقد جلسات تشاورية قبل انتخاب الأمين العام بهدف التوصل إلى قرار أولى فى هذا الشأن. وفيما يتعلق بالتشكيلات الحزبية المركزية فإن ممثلى الدوائر أو المحافظات أو سائر الأركان يستطيعون المشاركة فى ذلك وفقاً لحصصهم وكل شخص قام باجتياز "المراحل والمستويات الحزبية وتدرج فيها" يستطيع أن يرشح نفسه للجنة المركزية.

وبعد الانتهاء من اللجنة المركزية الجديدة يتقدم اثنان للترشيح لمنصب الأمين العام فى نفس اجتماع الجمعية العامة التى تقوم بدورها بالتصويت لصالح أحدهما. هذا يعنى أنه لم يتم فى الأصل عقد اجتماع فى اللجنة المركزية، أو فى مقر جبهة المشاركة فى شارع سميه، بشأن اختيار المرشحين لمنصب الأمين العام كما أشيع".

وأضاف كاشفى: "حتى الآن لم يعقد أى اجتماع فى مقر الحزب لاختيار الأمين العام. المؤكد أنه من الممكن أن يكون عدداً من الأشخاص قد عقدوا جلسات تشاورية خارج جبهة المشاركة أو أن يكونوا قد تحاوروا مع بعضهم البعض".

وتابع كاشفى: "يعتقد البعض أنه يجب عقد مثل هذه الجلسات التى لم تعقد حتى الآن. هم يعتقدون أنه لابد من التوافق والاتفاق بشأن ضوابط ومواصفات الأمين العام الجديد وأن يتحقق الانسجام فى هذا الصدد على أقل تقدير".

وفى النهاية قال كاشفى: "لقد سعينا بالفعل. من خلال إصلاح وتعديل اللائحة الأساسية للحزب- سعينا من أجل مضاعفة تأثير مثل هؤلاء بل والنساء والشباب أيضاً داخل الجمعية العامة للحزب. هذه الانتقادات خاصة بالماضى لكن الأصدقاء ليست لديهم مثل هذه الانتقادات الآن. بل إننا الآن بصدد تغيير وإصلاح اللائحة الأساسية فى الجمعية العامة القادمة والتى يستطيع فيها جميع الأعضاء تقديم اقتراحاتهم بشأن إصلاح اللائحة الأساسية وتعديلها".

٢- حزب كوادر التعمير والبناء: نتفاوض مع ثلاثة أحزاب قوية

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/٢٣

لا حديث الآن داخل حزب كوادر التعمير والبناء سوى الحديث عن تحاور وتفاوض الحزب مع ثلاث من الأحزاب القوية داخل إيران، وكذلك بشأن عملية التوسعة الكبيرة لتشكيلات وهيئات الحزب داخل الدولة. مؤخراً أيضاً تم تعيين متحدثاً جديداً باسم الحزب هو حسين مرعشى وقد تحدث مرعشى عن "قائمة" جديدة للحزب مؤكداً وجود تخمينات وأقاويل بشأن المشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء ومجالس الشورى المحلية القادمة والتى اقتربت بشدة. فى هذا الصدد أجرت صحيفة شرق الحوار التالى مع حسين مرعشى حول المخاوف والتخمينات والأقاويل الدائرة الآن داخل أروقة الحزب وكذلك حول الموضوعات التى طرحت ونوقشت فى آخر جلسة للجنة المركزية للحزب.

شرق: ما هى الموضوعات التى طرحت فى آخر اجتماع للجنة المركزية للحزب؟

مرعشى: لقد انقسمت أو تمحورت الموضوعات حول موضوعين رئيسيين الأول بحث ومناقشة تجديد المقرات والانتهاء من الأمانات الفرعية الخاصة بالحزب داخل المحافظات والموضوع الثانى كان حول انتخابات مجلس الخبراء وانتخابات مجالس الشورى المحلية القادمة.

شرق: من الذى كان داعياً ومصراً على زيادة الأمانات والتشكيلات الفرعية لحزب كوادر التعمير والبناء؟

مرعشى: السيد "كرباستشى" الأمين العام لحزب الكوادر(×).

شرق: ما هو الخط الرئيسى لكوادر التعمير والبناء فيما يخص المشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء وأيضاً فى انتخابات مجالس الشورى المحلية؟ ومن هم الذين كانوا على إصرار كبير بشأن ضرورة طرح هذه الموضوعات من جانب اللجنة المركزية للحزب؟ وأية تقارير تقدموا بها فى هذا الصدد؟

مرعشى: بخصوص الانتخابات كان كل من "غلام حسين كرباستشى" "وهدايت اقايى" هما المكلفان بالأمر وقد تقدما فى الجلسة الأخيرة بتقرير فى هذا الصدد.

وخطنا الرئيسى يقوم على أساس الائتلاف مع سائر الإصلاحيين. وسوف نكون مؤيدين وداعمين لقائمة مجمع روحانيون مبارز ومجمع مدرس الحوزة العلمية بقم.

شرق: أى برنامج لديكم على الرغم من أن عدداً من كبار رجال الدين غير مستعدين للقيد والمشاركة فى دخول "امتحان" القبول الخاص بالمشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء؟

مرعشى: كل ما نستطيع فعله فى هذا الصدد هو التباحث معهم وإقناعهم بضرورة المشاركة فى مسيرة انتخابات مجلس الخبراء وإدارتها. لكن لا نمتلك تأثيراً مباشراً فى هذا الصدد.

شرق: إذا لم يشارك المرشحون الإصلاحيون فى انتخابات مجلس الخبراء أو رفضت صلاحيتهم فى هذا الصدد، فهل ستشاركون فيها أياً كان الأمر؟

مرعشى: لنكن مطمئنين بأنه إذا حدث أن صارت هناك قائمة بشأن المشاركة فى الانتخابات وخطى عدد من الأفراد بالصلاحية اللازمة للمشاركة فمما لا شك فيه أننا سنشارك فى الانتخابات.

شرق: وماذا بشأن انتخابات مجالس الشورى المحلية؟

مرعشى: بالقطع تختلف انتخابات مجالس الشورى المحلية عن انتخابات مجلس الخبراء. فمن ناحية أولى لم نجرب بعد رقابة المجلس السابع حتى الآن، وربما كانت هذه الرقابة ذات سلوك أكثر عدلاً وهو ما يؤدى إلى أن يحظى المرشحون الإصلاحيون المتقدمون لانتخابات مجالس الشورى المحلية بالصلاحية المطلوبة. ومن ناحية أخرى فنظراً لكثرة أعداد المرشحين لمجالس الشورى المحلية فقد وضعنا فى اعتبارنا "خطر" وضع عدة قوائم للجماعات الإصلاحية، ولهذا السبب اتفقنا مع القوى الإصلاحية المختلفة أن الأصل والمبدأ الأساسى فى ذلك هو صلاحية الأفراد المرشحين وارتفاع منزلتهم الشخصية والاجتماعية وليس "الحصة الفئوية" لكل جماعة.

شرق: هل حدث تباحث فى هذا الصدد حتى الآن مع الأحزاب الإصلاحية الأخرى؟

مرعشى: نعم لقد عقدنا جلسات تباحث مع ممثلى ونواب هذه الأحزاب. وهو ما تم من جانب كوادر التعمير والبناء بشكل منفصل وثنائى مع كل من حزب المشاركة، منظمة مجاهدى الثورة ومجمع روحانيون مبارز وذلك طوال شهر يوليو الماضى حيث عقدنا جلسات وحلقات نقاشية ثنائية مشتركة مع كل من الأحزاب السابق ذكرها.

٢- حـــزب اعــــتــــمــــاد ملى: إنهم يقـــيـــدون حق الانتـــخـــابات

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/٣٠

أثارت الشروط الجديدة للتقدم للترشيح لانتخابات رئاسة الجمهورية والتى نشرت فى اللائحة الانتخابية الجامعة والشاملة من جانب المدير العام للانتخابات بوزارة الداخلية، أثارت ردود فعل واسعة من جانب الأحزاب والجماعات السياسية المختلفة، الأمر الذى دفع محمد حائرى مدير مكتب الشئون القانونية بحزب اعتماد ملى (الثقة الوطنية) إلى إعلان تحفظات الحزب فى هذا الصدد مؤكداً على أن الشروط الجديدة الخاصة بالترشيح لمنصب رئيس الجمهورية تخالف مبادئ الدستور وتتعارض مع المصالح القومية. ذلك أن هذه الشروط الجديدة تجعل رئيس الجمهورية "مديناً" لنواب مجلس الشورى الإسلامى وأعضاء مجلس الخبراء وجميع الأشخاص الذين ساندوه ودعموه. من ناحية أخرى لابد من التأكيد على مخاوفنا من أن تسرى الرقابة الاستصوابية، أى الرقابة على أهلية التقدم للترشيح للانتخابات، لتشمل انتخابات المجالس المحلية وذلك إذا ما عقدت فى نفس وقت إجراء انتخابات مجلس الخبراء. ذلك أن الجمع بين الانتخاباتين - مجلس الخبراء ومجالس الشورى المحلية - لا يعد أمراً صائباً نظراً لأن إحداهما ذات ماهية سياسية وهى انتخابات مجلس الخبراء أو الثانية فهى ذات طبيعة مدنية أى الانتخابات المحلية. كما أن الإطار الخاص بكل من الاستحقاقين يختلف من واحد إلى آخر. حيث أن الرقيب على انتخابات مجلس الخبراء هو مجلس صيانة الدستور فى حين يتكفل مجلس الشورى الإسلامى بالرقابة على انتخابات مجالس الشورى المحلية، ومن ثم فإن الجمع بين هذين الاستحقاقين يعد أملاً غير عقلانى.

وفيما يخص التعقيب على القول بأن الجمع بين الاستحقاقين من شأنه زيادة المشاركة الشعبية فى الانتخابات قال حائرى: "إن زيادة المشاركة الشعبية فى انتخابات مجلس الخبراء سيؤدى إلى الإقلال من شأن انتخابات مجالس الشورى المحلية وهو ما يبدو مخالفاً للمصالح القومية ولمستقبل الإدارة فى الدولة. ذلك أنه من الطبيعى أن يكون مستوى مشاركة الناس فى انتخابات مدنية أعلى من مستوى مشاركتهم فى انتخابات لها صبغة سياسية".

ففى الانتخابات السياسية تشارك الجماعات والقوى والأحزاب السياسية فقط كلما رأت إمكانية مشاركة مرشحيها فى هذه الانتخابات أو تلك.

وقد ذهب إسماعيل جرامى مقدم عضو اللجنة المركزية لحزب الثقة الوطنى، حيث اعتبر أن تغيير شروط الترشيح لانتخابات رئاسة الجمهورية يعد خطوة من أجل الحد من حق الشعب الانتخابى وزيادة دور الحكومة فى نتيجة الانتخابات. إن هيئة الرقابة على الانتخابات يجب أن تكون تحت سيطرة مجلس صيانة الدستور فى حين تتولى قوات الباسيج، الجيش والأمن الداخلى حفظ الأمن لإقامة الانتخابات وليس للرقابة أو إعمال الرقابة على عملية بحث صلاحية المرشحين لهذا فإن ترك الرقابة والتدخل فى الشئون الانتخابية من جانب القوات الأمنية من شأنه أن يعتبر تجاوزا وتعدياً على القانون. الواقع أن هذه اللائحة تعتبر خطوة نحو تقييد حق الشعب فى الانتخاب لصالح دور الحكومة وهو الأمر الذى لا يعد فى صالح النظام على الأمد الطويل خاصة أنه من المتوقع أن يتم تأييد هذه اللائحة من جانب مجلس الشورى الإسلامى نظراً إلى أن أغلبية أعضاءه ينتسبون إلى المحافظين. وحول الشروط الجديدة التى تم الإعلان عنها مثل ضرورة توقيع (٥٠) نائباً من مجلس الشورى موزعين على (٢٠) محافظة وكذلك توقيع (٢٠) عضواً من مجلس الخبراء موزعين على (١٠) محافظات وتوقيع (١٠٠) عضواً من الهيئة العلمية الجامعية أى من أساتذة الجامعات وعدد من كبار القضاة و(٥٠) من كبار المديرين بالدولة على الطلب المقدم من كل شخص يرغب فى الترشيح لرئاسة الجمهورية قال "جرامى مقدم" إن ذلك يعد تعجيزاً للكثير من الأشخاص الراغبين فى التقدم للترشيح للانتخابات الرئاسية وهو الأمر الذى يتعارض كلية مع مبادئ الدستور.

٤- مجمع روحانيون مبارز: إنه الحد من التيارات السياسية

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/٣٠

فى معرض نقده وتفنيده المفصل للضوابط والقيود الجديدة التى وضعت بشأن الترشيح لانتخابات رئاسة الجمهورية قال عبد الواحد موسوى لارى عضو مجمع روحانيون مبارز، وزير الداخلية السابق: "من المتوقع أن تكون عملية وضع ضوابط للترشيح لانتخابات رئاسة الجمهورية عملا صائبا وصحيحا لكن الشئ غير الصحيح هو أن ندع أو نترك عملية تأييد المرشحين للعناصر الذين لديهم شبهة الصراع الحزبى والسياسى فتتمكن التيارات السياسية - بهذا الشكل - من القضاء على - أو حذف - منافسيها، تماما مثلما نجد فى انتخابات مجلس الخبراء حيث يختار أعضاء مجلس صيانة الدستور منافسيهم بوصفهم مرشحين وهو عمل غير صحيح. الواقع أن ما طرح يعد عملية إسناد واضحة إلى القوات المسلحة للتحكم فى الانتخابات الرئاسية عبر قيامها بإجراء فلترة من شأنها الحيلولة دون دخول أفراد كثيرين إلى الساحة الانتخابية خاصة بشأن الأشخاص الذين لا يحظون ولا يتمتعون بتأييد بعض التيارات. إن قوات الباسيج هى من المؤسسات العسكرية، ومن ثم يكون إشرافها ومشاركتها فى الإشراف على الانتخابات الرئاسية يعد مخالفا للقانون والدستور وتعليمات الإمام الخمينى، حين أوصى بضرورة ألا تقام انتخابات تحت إشراف أو مراقبة التشكيلات العسكرية. أيضا تعد الدعوة إلى إجراء انتخابات الخبراء فى نفس وقت إقامة انتخابات مجالس الشورى المحلية بمثابة إعمال - أو خلق - قيد جديد للحد من الفرص المتاحة أمام التيارات السياسية فى الدولة. لهذا السبب فإن هذا التحرك لم يكن موضع تأييد من جانب الإصلاحيين منذ بداية الأمر، لأن ذلك من شأنه الحد من قدرة التيارات السياسية المختلفة. لكن على الرغم من ذلك كله فسوف نشارك وبصورة فعالة فى جميع الانتخابات فى حال ما إذا توافرت الظروف الملائمة وهو ما يعنى أننا سنقوم بتقديم مرشحينا فى كل انتخابات سواء بالائتلاف مع القوى أو الأحزاب السياسية الأخرى أو بالتنسيق والتعاون معها".

٥- حزب كوادر التعمير والبناء: المشكلة لن تحل باللائحة الجديدة

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/٣٠

فى إطار ردود الفعل الواسعة التى صدرت عن الأحزاب والقوى السياسية المختلفة بشأن التعديلات الجديدة التى أجرتها وزارة الداخلية على الشروط الخاصة بالتقدم للترشيح للانتخابات الرئاسية أعلن "حسين مرعشى" المتحدث الرسمى باسم حزب كوادر التعمير والبناء أن تدخل قوات الباسيج فى الانتخابات فى وجود مؤسسات رقابية وتنفيذية مختصة يعد تدخلا لمؤسسات غير مختصة وغير مسئولة فى هذا الأمر. ذلك أن قيام قوات الباسيج بتحمل مسئولية تقييم التقارير الشعبية وإرسال نتائج ذلك إلى الهيئات التنفيذية والرقابية يعد بدوره عملا خارج نطاق اختصاصات ومهام تلك القوات وهو ما يعد عملا غير مستحبا ومخالفا لتوقعات المجتمع ويعنى تدخلا من جانب مؤسسات عسكرية وغير مختصة فى أمر الانتخابات.

الحقيقة أن نظامنا السياسى يعانى من نوع من التفكك السياسى الذى لا يعد وضع هذا المشروع، الخاص بانتخابات رئاسة الجمهورية، بمثابة الوسيلة أو الطريق لحل هذا التفكك السياسى. بل أن الطريق المطلوب لهذا الأمر هو تمهيد وتهيئة المناخ السياسى وإعطاء دور حقيقى للأحزاب والتشكيلات السياسية، وهو العمل الذى يستلزم ويحتاج إلى وضع "قانون جامع" للانتخابات. فيجب علينا أن نقوم - ونحن نبحث القوانين واللوائح الخاصة بانتخابات رئاسة الجمهورية، مجلس الشورى الإسلامى ومجالس الشورى المحلية - يجب أن نتحرك صوب إيجاد "حرفية سياسية" فى إيران وإسناد الانتخابات إلى الأحزاب وأن نصوغ القوانين الخاصة بالأنشطة الحزبية.

٦- حزب الاعتدال والتنمية: سوف نضاعف من أنشطتنا فى الفترة القادمة

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/٣٠

أعلن غلام على دهقان المتحدث الرسمى باسم حزب الاعتدال والتنمية أن الحزب سوف يضاعف من أنشطته فى الفترة القادمة نظراً لضيق الوقت المتبقى على إقامة انتخابات مجلس الخبراء والتى سيرافقها أيضاً إجراء انتخابات مجالس الشورى المحلية. وأكد على أن الحزب سوف يؤيد العلماء الذين يتمتعون باعتدال سياسى ولا ينتمون لأى من الأجنحة أو التيارات السياسية هذا إلى جانب تمتعهم بسمات وخصائص وقدرات علمية وفقهية خاصة.

كما سيعمل الحزب على التوافق والتنسيق مع الجماعات والقوى المتوافقة معنا حتى نصل إلى تفاهمات من شأنها أن تقودنا إلى ائتلافات حقيقية خاصة فيما يتعلق بانتخابات مجالس الشورى المحلية. ذلك أنه من الطبيعى أن تقوم الأحزاب التى كانت قد قررت المشاركة فى الانتخابات المحلية، من الطبيعى أن تقوم بإعادة النظر فى برامجها وخططها بعد القرار الخاص بإجراء تلك الانتخابات فى نفس التوقيت الخاص بإجراء انتخابات مجالس الخبراء. لأن ما كانت تقوم به كان مرتبطاً بالتنسيق بشأن خوض انتخابات مجلس الخبراء وحسب لكن ما حدث أن تم إقرار تنفيذ انتخابات أخرى - مجالس الشورى المحلية - فى شهر أبان.

من ناحية أخرى صرح "غلام على دهقان" أنه من المتوقع أن يحدث فى انتخابات مجالس الشورى المحلية القادمة عكس ما كان عليه الأمر فى نفس الانتخابات فى الدورة الثانية التى جرت فى عام ٢٠٠٢ حيث من المتوقع أن تتعدد القوائم الخاصة بالمرشحين المحافظين عكس ما كان الأمر منذ أربع سنوات حين تعددت القوائم الخاصة بالإصلاحيين آنذاك وهو ما كان سبباً فى إخفاقهم وفشلهم.

فى هذا الصدد نتوقع أن تنشط مؤسسات السيد أحمدى نجاد ومؤيدوه فى بلدية طهران خلال هذه الانتخابات. المؤكد أيضاً أن تنشط تحركات الأجنحة اليمينية التقليدية مع دور محورى خاص لجبهة أتباع خط الإمام والمرشد وذلك من خلال استحداثهم حزباً جديداً يكشف عن حجم قوتهم ووجودهم.

من المتوقع أيضاً أن نشهد وجود أربعة تيارات رئيسية فى هذه الانتخابات وهو ما يعنى وجود أربعة قوائم رئيسية هذا بالنسبة للتيار اليمينى المحافظ.

أما بخصوص اليسار أو التيار الإصلاحى فإن قناعات ورؤى حزب الثقة الوطنى وأمينه العام تكشف لنا عن قناعتهم بضرورة عدم الائتلاف خاصة مع ثلاث من القوى أو الأحزاب الرئيسية من اليساريين الجدد وهى حزب المشاركة ومجاهدى الثورة الإسلامية مع ذلك ثمة فرص لوجود فرص ائتلاف بين "حزب الثقة الوطنى" مع الجماعات والقوى الإصلاحية المعتدلة خاصة وأن هذه القوى لازالت فعالة ونشطة فى الساحة السياسية. من هنا من المتوقع أن نشاهد خمس قوائم على الأقل فى الانتخابات القادمة والتى يختلف بعضها بقوة عن الآخر. من المؤكد أن مجتمعنا قادر وبقوة على الوصول إلى مرحلة القطبية الثنائية نظراً لوجود مثل هذا الاستعداد لديه ولهذا فمن الممكن أن نرى خلال الشهور الثلاثة القادمة قولين رئيسيين أحدهما لليمين المحافظ والثانى لليسار الإصلاحى حيث من الممكن أن يتمكن كل منهما من تقديم قائمة موحدة أو واحدة للتنافس فى الانتخابات القادمة.

٧- مجمع مدرسي الحوزة العلمية بقم: أكثرية الإصلاحيين يعترضون على القانون الحالي لانتخابات مجلس الخبراء

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/٢٣

ثمة مخاوف أساسية صارت قائمة داخل مجمع مدرسى ومحققى الحوزة العلمية فى قم، وحليفها أى مجمع رحانيون مبارز بشأن المشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء القادمة.

فى هذا الصدد ثمة مانعان رئيسيان من الممكن أن يحولا دون المشاركة فى تلك الانتخابات، وهما مانعان متكاملان يؤثر كل منهما فى الآخر.

الأول يتمثل فى الخوف من رفض صلاحية المرشحين التابعين لكل من الحزبين أو الجبهتين. أما الثانى فيتمثل فى عدم قيام كبار رجال الدين الإصلاحيين بالترشح فى الانتخابات القادمة لمجلس الخبراء بسبب عدم قبولهم بالقانون الحالى الخاص بانتخابات مجلس الخبراء وشكهم وترددهم فى أسلوب وطريقة وآلية تأييد- أى اعتماد- صلاحية المرشحين.

ومع وجود هذه التحديات التى تواجه رجال الدين الإصلاحيين بشأن المشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء فإن عدداً من كبار المسئولين فى مجمع مدرسى الحوزة ومجمع روحانيون يتحدثون عن استعداد وجهوزية كل منهما بشأن قائمة مرشحيهم لخوض الانتخابات.

على أية حال قام مراسل صحيفة شرق بإثارة هذه المشكلة مع الأمين العام لمجمع مدرسى ومحققى الحوزة العلمية فى قم سيد حسين موسوى تبريزى الذى لازال متردداً هو الآخر بشأن المشاركة فى هذه الانتخابات حيث يقول فى هذا : "إننى أستبعد أن أترشح لخوض انتخابات مجلس الخبراء".

شرق: لماذا يعلن أغلب كبار رجال الدين الإصلاحيين أنهم غير مستعدين للمشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء؟، وما هى أوجه النقد المباشرة التى يعتقدون بوجودها بالنسبة لقانون انتخابات مجلس الخبراء؟

موسوى تبريزى: لقد بدأت هذه الانتقادات منذ الدورة الثانية لانتخابات مجلس الخبراء. فقد حدث آنذاك أن رفضت صلاحية بعض الأفراد الأفاضل ذوى الشخصية والمكانة العلمية المحترمة من دون ذكر أى سبب واضح. كما رفض عدد من الفقهاء والمجتهدين المشهورون بعد التهم. فعلى الرغم من أن الإمام الخمينى كان قد قام بتعيين البعض من العلماء كقضاة من دون أن يجرى لهم امتحان مكتفياً فقط بمعرفتهم أى بتوافر شرط "المعرفة"- بل مجرد العلم بالمعرفة- فى أغلبهم، على الرغم من حدوث ذلك فى بداية الثورة داخل السلطة القضائية وداخل المناصب التى تحتاج إلى "مجتهد" عادل فقط إلا أن مثل هذا المنهج لم يعمل به بعد رحيل الإمام الخمينى لدرجة أنه لم تقبل سوى صلاحية شخص واحد فقط فى انتخابات مجلس الخبراء السابقة- من بين ألفين من "المجتهدين" الموجودين فى مدينة قم ثم كان الشخص الثانى التابع لنا الذى قبلت صلاحيته من طهران.

شرق: هل الإصلاحيون فقط هم الذين ينتقدون مثل هذه الممارسات؟

موسوى تبريزى: لا، إن بعض الأفراد الذين لا يصنفون داخل الجبهة الإصلاحية وكذلك المستقلين، ليسوا مستعدين لدخول امتحان غير معلوم هويته ونظامه ويعقد خلف الأبواب المغلقة!!

شرق: معنى ذلك أنكم لستم مستعدين لدخول الامتحان؟

موسوى تبريزى: لا، لأنه إذا كانت هناك ضوابط واضحة للامتحان فنحن مستعدين لدخوله.

شرق: أنتم أنفسكم لازلتم مترددين للتقدم للترشيح؟

موسوى تبريزى: إننى استبعد أصلاً أن أترشح لمجلس الخبراء.

شرق: لماذا مع كل ما ذكرتموه، لماذا أعلنتم أن القائمة الانتخابية الخاصة بكم جاهزة.

موسوى تبريزى: القائمة جاهزة فعلاً. لكن أغلب شخصياتها غير مستعد للترشيح ولكنهم يربطون ذلك بشروط رفض وتأييد "صلاحية الترشيح". ذلك أنهم يطرحون تساؤلا أو سؤالاً مهماً مفاده هو: كيف لأفراد دخلوا الامتحان الذى أقامته الحوزة العلمية فى قم ونجحوا فيه ويمتلكون فى المقابل شهادات علمية حوزوية تعادل الدكتوراه، كيف لهؤلاء أن يدخلوا الامتحان مرة ثانية؟

شرق: إذا ما حدث أن رفضت صلاحية أغلب مرشحيكم فماذا تفعلون؟

موسوى تبريزى: سوف نعترض من خلال إصدار بيان رسمى ولن نكون مستعدين لتقديم قائمة والمشاركة فى انتخابات مجلس الخبراء.

تغيير التوجه الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط: الشرق الأوسط الجديد

■ د.محمد حسن خاني
استاذ العلاقات الدولية وعضو هيئة تدريس بجامعة الإمام الصادق
■ همشهرى ديبلما تيك (همشهرى الدبلوماسى) العدد الخامس، أغسطس ٢٠٠٦

عندما كانت دول العالم مذهولة من أبعاد الهجمات الشاملة التى تشنها إسرائيل على لبنان وطالبت بالوقف الفورى لإطلاق النار بين الجانبين أعلنت كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية ضمن معارضة بلادها الصريحة لأى وقف لإطلاق النيران أن الظروف الراهنة تمثل الفرصة الأفضل لمتابعة وتنفيذ الخطة الاستراتيجية الأمريكية فيما يخص الشرق الأوسط، وفى هذه المرة وبالاستعانة بمفهوم جديد هو الشرق الأوسط الجديد أعلنت عن الأهداف الأمريكية الطويلة المدى فى المنطقة، حيث أكدت أنه قد حان الوقت لميلاد شرق أوسط جديد، وستحاول هذه المقالة بنظرة مجملة لمشروع الشرق الأوسط الكبير تقييم المواقف والرؤى الجديدة لواضعى هذا المشروع وستحلل نتائجه السياسية- الأمنية بالنسبة لدول المنطقة والتحديات التى ستواجهها فى ضوء التطورات الأخيرة فى المنطقة.

وبناءً على ما صدر من بيانات وأحاديث ومقالات فإن رؤوس الموضوعات والتى تعد الأهم فيما يخص مشروع الشرق الأوسط الكبير هى:

١- ترسيخ العملية الديمقراطية داخل دول المنطقة.

٢- ادعاء تأييد إجراء انتخابات حرة باعتبارها السبيل والآلية للوصول إلى نظم حكم ديمقراطية إلى جانب دعم وسائل الإعلام المستقلة الحرة وغير الحكومية .

٣- احترام حقوق الإنسان ودعم مؤسسات المجتمع المدنى والمنظمات غير الحكومية فى دول الشرق الأوسط .

٤-وعلى صعيد السياسة الخارجية فإن أحد الأهداف الأساسية لمشروع الشرق الأوسط هو تسوية الصراع العربى - الإسرائيلى، وإيجاد حل عملى للقضية الفلسطينية.

٥- وأخيراً فإن الهدف الأهم فى هذا المشروع هو إجراء إصلاحات جذرية فى نظام التربية والتعليم مع التأكيد على نشر العلمانية وفصل الدين عن السياسة ونشر التسامح الدينى.

وبالنظر إلى تطورات العامين الأخيرين فى المنطقة ومن بينها نتائج الانتخابات البرلمانية فى العراق وفلسطين يبدو أن الأمريكيين قد أدركوا جيداً أن المحاور الثلاثة الأولى أى نشر الديمقراطية والانتخابات الحرة وحقوق الإنسان من الممكن أن يترتب عليها نتائج غير مطلوبة بل ومهددة لمصالحها فى المنطقة. وهذا يعنى أن الأمريكيين قد أدركوا أنه بالنظر إلى البنية الاجتماعية والاتجاهات الدينية القوية فى دول المنطقة فإن نشر الديمقراطية والانتخابات الحرة سيؤدى إلى تولى الأحزاب والجماعات الإسلامية زمام الأمر.

وستتبلور ظاهرة فى الشرق الأوسط تتضاد وتتعارض بالأساس مع المصالح الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، ومع وجود المقولات الثلاث المذكورة أى نشر الديمقراطية والانتخابات الحرة وحقوق الانسان من الممكن أن تتخذ دائماً من جانب أمريكا والاتحاد الأوروبى كآلية مناسبة لإعمال الضغط على دول المنطقة ، خاصة إيران.

كانت الاستراتيجية الأولى للأمريكيين فى مشروع الشرق الأوسط الكبير تقوم على فرضية متفائلة وهى أن إجراء الانتخابات فى العراق سيأتى بالأحزاب المعتدلة والسياسيين غير الدينيين والموالين للغرب وكان النجاح نسبيا لواضعى هذا المشروع فى الثلاثة محاور المذكورة فى بغداد من الممكن أن يكون مصدر قلق بالغ لسائر عواصم المنطقة هذا فى حين أن الأمريكيين كانوا يستطيعون أن ينفذوا بشكل ما وصفة مثالية أو قريبة من المثالية لأهدافهم بخصوص الديمقراطية

والانتخابات الحرة وحقوق الإنسان فى العراق.

ولكن وعلى الرغم من هذه الحسابات فقد واجه البيت الأبيض تجربة مريرة ونتائج غير متوقعة فى العراق وفلسطين جعلته يعيد النظر بقوة وجدية فى مشروع الشرق الأوسط الكبير بالشكل الذى جعله يستبدل محاور مثل نشر الديمقراطية والانتخابات الحرة وحقوق الإنسان بالتأكيد على نقاط مثل إلغاء الجماعات والأحزاب الراديكالية وفرض حل إسرائيلي أمريكى للصراع العربى الإسرائيلي والقضية الفلسطينية وأخيراً إجازة استخدام القوة على المستويين السياسى والعسكرى مع الدول والجماعات التى تعارض هذه العملية. الفكرة الجديدة والجديرة بالتأمل فى المشروع الجديد للأمريكيين هى العمل على توفيق النظم غير الديمقراطية فى المنطقة مع هذا المشروع وهذا يعنى أن أمريكا قد نحت جانبا وبشكل واضح مقولات مثل نشر الديمقراطية والانتخابات الحرة وحقوق الإنسان والتى كانت تمثل النواة الأساسية لمشروعها الأول الخاص بالشرق الأوسط . ومن المؤكد أنها قد أثارت قلقا شديدا فى دول مثل مصر والأردن والسعودية وربما لهذا السبب وبسبب الاختلافات الجذرية لهذا التوجه الجديد مع الصورة الأولى لمشروع الشرق الأوسط الكبير عمد الأمريكيون إلى أن يتحدثوا فى أدبيات جديدة عن برنامجهم الجديد تحت عنوان مشروع الشرق الأوسط الجديد، المشروع الذى بالمقارنة بالمشروع السابق يشمل محاور وأهدافا وآليات تنفيذية جديدة وفى حالة التنفيذ ستؤدى الى ظهور شرق أوسط بصفات ومحددات جديدة وفى حالة نجاح واضعى مشروع الشرق الأوسط الجديد فى تطبيع العلاقات بين إسرائيل ودول المنطقة فسيؤدى ذلك إلى ممارسة ضغوط هائلة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبى والمجتمع الدولى على إيران وسوريا حتى يجبروا هاتين الدولتين على إعادة النظر والتغيير فى مواقفهما التقليدية وفى سيناريو كهذا "على افتراض" نجاح المشروع فى هذه الساحة فإن هاتين الدولتين ستضطران للخضوع لعزلة إقليمية ويقبلا نتائجها أو يتوافقا بشكل ما مع مسيرة تطورات المنطقة على أية حال سيواجهان تحديات كبيرة.

بالنظر إلى ما قيل يبدو أن المحورين الرابع والخامس هما على خلاف المحاور الأخرى، من المحتمل أن يظلا على حالهما مع قليل من التغيير فى طريقة التنفيذ فى التوجه الجديد، وبنجاح واضعى مشروع الشرق الأوسط الجديد فى تحقيق الهدف الخامس وخلق إصلاحات جذرية فى نظام التعليم والتربية مع التأكيد على نشر العلمانية وفصل الدين عن السياسة سوف يتم إيجاد نوع من التطور الثقافى والتغيير الاجتماعى فى مجتمعات الشرق الأوسط فى مثل هذه الحالة سيصبح تصور الشعب بشكل عام وتصور النخبة المثقفين فى هذه المجتمعات بشكل خاص للدين ودوره ومكانته فى التعاملات الاجتماعية وعلاقته بالحكم والسياسة عرضة للتغيير والتطور.

إيران ومشروع الشرق الأوسط الأمريكى الجديد

■ جمهورى اسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٦/٨/٢٨

أصبحت مساعى الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية من أجل ترسيخ ثقافة "الإسلام المرعب" فى مجتمعاتهم، حقيقة جلية دائماً ما تنعكس فى أقوال خبرائهم وكتابهم وضمن أهداف هذه المساعى، إيجاد عدو وهمى للغرب الرأسمالى بدلاً من العدو التقليدى المرتبط بالشيوعية والاتحاد السوفيتى السابق.

على هذا النحو بات من الواضح أن السياسات التوسعية والاستعمارية الأمريكية والغربية لن تتمكن من الحصول على مشروعية تتيح لها الاستمرار دون وجود عدو فرضى أو محتمل .. وقد تحدثت إدارة بوش الابن عن حرب صليبية ضد المسلمين بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، لتعكس بذلك حاجة المحافظين الجدد بالبيت الأبيض إلى إيجاد عدو إسلامى أكثر من أى وقت مضى.

ويبدو أن "إيران المرعبة" و"التشيع المرعب" بمثابة جزء من هذا المشروع وهو ما انعكس فى الضجة الأمريكية الغربية غير المسبوقة بشأن النشاطات السلمية النووية الإيرانية وتوجيه اتهامات دون أساس مفادها تدخل إيران فى العراق بالإضافة إلى اتهامات بشأن تورط إيران فى الأزمة الراهنة بالشرق الأوسط والحرب الإسرائيلية على لبنان.

دون شك فإن مثل هذه المخططات لن تنجح، دون وجود فاعل إقليمى وفى ظل أنانية كتلك المتبعة فى

الغالب من قادة الدول العربية الحليفة للولايات المتحدة الأمريكية.

إن الهدف الغربي من هذين المشروعين يتلخص في إيجاد هوة بين المسلمين وإشعال نار الخلافات الدينية والقومية لإثارة الفتنة بين أعداء إسرائيل التقليديين وهو ما تشغله جهود الاستعمار في الماضي لأقصى درجة.

إن التطورات على الساحة خلال الشهور الماضية أثبتت أن الغرب قد نجح إلى درجة كبيرة في إثارة "فزاعة إيران" و"فزاعة التشيع" في أذهان بعض القادة العرب ومن ثم داخل الأوساط السياسية والصحفية بالعالم العربي.

وقد أثبتت حرب إسرائيل الهمجية ضد الشعب اللبناني الأعزل أبعاد هذين المشروعين أكثر من ذي قبل.

فخلال الساعات الأولى من هذه الأزمة، اتهمت حكومة المملكة العربية السعودية في بيان رسمي حزب الله اللبناني بإثارة أحداث غير محسوبة لمصلحة أطراف خارجية (أي إيران وسوريا) كما اتهم بعض القادة، حزب الله بأنه عميل لإيران وأنه يحارب إسرائيل بالنيابة عن إيران.

بالإضافة إلى الخطابات السياسية، فإن الأحداث الإقليمية الأخيرة، خدمت فتوى مفادها، مؤامرة إيران الشيعية ضد القومية العربية وأهل السنة.

تزامنت هذه الفتاوى من جانب علماء المملكة العربية السعودية الوهابيين مع احتدام القتال بين حزب الله وإسرائيل وكانت في انتظار سحق حزب الله وانهياره.

لكن ضربات حزب الله ضد القوات الإسرائيلية واستهداف العمق الإسرائيلي قوبل بدعم الشعوب الإسلامية وافتخارها، وبسرعة البرق تحول السيد حسن نصر الله إلى بطل الأمة ومثار فخرها، لكن في ظل تلك الأوضاع أصدر أحد علماء المملكة العربية السعودية المشهورين، فتوى لا تحرم فقط دعم أو مساعدة حزب الله وإنما تحرم أيضاً الدعاء للحزب بالنجاح والتوفيق، لأن حزب الله شيعي ورافضي وأسوأ من اليهود.

وبعد عدة أيام أيضاً كان لأحد الشيوخ، تصريحات في هذا الشأن، اتهم خلالها حزب الله بإثارة الفتنة والمخاطرة بلبنان معتبراً أن الشيعة.. رافضة تلك التصريحات في مجملها أثارت ردود فعل قوية بين الرأي العام العربي لاسيما في أوساط الصحافة الجزائرية، التي وجهت اتهامات سنية ضد إيران والشيعة متأثرة بمشروعي "فزاعة إيران" و"فزاعة التشيع" لكنها أبقت على دعم مقاومة حزب الله، طبقاً للعلاقات الوثيقة مع النضال الفلسطيني وقضية لبنان.

أما بعض الكتاب وعلى مدى الأيام الأخيرة، فخصصوا أعمدة رئيسية في صحفهم ومقالاتهم، لرفض هذه التوجهات سواء على الصعيد الديني أو السياسي. واعتبر بعضهم أن فتاوى القليل من علماء السنة والتي اعتبرت أن أي تعاون أو حتى دعاء لحزب الله، حرام شرعاً، بمثابة فتاوى خاوية تنم عن عمالة لحكوماتهم والولايات المتحدة الأمريكية، خاصة وأن هذه الفتاوى تتفق إلى حد كبير مع مواقف الحكومات.

لبنان الجديد

■ سيد محمد حسيني عادلي ■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/٢٨

بينما تعمق نيران إسرائيل الغادرة جراح وآلام لبنان، جلس اللاعبون الأقوياء على الساحة العالمية يتفرجون، وقد سارع بعضهم بشكل مباشر أو غير مباشر بمساعدة وتشجيع إسرائيل وهنا يتبادر إلى الذهن سؤالان أساسيان: الأول، لماذا حدث هذا وما هي الأحداث التي أدت إلى هذا الصراع الأحادي الاتجاه وغير المتكافئ وغير الإنساني؟. والثاني، عما يبحث كل طرف من الأطراف على هذه الساحة وعن أي نجاح يبحثون؟.

في السؤال الأول وفي عملية تقص لجذور هذا الصراع يجب بداية أن نلقي نظرة على الانتخابات الفلسطينية التي كانت محصلتها فوز حماس، ولم تكن الولايات المتحدة وإسرائيل قد أعدتا برنامجاً لهذا الفوز ولم يتمكنا من هضمه والاستفادة من نتيجته ولهذا كان الحل في المواجهة، وعلى الرغم من أن الانتخابات الفلسطينية ليس فيها أدنى شك من حيث صحتها إلا أن نتيجتها لم تكن مقبولة بالنسبة لإسرائيل بأي حال من الأحوال والواقع أن إسرائيل لم تكن مستعدة لتقبل

هذه الحقيقة وهى أن عدوها المسلح قد استطاع أن يصل إلى السلطة بطريقة ديمقراطية تماماً وتصبح فى مواجهته والولايات المتحدة أيضاً التى سلمت القيام بالمهام لسنوات لإسرائيل كانت مضطرة لإتباع سياسة هذا النظام وبهذا الشكل أدخلت إسرائيل فى الصراع حتى تكون لديها القدرة على وضع سكان غزة فى مرمى آلاتها العسكرية. وكان العالم أيضاً قد تعود على المشاهد وأخبار عمليات القتل وتعود الصمت أيضاً على هذا السلوك الوحشى وفى المقابل فإن السلوك اللا إنسانى للحكومة الإسرائيلية الجديدة التى تفكر فقط فى استعراض القوة قد أدت إلى جرح مشاعر كثير من المناضلين المسلمين وبهذا الشكل ربما يعتبر أول سبب للأحداث الأخيرة هو عدم وجود برنامج أمريكى لموضوع فوز الجماعات الإسلامية فى العملية الديمقراطية ومن المؤكد أن تبعية الولايات المتحدة لإسرائيل قد أوجدت تأويلاً خاطئاً عند السياسيين العرب.

والواقع أن الولايات المتحدة عقب مواقفها الأخيرة قد قدمت تعريفاً جديداً للديمقراطية وهو أن الديمقراطية لا تظهر فى العملية الانتخابية بل أنها لا تظهر إلا فى الانتخابات وبعبارة أخرى لو أن النتيجة كانت فى صالحنا تكون الديمقراطية مقبولة أما إذا كانت غير ذلك فهى غير مقبولة، هذا الموقف قد أثر سلباً على شعبية الولايات المتحدة حتى بين أنصارها.

الفرضية التالية تخص حركة حزب الله. من الواضح أن حزب الله بالاستفادة من مكانته قد أقدم فى إطار صراعاته السابقة على تحرير الأسرى اللبنانيين لكن هل تمت هذه الخطوة فى التوقيت المناسب هذه أسئلة محورية لكن الفرضية الثالثة تقوم على أبعاد الصراع الإسرائيلى وتبين أن هذا النظام قد أعد نفسه من قبل للهجوم بكل ما تعنيه الكلمة. إن رد الفعل الغير مناسب من جانب إسرائيل والهجوم الكاسح على لبنان يبين أن إسرائيل وفى إطار مشروع الشرق الأوسط الكبير قد أجهزت مشروعاً خاصاً وخطة جديدة بالنسبة للبنان جديد، وفى المشروع الهندسى الاجتماعى والسياسى الأمريكى يجب أن تتمتع سوريا ولبنان بحكومات صديقة أو على الأقل محايدة وما يجعل هذه الفرضية قوية جداً هو التقارير العديدة لوكالات الأنباء الأمريكية والبريطانية فى هذا الصدد وأن الغرب قد منح إسرائيل فرصة لعدة أسابيع لتنزل ما تشاء من دمار بلبنان وحزب الله ولهذا لم يفكر أحد تقريباً من اللاعبين الكبار فى العمل على وقف إطلاق النار فى لبنان وقطاع غزة والواقع أنهم مع صمتهم يطالبون إسرائيل بأن تقوم بتخريب لبنان بأسرع ما يمكن وفى أقل وقت حتى يتهيأ المناخ لظهور دولة جديدة أى لبنان الجديد الذى لا وجود لحزب الله فيه ولا يكون حليفاً لإيران ولا يرى فيه أى أثر لنفوذ إيران وبناءً على هذا لا يجب لفترة انتظار عملية وساطة جدية من جانب القوة العظمى. وفى هذه الطريقة أى تطهير صورة القضية الأساسية لن يتم موضوع التغيير البنيوى من خلال العتاد العسكرى وأشد الأساليب وحشية، والآن سنقوم ببحث الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه كل واحد من اللاعبين الأساسيين وإلى أى مدى سيحقق أهدافه.

١- الولايات المتحدة: كانت الولايات المتحدة الأمريكية منذ البداية تطالب بلبنان جديد فى مشروع الشرق الأوسط الكبير وفى المرحلة الأولى استطاعت الولايات المتحدة أن تحقق جزءًا صغيراً جداً من الهدف عن طريق عملياتها السياسية التى بدأت مع اغتيال رفيق الحريرى وهو إخراج القوات السورية من لبنان لكن مازال لبنان دولة صديقة لسوريا وإيران عدوة إسرائيل وتحت نفوذ حزب الله، وبناءً على هذا استنتج أن الحرب فى لبنان لن تنتهى ويجب تغيير الساحة لتدمير هذا البلد وإلقاء كل التبعات على كاهل حزب الله وبعبارة أكثر وضوحاً يبدو أن الولايات المتحدة من أجل تحقيق نظرية الشرق الأوسط الكبير عازمة على تغيير أنظمة دول سوريا ولبنان بل وإيران وفى العراق هناك وجود عسكرى وفى الدول العربية الصديقة تتم عملية إعادة تشكيل سياسى مهم. كل هذه التغيرات سوف تساعد على خلق منطقة ذات أمن عال للسيطرة على الطاقة واحتواء الدول المنتجة لها وضبط آسيا. من المؤكد أن هذا المشروع حتى الآن يواجه بمشاكل جادة وفى العراق اضطربت الأوضاع وجاءت النتيجة على غير ما هو مطلوب وغرقت الدول العربية الصديقة فى قلق بالغ وبالنظر إلى علاقاتها مع الولايات المتحدة بسوء ظن شديد، وفى نفس الوقت ظهرت الجماعات المعارضة وشكلت خطراً على الحكومات، والحقيقة أننا أمام مسيرة محفوفة بالمخاطر.

٢- إسرائيل: فى هذه اللعبة ارتكب النظام الإسرائيلى خطأ استراتيجياً فتدمير لبنان بحجة القضاء على حزب الله يجعل هذه الجماعة من الناحية السياسية ترتقى إلى مستوى دولة فالآن تحول لبنان إلى حزب الله وتحول حزب الله إلى لبنان.

وهناك نقطة أخرى وهى أن حزب الله سوف يتمتع بشعبية هائلة بين الدول العربية وخاصة بين شعوبها وكثيراً ما ستسبب هذه الشعبية مشاكل للدول العربية الصديقة للولايات المتحدة وبقد ما ستدمر هذه الحرب غير المتكافئة ستزيد شعبية حزب الله ومكانته باعتباره بطلاً فى لبنان وبين العرب وهذا الأمر لن ترضى به

الدول العربية مطلقاً والواقع أن مقاومة حزب الله سوف تمنحه دوراً قيادياً بل ومشروعية سياسية. الجيد فى الأمر أنه تم اعتبار أن مقاومة الاعتداء الأجنبى بغض النظر عن نتيجة المقاومة بمثابة انتصار ولا ينتظر أى شخص أن يحارب حزب الله كجيش نظامى يملك كافة الإمكانيات وكل ضربة يوجهها حزب الله إلى إسرائيل على الرغم من كونها محدودة هى انتصار وتزيد من شعبيته وبالمقابل فإن إسرائيل باعتبارها أقوى قوة عسكرية إذ لم تتمكن من أن تحصل على ما يناسب قوتها تعتبر مهزومة وحتى الآن تؤكد الشواهد هذه الحقيقة.

٣- سوريا: والدولة السورية سواء من الناحية التاريخية أو من ناحية الحاضر فما زالت أراضيها تحت الاحتلال الإسرائيلى فإنها تظن ظن السوء بهذا النظام المحتل ولهذا فإنها ستبذل كل مساعيها للتحالف مع حزب الله، حيث يعتبر حزب الله هو الخندق الأمامى الذى إذا هُزم سيصبح العدو أكثر قرباً من سوريا وبهذا الشكل فإن توجه سوريا فى هذه المعركة واضح.

٤- الدول العربية: هذه الدول ترحب بقاعدة أى نوع من الصراع بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جانب وأى دولة أخرى من جانب آخر لتخفيف حدة الضغط عليها من أجل القيام بإعادة تشكيل سياسى، والحرب فى لبنان ليست استثناء من هذه القاعدة، وفى نفس الوقت لا تريد الدول العربية أن تحرز الولايات المتحدة انتصاراً فى العمليات التى تقوم بها لأنهم يدركون أنه حينئذ سوف يأتى الدور عليهم وسوف يواجهون مشاكل عديدة، بناءً على هذا فإن نفس الصراع لا يضرهم. ومن المؤكد أن العرب ليست لهم علاقة جيدة بحزب الله اللبنانى لكنهم يدركون جيداً أن حزب الله باعتباره رمز المقاومة الإسلامية فى مواجهة إسرائيل والولايات المتحدة سيحظى بشعبية وهذه الشعبية تقلقهم، ولنفس السبب سيجر عليهم المشاكل خطأ إسرائيل والولايات المتحدة.

٥- إيران: علاقة إيران ولبنان علاقة تاريخية ليست بدايتها الثورة الإسلامية ولهذا السبب فإنه من الطبيعى أن تدعم إيران لبنان وأن تقوم خاصة بتقديم الدعم السياسى والمعنوى لحزب الله اللبنانى وفى هذه الأثناء ما تقوم به إيران يتسم بالوضوح والشفافية والهجوم الإسرائيلى على لبنان والاستهداف العمدى للمناطق المأهولة والأبرياء والمنشآت الاقتصادية ستجعل الظروف والمجال أكثر جهوزية حتى فى إيران لمقاومة الغرب. وفى هذه الأثناء فإن الاتهامات التى توجه إلى إيران من قبل إسرائيل وأنصارها ليست معقولة على أية حال لأن إيران لا تستفيد من نفوذها فى لبنان لا بهذا الشكل ولا فى هذا الوقت.

لبنان وحزب الله:

ما تتمناه إسرائيل أن يعود لبنان إلى حالة ما قبل إعادة الإعمار مرة أخرى، وهذا الوضع فى حد ذاته سيؤدى إلى أن يهجر كثير من أفراد الطبقة المرفهة والمتوسطة هذا البلد لفترة وسيحل بالتأكيد محل هذه الطبقة أنصار حزب الله وسيكون لحزب الله فى لبنان الجديد الرفعة والقوة البطولية، وهذه البطولة سوف تحوله إلى لاعب سياسى مهم، واستناداً إلى تزايد شعبية حزب الله فى سائر الدول العربية فسوف تزيد شهرة حزب الله ومكانته فى العلاقات الدولية وهذا الحدث على وجه الدقة هو تضاد مع توقع ورغبة إسرائيل والولايات المتحدة، وسيجدون أنفسهم فى صراع مع حزب الله ، واللبنانيين من أى طبقة كانوا سوف يفتخرون بلبنانيتهم وسيكون هذا سبباً آخر للاتحاد وفى لبنان الجديد من الممكن استعادة القوة لإعادة بناء ما دمرته آلة الحرب الإسرائيلية لكن لا يمكن تضميد القلوب المجروحة ولن ينسى لبنان وحشية وهمجية إسرائيل ولن يخضع للجار الجنوبى وبكلمة واحدة إن ما يرسم الشرق الأوسط اليوم هو خطأ اللاعبين الكبار.

ماذا بعد حرب لبنان؟

■ جمهورى اسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٦/٧/٣١

وضع الهجوم البرى والبحرى والجوى الواسع لإسرائيل على لبنان، والقصف الوحشى للمدن والقرى والبنية التحتية والمناطق المدنية والمذابح البشرية البشعة للنساء والأطفال الأبرياء، منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامى على أعتاب مرحلة جديدة. هذه الحرب غير العادلة لدولة متوحشة مثل إسرائيل ضد حركة وليست دولة وهى حزب الله قد دمرت لبنان وحولت مناطق الجنوب اللبنانى إلى دمار كامل.

وفى الوقت ذاته مازال العالم يقابل هذه الانتهاكات بالصمت، بل إن الولايات المتحدة، وباعتبارها الحليف الاستراتيجى لإسرائيل، لا تبخل بأى جهد سياسى أو عسكرى أو دعائى من أجل تدعيم البنية العسكرية والهجومية لإسرائيل.

أما الاتحاد الأوروبى فلم يكن لديه القدرة أو الشجاعة لاتخاذ موقف عادل من هذه المعركة ولم يظهر مقدرته من أجل اتخاذ إجراءات ضد المجازر الإسرائيلية بل إنه شارك فى التنسيق مع القوى العظمى من أجل الحفاظ على بقاء إسرائيل وقدم الدعم السياسى والعسكرى.

وأثبت مجلس الأمن أن مسئوليته الرئيسية هى تأمين الأمن لإسرائيل، وأن التدابير السياسية المتوحدة والمتناسقة بين قوى العالم والمنظمات الدولية كلها تسير فى مسيرة التوحد من أجل الدفاع عن وجود إسرائيل الغير مشروع فى المنطقة.

وكانت المواجهة الباسلة للمقاومة اللبنانية بقيادة حسن نصر الله ودكها للمدن الإسرائيلية مثل عكا وحيفا وباقى المدن بالصواريخ، مع هروب الآلاف من الإسرائيليين إلى الملاجئ والمخابئ، ونزوح الآخرين، كلها دلالات طيبة تؤكد حقيقة سقوط الجدار الأمنى الإسرائيلى وأصبح قادة إسرائيل يعيشون الآن تحت ضغوط نفسية شديدة.

وخلال الثمانية والخمسين عاماً الأخيرة وهى عمر النظام الإسرائيلى غير الشرعى لم تستطع أى دولة أو جماعة أو أى قوة على الأرض أن تهدد الوجود الإسرائيلى أو تزلزل كيانه وكانت العمليات العسكرية التى تقوم بها المقاومة من خلال قصفها للحصون والقواعد العسكرية الإسرائيلية فى بعض المدن الإسرائيلية خلال فترة الحرب تؤكد بعد مرور ما يقرب من ستة عقود أن إسرائيل قلعة مجهزة بكل أنواع الأسلحة والمعدات الحديثة ولكن تحت سقف وحوائط زجاجية وهذه الحوائط والأسقف كسرتها اليوم صواريخ المقاومة اللبنانية بقيادة حزب الله .

إن أهم نتائج هذه الحرب غير العادلة هو انهيار أسطورة إسرائيل الدولة التى لا تهزم، فمع العمليات العسكرية لحزب الله وإصابته لعمق إسرائيل خلال هذه الحرب بدأ العد التنازلى لنهاية إسرائيل.

ولقد كانت الكارثة الكبرى عندما عجزت ست وخمسون دولة أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامى عن اتخاذ مواقف جدية وعملية لإدانة إسرائيل ودعم لبنان، وعلى الرغم من الإمكانيات والثروات والاستراتيجيات التى تمتلكها إلا أنها لا تعرف أهمية امتلاك استراتيجية موحدة لمواجهة الخطر الذى يهدد العالم الإسلامى من جانب إسرائيل.

ومع فشل الإسرائيليين والأمريكيين المتوالى فى المنطقة صاروا يشيعون الأكاذيب والتفرقة والحرب بين المسلمين، وهو ما يعد أكبر التحديات التى أفرزتها الحرب الإسرائيلية على لبنان.

الأخطاء الاستراتيجية لإسرائيل

سيد حسين موسوى
رئيس مركز دراسات الشرق الأوسط

شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٨/١٦

بعد ٣٣ يوماً من الهجوم الإسرائيلى المدمر على لبنان صدر قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، وتوقفت العمليات العسكرية من قبل كل من إسرائيل والمقاومة اللبنانية وتزامن مع انتهاء العمليات العسكرية بداية ظهور تحليلات متعددة للحرب وتحديد من المنتصر والمهزوم فيها.



فى إسرائيل وبمجرد توقف الحرب تصاعد اختلاف الأحزاب السياسية حول دوافع وأهداف حرب الثلاثة والثلاثين يوماً، وكانت شدة هذه الخلافات عميقة لدرجة القول بأن الحرب بين الجنرالات والسياسيين الإسرائيليين يمكن أن تؤدى إلى سقوط حكومة أولمرت على حد قول أحد المحللين السياسيين.

يبدو أن الأخطاء الإسرائيلية فى هذه الحرب قد طرحت بسرعة فى المحافل السياسية الإسرائيلية كبداية لأزمة مستقبل إسرائيل السياسى.

١ - قبل أى شئ ينبغى أن نشير إلى موضوع خسارة إسرائيل فى هذه الحرب، وتعد قطعية، وأدلة هذا الحكم القطعى كثيرة لكننى أكتفى بالإشارة إلى واحد منها جاء على لسان أولمرت رئيس وزراء إسرائيل.

إيهود أولمرت فى خطابه عصر يوم الاثنين أى بعد عدة ساعات من وقف العمليات العسكرية والذى ألقاه فى الكنيست الإسرائيلى أشار إلى نقطة مهمة غابت عن رؤية كثير من المحللين السياسيين وبخاصة أولئك الذين أدلوا بأحكام متناقضة حول المنتصر والمهزوم فى هذه الحرب.

إن أولمرت كرئيس للوزراء وكقائد عام للقوات المسلحة الإسرائيلية قال: "إننى أتحمل مسئولية الحرب على لبنان شخصياً وبمفردى وهذه المسئولية لا تتجزأ ولا يشاركنى فيها أحد".

لا يخفى على العالمين بشئون السياسة أن الزعماء والسياسيين للدول عندما يعلنون تحملهم شخصياً لمسئولية نتائج حرب ما، فهذا يعنى أنهم قد انهزموا فيها.. هذا التصريح الرسمى من رئيس وزراء إسرائيل يشبه إلى حد كبير خطاب جمال عبد الناصر الشهير الذى ألقاه بعد هزيمة الجيوش العربية فى حرب الأيام الستة يونيو ١٩٦٧م الذى تحمل فيه مسئولية الهزيمة بشكل شخصى.

على الرغم من الاختلاف فى أن عبد الناصر فى ذلك الوقت قد استقال من منصبه كرئيس للجمهورية، ولو لا المظاهرات الشعبية الضخمة التى حدثت يوم يونيو التى شارك فيها ملايين المصريين لما عدل عبد الناصر عن قراره بالتخلى عن منصبه.

إن إيهود أولمرت لم يتحمل مسئولية الحرب بشكل شخصى فحسب، وإنما هدد قادة حزب الله أمام الرأى العام العالمى الذى كان يتابع خطابه عبر شبكات التلفزيون العالمية، وقال إن إسرائيل ستتعقبهم واحدا واحدا وستعاقبهم، وبشكل علنى أيد سياسة الاغتيالات الحكومية التى يتبعها نظام تل أبيب.

لذا كان الاعتراف الضمنى من قبل رئيس الوزراء الإسرائيلى بالهزيمة فى الحرب ضد حزب الله وقبول مسئوليتها أمرا لا يدع مجالاً للشك فى الهزيمة المؤكدة الحاسمة لإسرائيل وقواتها المسلحة.

٢ - أهم الأخطاء الاستراتيجية لإسرائيل فى الحرب، رفع سقف مطالبها منذ اللحظة الأولى لبداية الحرب، وهى استعادة الجنديين الأسيرين بلا قيد أو شرط، ونزع سلاح حزب الله وتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ .

إسرائيل كانت تعتقد أنها فى ظل موافقة الولايات

المتحدة بل ودعمها، وصمت الرضا من بعض الدول العربية تستطيع خلال مدة تتراوح بين سبع إلى عشرة أيام أن تهدم البنية التحتية العسكرية للمقاومة اللبنانية وأنها ستطيح بحزب الله من على الخريطة السياسية اللبنانية للأبد.

كان تفاؤل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية فى هذا الصدد لدرجة، أنها اعتقدت طبقاً لتقديرات كبار جنرالات اللواء جولانى وهو صفوة الوحدات العسكرية الإسرائيلية أنها بعد أسبوع من القصف الجوى الذى لم تشهد له المنطقة مثيلاً ستقوم قوات هذا اللواء بتطهير منطقة جنوب لبنان من المقاومة الإسلامية فى خلال ٤٨ ساعة، ولم تتحقق تخمينات جنرالات جيش إسرائيل ليس هذا فحسب بل إن الجيش الإسرائيلى فى الأسبوع الثالث من الحرب اضطر إلى الزج بثلاثين ألفاً من قوات المشاة مدعومين بمئات الدبابات وغطاء جوى ضخم مع دعم كبير من الوحدات البحرية.

مع انتهاء العمليات العسكرية اتضح فشل إسرائيل فى استعادة الجنديين الأسيرين ولم تلحق أضراراً جسيمة بالبنية التحتية العسكرية لحزب الله ليس هذا فحسب بل إن الجيش الإسرائيلى منى بخسائر فى هذه الحرب لم يشهدها من قبل، واحتفظت المقاومة الإسلامية بقدرتها على إطلاق الصواريخ حتى آخر ساعة قبل وقف العمليات العسكرية، وفى النهاية استبعد موضوع نزع سلاح حزب الله من جدول أعمال القادة العسكريين الإسرائيليين على الأقل.

وصرحت السيدة ليفنى وزيرة الخارجية الإسرائيلية فى الأيام الأخيرة للحرب فى اعتراف نادر قائلة: لا جيش إسرائيل ولا أى جيش فى العالم قادر على نزع سلاح حزب الله.

بناء على هذا فإن جيش إسرائيل لم يستطع تحقيق ولو هدف واحد من أهدافه فى المواجهة العسكرية التى خاضها.

وقول إيهود أولمرت فى الكنيست الإسرائيلى الذى قال فيه "بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ ستتغير معادلة جنوب لبنان بشكل كامل" أبرز اعتراف من قبل إسرائيل بالقبول بالهزيمة فى حربها السادسة مع قوة مقاومة غير كلاسيكية.

نهاية أزمة الشرق الأوسط

■ **محمد رضا سردارى** ■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٨/١٦

مثل قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ نهاية الحرب الدامية التى استمرت ٣٣ يوما فى جنوب لبنان وشمال إسرائيل. وفى هذه المرحلة بالتحديد تقف إيران بمفردها فى ميدان معركة دبلوماسية. فقد اتهمت الدول الغربية إيران بمساندة حزب الله، فى الوقت الذى اعتبرت إيران دعم الغرب لإسرائيل سبباً لاستمرار الحرب فى لبنان.

خلال الشهر الأخير بذلت جهود كثيرة للتوصل إلى حل لإنهاء الاشتباكات وطالبت سوريا ولبنان بالحفاظ على مكانة حزب الله فى المنطقة، وأشادتا بحزب الله كنموذج للمقاومة فى مواجهة إسرائيل، فى الوقت الذى طالبت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى بنزع سلاح حزب الله ووقف المساعدات الإيرانية والسورية له.

فى هذه الأثناء بذلت إيران جهودها الدبلوماسية المكثفة لتحقيق هدف استراتيجى واحد وهو منع انكسار حزب الله فى المقام الأول والحيلولة دون نزع سلاحه فى المقام الثانى، لذا يمكن تقسيم النشاط الدبلوماسى الإيرانى فى الفترة الأخيرة إلى ثلاثة توجهات:

١ - التشاور مع الدول العربية

سعت إيران فى بداية أزمة لبنان إلى لفت أنظار الدول العربية إلى موضوع الأزمة لذلك أجرت اتصالات مكثفة مع الدول العربية لإدانة الهجمات الإسرائيلية على لبنان والدعوة إلى وقف إطلاق النار فى جنوب لبنان.

٢ -التشاور مع الدول الإسلامية:

سعت إيران فى الأسبوعين الأخيرين للحرب إلى لفت أنظار الدول الإسلامية إلى قضية لبنان فى القمة الطارئة لقادة منظمة المؤتمر الإسلامى فى ماليزيا.

وكانت الأولوية لدى إيران لإقرار وقف إطلاق النار على نحو يحفظ قوة حزب الله فى المنطقة، ونجحت إيران فى هذه القمة - ضمن طرح وجهة نظرها حول وجود إسرائيل - فى كسب تأييد بعض الدول الإسلامية غير المنحازة أيضاً، إلى موقفها لدرجة أن

وزير خارجية ماليزيا الدولة المضيفة طالب الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الإسلامى بقطع علاقاتهم الدبلوماسية مع إسرائيل، وطالب رئيس وزراء ماليزيا الأمم المتحدة بأن يكون لها موقف جاد من إسرائيل.

٣ - التشاور مع حكومة لبنان:

وضعت الحكومة اللبنانية فى الأزمة الأخيرة تحت ضغوط مضاعفة أكثر من أى طرف آخر فى النزاع، إذا كان الغرب والولايات المتحدة يسعون إلى إجبار حكومة لبنان على نزع سلاح حزب الله، بينما كانت إيران تسعى إلى إقناع حكومة لبنان بأن حزب الله هو القوة الوحيدة القادرة على الدفاع عن وحدة الأراضى اللبنانية وأن تحمى حزب الله فى المفاوضات الدائرة حول قرار مجلس الأمن.

فى هذا الإطار قام وزير الخارجية الإيرانية بعدة زيارات لكل من لبنان وسوريا ثم تركيا ومصر حتى لا يكون حزب الله كبش الفداء فى قرار مجلس الأمن، لكن على الرغم من الجهود التى بذلت صدر قرار مجلس الأمن بلغة منحازة إلى أبعد مدى.

وفى تحليل إجمالى لرد فعل إيران على قرار مجلس الأمن يمكن القول بأن هذا القرار كانت له أصداء مزدوجة فى إيران، فكثير من المحللين والمسئولين الرسميين رأوا أن هذا القرار قد صيغ لمصلحة الغرب وإسرائيل وأنه قرار غير متوازن لكل من ناحية أخرى وصفوا صدور القرار بأنه هزيمة لإسرائيل، لكن صدور مثل هذا القرار يمكن أن يوصف بأنه نجاح للدبلوماسية الإيرانية والقدرات العسكرية لحزب الله.

النفط: أداة القوة فى القرن الحادى والعشرين

■ د.غبايت الله يزدانى

■اطلاعات سياسى اقتصادى (الأخبار السياسية الاقتصادية) العدد ٣٢٣-٣٢٤، أغسطس ٢٠٠٦

أقدمت الولايات المتحدة برفقة بريطانيا وسبع وأربعين دولة أخرى فى مارس من عام ٢٠٠٣، على احتلال العراق وإسقاط نظام صدام حسين، ليبدأ بذلك فصل جديد من التنافس فى منطقة أوراسيا. هذا ويعتقد معظم المحللين الدوليين أن الهدف الأساسى للولايات المتحدة الأمريكية من هذه العملية إنما يكمن فى السيطرة على مصادر الطاقة العراقية.

حيث إن التحكم فى بترول العراق يسهم فى تصعيد نفوذ الولايات المتحدة على المحيط الدولى، وفى الوقت ذاته، ينقص من اعتماد واشنطن على بترول دول لاسيما المملكة العربية السعودية. وطالما العراق من أهم أبرز أعضاء الأوبك، فإن السيطرة على بترولها يُعد سيطرة على الأوبك ذاتها، وهكذا كان بترول العراق بمثابة استراتيجية الأمريكية.

ومن ناحية أخرى، وعلى خلفية أن دولا مثل اليابان، الصين والاتحاد الأوروبى وغالبية الدول الأخرى من المستوردة للبترول، فلاشك أنها ستتأثر بوضعية النفط العراقى الجديدة وحالة المنافسة الاقتصادية الشديدة مع أمريكا، ومن هنا تأتى فرضية هذا المقال، هل التسلط الأمريكى على مصادر النفط بمقدوره حسم مسألة التنافس الاقتصادى لمصلحة الولايات المتحدة؟!

الطاقة، أداة نفوذ

يعتقد الكثير من المحللين أن ظواهر كبرى جديدة سرعان ما ظهرت للعالم عقب معاهدة وستفاليا لاسيما ظاهرة التبعية الاقتصادية، العولمة، تداخل المصالح القومية و......، بحيث يمكن القول إن معاهدة ستفاليا قد ألقت بظلالها على العالم وأصبحت هناك تباعاً قواعد جديد تسود ساحة التنافس الدولية بين اللاعبين الدوليين، بين تعاون وفى الوقت ذاته، تنافس لا يقتضى خشونة وعنف، وكذا سعت الأنظمة السياسية إلى استخدام أدوات النفوذ التى لديها من أجل التأثير بها على اللاعبين الآخرين، أو على أقل تقدير، تقليص نفوذهم عليها.

ومن ناحية أخرى، فإن القوة هى علاقة ذو وجهين وجه يسعى لاستغلال الطاقات والمصادر التى يمتلكها من أجل تحقيق مصالحه مع الآخرين، ووجه القوة التقليدية المعروفة باستخدام الحل العسكرى، وبعبارة أخرى، يمكن القول إن القوة تنقسم إلى نوعين القوة الصلبة، والقوة الناعمة، أما القوة الصلبة فتنقسم بدورها إلى ثلاثة أنوع عسكرية - سياسية - اقتصادية (فنية وثقافية أيضاً)، وقد كانت القوة العسكرية أقدم وأعنف تلك الأنواع، وكذلك لفتت القوة الاقتصادية أنظار الساسة منذ القدم، وما أكثر استخداماتها من

قبل بعض الدول، لاسيما العقوبات الاقتصادية، والحصار الاقتصادى ... وما أعظم تأثيرها سواء على الشعوب أو الدول. فلقد أدخلت الثورة الصناعية فى أوروبا العالم مرحلة جديدة، التى بدأت معها نمو الأوضاع الاقتصادية القائمة على أدوات الإنتاج، وبالطبع كانت تلك الطفرة فى حاجة إلى أنواع جديدة أخرى من الوقود، أولها الفحم الحجرى ثم النفط والغاز، وتدريجياً، أصبح العالم فى حاجة لأنواع متطورة من الطاقة الشمسية.

لكن رغم ذلك، فقد ظل النفط والغاز الطبيعى هما الطاقة الأبرز فى تشغيل عجلة الاقتصاد العالمى، ومن هنا نشأت حالة المنافسة والصراع على تأمين مصادر الطاقة. والمثال على هذا ما حدث فى الشرق الأقصى حينما هاجمت اليابان على برل هاربر من أجل السيطرة على بترولها، وكذا الحال فى الشرق الأوسط مع احتلال الاتحاد السوفيتى السابق لأفغانستان، والعدوان العراقى على الكويت لنفس الدواعى.

ومع الأخذ فى الاعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية والصين وحدهما يستهلكان ٣٣٪ من إجمالى المنتج من النفط العالمى (لعام ٢٠٠٣)، وعلى ضوء التهديدات المتوقع حدوثها مستقبلياً، فإن المنافسة حول تأمين مصادر الطاقة قد بدأت منذ الآن وصاعداً بين اللاعبين الدوليين.

ومن ثم فاقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية يعتمد على النفط أكثر من أى دولة أخرى. ففى عام ٢٠٠٠ كانت أمريكا من أكثر دول الباسيفيك استهلاكاً للبترول رغم أنها من أبرز الدول الأقل اعتماداً على إنتاجها من النفط داخلياً، فضلاً عن كون المصادر النفطية للولايات المتحدة، وكذا مصادر بترول أوروبا الموجودة فى الشمال كادت توشك على النفاذ فى المستقبل المرتقب، بينما نمو الاقتصاد العالمى خاصة الجنوبى منه (الشرق الأوسط) قد أصبح فى حاجة لمزيد من النفط، وفى هذه الأثناء، تطل مصادر بترول الخليج (الفارسى) بمكانتها الفريدة على العالم، نظراً لامتيازاتها الكثيرة التى لا يتسع المجال هنا لذكرها - بحيث لو استطاعت أى دولة السيطرة على مصادر بترول تلك المنطقة، لأمكن سيطرتها على الاقتصاد العالمى.

ولعل سيادة النفوذ الأمريكى على مصادر بترول منطقة الخليج لا يهدد الدول المنتجة للبترول (خاصة أعضاء منظومة الأوبك) فحسب وإنما يهدد الدول المستهلكة أيضاً. وكان هذا واضحاً بجلاء حينما عارضت أكثر الدول استهلاكاً للبترول هذه العملية العسكرية على العراق لاسيما دول فرنسا، ألمانيا، الصين ......، معظمهم كان يخشى من سيطرة النفوذ الأمريكى على مصادر بترول العراق.

جدير بالذكر أن العراق تحتل المرتبة الثانية بعد المملكة العربية السعودية من حيث احتياطى النفط، أكثر من ١١٢ مليار برميل، فضلاً عن تكاليف استخراج النفط العراقى المنخفضة، حتى يُقال أن أسباب عدم اتخاذ عقوبات اقتصادية من قبل الأمم المتحدة على العراق فور احتلالها للكويت، تكمن فى توفير الاستثمارات اللازمة لاكتشاف مصادر بترولية جديدة بالعراق. وما يشير إلى تلك الرؤية الاستراتيجية الأمريكية تجاه مصادر العراق النفطية ما صرحت به كوندوليزارايس مستشارة الأمن القومى الأمريكى آنذاك حينما قالت "إن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا عليهما عقب انتهاء الحرب إيجاد زعيم عراقى تحت السيطرة ......، مع الأخذ فى الاعتبار أن العراق ليست تيمور الشرقية أو أفغانستان".

على أية حال، فمع تزايد الحاجة إلى النفط ودوره المؤثر فى الاقتصاد العالمى، خاصة اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية، فقد انعكس ذلك على أداء السياسة الخارجية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط .

وفى هذا السياق يرى جوزيف ناى أحد الباحثين البارزين فى مجال السياسة الخارجية أن النفط بوصفه مادة استثنائية بين المواد الخام الأخرى، كان عاملاً على تحريك حرب الخليج الثانية (حرب تحرير الكويت)، واستمرار الوجود العسكرى الأمريكى فى منطقة الخليج". وكذا حاولت الولايات المتحدة، وحلفاؤها بعد احتلال أفغانستان التذرع بأسلحة الدمار الشامل العراقية من ناحية، وعلاقة النظام العراقى بتنظيم القاعدة، ومسألة الديمقراطية وحقوق الإنسان من ناحية أخرى لسحق النظام العراقى واحتلالها فى أقل من عشرين يوماً، وثمة من يعتقد أن ذلك كان بتحريض من شركات النفط الكبرى لاسيما شركتى هاليبرتون وشورون اللذين وضعاً كافة أموالهم تحت تصرف بوش فى الانتخابات الرئاسية الأخيرة - لشن هجوم على العراق، وتباعاً تنال الأسهم الكبيرة من بترول العراق غاية الأمر أن المسألة فى العراق لم يكن لها أبعادها خاصة بأسلحة الدمار الشامل، أو للعلاقة بتنظيم القاعدة ولا حتى بقضايا حقوق الإنسان، ثم أن هناك العديد من تلك القضايا المشابهة سواء فى باكستان، أوزبكستان، أذربيجان و..... ولم يحدث معهم مثلما حدث مع العراق، بل على العكس تماماً، كثيراً ما تلقى هذه الدول الدعم والمساعدات الأمريكية.

هذا وقد قام باحثون فى معهد الدراسات السياسية والدولية بإجراء دراسات وأبحاث حول مستقبل النفط والطاقة وبمساعدة بعض أعضاء بارزين من

الكونجرس الأمريكي، وقد أكدوا أنه فى ظل التطور التكنولوجى الرهيب، فسوف يظل العالم معتمد وبشكل أساسى على النفط حتى عام ٢٠٢٠، وكذا سيظل النفط والغاز هما الأهم والأبرز فى مصادر الطاقة الأساسية، إلا إنهم قد لاحظوا بعض النقاط العامة التالية:

١- على الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة الكبرى العالمية الوحيدة أن تقبل بمستويات ضمان استمرارية إنتاج الطاقة فى العالم.

٢- النمو اللازم لإنتاج الطاقة وعلى خلفية النمو الاقتصادى العالمى للقرن الحادى والعشرين يحتاج لمزيد من الاستثمارات.

٣- إن تنامى الاقتصاد العالمى وبشكله السريع الحالى يحتم المواجهات بين القوى الكبرى الصاعدة (الصين نموذجاً).

ومما سبق يتضح أن النفط هو الذى لعب الدور المحورى فى سياسة الولايات المتحدة الخارجية تجاه الشرق الأوسط، وهو ذاته الدافع لاحتلال العراق. فعقب انتهاء العمليات العسكرية سرعان ما شهدنا قيام القوات الأمريكية والبريطانية بتأمين آبار النفط العراقية سواء الشمالية أو الجنوبية، وبالفعل استطاعا تأمينها على عكس ما قيل عن احتراقهما من قبل عناصر النظام العراقى.

والواضح أنها بلا أى مناقصات نجد أن إيداع حق الاستخراج قد ذهب لشركة "كلوج برون اندروث" وهى أحد أفرع هاليبرتون الأمريكية، هذا إضافة إلى العديد من الاتفاقيات النفطية الأخرى التى أبرمتها وزارة الدفاع الأمريكية مع الشركات الأمريكية المتعاقدة مع البنتاجون، أما المناقصات على الاتفاقيات الصغرى فقد كانت من نصيب الشركات الروسية.

المحاذير والإمكانيات التركية في السياسة الخارجية

■ جمشيد رستجار ■ همشهرى ديبلماتيك (المواطن الدبلوماسى) العدد الخامس، أغسطس ٢٠٠٦

أدت الأحداث الأخيرة في فلسطين ولبنان إلى دخول الدول الإسلامية والمنطقة بأكملها في حالة من الحركة والنشاط. فكل دولة تتابع الأحداث وتدرس الفرص والمشكلات المحتملة وفقا لمصالحها واعتبارات أمنها القومي. ورغم أن رد فعل بعض الدول الإسلامية تجاه أحداث لبنان مثير للدهشة ومدعاة للتساؤل إلا أن رد الفعل الشعبي في البلاد الإسلامية والذي يتجلى دائما بغض النظر عن الاعتبارات السياسية والمذهبية قد رسم لوحات لا تنسى في حماية الصمود والمقاومة اللبنانية في مواجهة الأنظمة القمعية كالنظام الصهيوني. وهناك من الدول الإسلامية من يعتبر الأحداث اللبنانية بمثابة الفرصة بينما يعتبرها البعض الآخر بمثابة مشكلة، وتعد تركيا من البلاد التي تفاوتت فيها ردود الفعل بين المستوى الرسمي والمستوى الشعبي، فرغم أن رد الفعل الحكومي الرسمي تجاه الأحداث في لبنان ينبثق من الاعتبارات السياسية إلا أن رد الفعل الجماهيري يبعث على التقدير والاحترام. فنحن نضع الإجراء السياسي للحكومة التركية في إطار استغلال الفرص المتاحة، فمع اشتداد حدة الأحداث فى المناطق الكردية بتركيا وهو ما يطرح احتمال قيام الولايات المتحدة بعمليات عسكرية خارج الحدود العراقية الشمالية، وضعت العلاقات التركية مع الحكومة العراقية الجديدة ومع الولايات المتحدة في مأزق جديد. فقد كانت الحكومة التركية تواجه منذ بداية احتلال العراق مشكلة عدم القدرة على القيام بعمليات عسكرية في منطقة شمال العراق لقمع العناصر الانفصالية الكردية.

والسؤال المطروح هنا هو: كيف يمكن على المستويين الداخلي والخارجي تقييم سلوك الحكومة التركية تجاه الأحداث اللبنانية وما أعقب هذا السلوك من شن الحملة الإعلامية الضخمة تمهيدا للقيام بعمليات عسكرية في شمال العراق؟

تركيا والأحداث اللبنانية

منذ بداية الحرب الإسرائيلية اللبنانية تحاول تركيا مع أخذ الاعتبارات السياسية في الاعتبار أداء دور موازن في المعادلات الإقليمية لإقرار الأمن ووقف الاشتباكات والاعتداءات الإسرائيلية. وكانت الخطوة الأولى في هذا الصدد هي إجراء سلسلة من الاتصالات التليفونية بين رئيس الوزراء التركي وبين بعض زعماء ومسئولي دول المنطقة وكذلك مع بعض زعماء الدول الأوروبية والولايات المتحدة وإسرائيل. وقد تضمنت هذه المحادثات بحث وسيلة لوقف إطلاق النار والتشاور حول عقد جلسة طارئة لزعماء الدول الإسلامية، كما تضمنت اقتراحا مبتكرا من الحكومة التركية بشأن

إيجاد ممر لنقل المساعدات الإنسانية إلى ضحايا لبنان الأبرياء في هذه المأساة الأليمة. وقد كان هذا الموضوع من أهم محاور محادثات اردوغان مع زعماء الدول المختلفة نظرا لموقع تركيا الجغرافي والدور الذي يمكن أن تؤديه في مجال إرسال المساعدات إلى المناطق المنكوبة. ورغم أن الأنباء المنشورة على المواقع الإخبارية تفيد أن الحكومة التركية قد أثارت عددا من المشكلات والعوائق أمام إرسال المساعدات الإنسانية إلى لبنان ومنها المساعدات الإيرانية، إلا أن الإقدام على طرح هذه الفكرة ينم عن الشعور الإنساني والمسئولية لدى الحكومة التركية تجاه الأزمة اللبنانية.

وبالتوازي مع المحادثات التليفونية وفي إطار الجهود الشخصية لوقف الاشتباكات قام رئيس الوزراء التركي في خطوة جديدة بالاهتمام بتكليف أحد مستشاريه وهو جونيت زابسو بمقابلة سفراء كل من إسرائيل والولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا وتسليمهم رسائل تتعلق بالتطورات اللبنانية وقضية حزب العمال الكردستاني. ورغم أن اللقاء المباشر بين زابسو وبين هؤلاء السفراء قد أثار سخط واعتراض وزارة الخارجية التركية إلا أنه يتردد أن من أهم أهداف هذا اللقاء كان إزالة سوء الفهم حول مستوى علاقة رئيس الوزراء التركي مع زعماء حماس والزعماء الفلسطينيين.

وفي إطار هذه التحركات الدبلوماسية أعلن رئيس الوزراء التركي أردوغان في تصريحات أدلى بها بعد بداية الأزمة اللبنانية " إن الأحداث الأخيرة في لبنان وإسرائيل سوف تدفع بلاده إلى إعادة النظر في المشاركة في مشروع الشرق الأوسط الكبير، فالتصرفات الإسرائيلية غير عادلة وتخلو من اعتبارات الضمير، وهناك عدد من القوى الكبرى يؤيدون هذه التصرفات وهناك عدد آخر يكتفي بالمشاهدة"، وأضاف مؤكدا على ضرورة وقف إطلاق النار وعلى أن الأحداث على صورتها الحالية يمكن أن تهيئ المجال لصراع الحضارات " رغم أن أبناء إسرائيل يتمتعون بقيمة كبيرة لدينا إلا أن أبناء فلسطين أيضا يحظون بنفس القدر من القيمة"، وبالنسبة لبدء الأحداث في فلسطين قال إن الأزمة الأخيرة لم تبدأ بسبب أسر اثنين من الجنود الإسرائيليين على يد عناصر حزب الله وإنما بدأت مع قيام القوات الإسرائيلية بقتل سبعة أطفال فلسطينيين.

وبالتوازي مع تحركات وابتكارات رئيس الوزراء التركي أصدرت وزارة الخارجية التركية بيانا رسميا أعربت فيه عن القلق والأسف من تصاعد الاشتباكات في الشرق الأوسط وطالبت بوقف العمليات العسكرية الإسرائيلية بأسرع ما يمكن وإطلاق سراح الجنود المأسورين. كما أكد المتحدث باسم وزارة الخارجية التركية في أحاديثه الصحفية أن استمرار الاشتباكات سوف يؤدي إلى زيادة حدة العداوات في المنطقة وتهيئة المجال لظهور خلافات جديدة. كما استدعت وزارة الخارجية التركية سفيري إسرائيل والولايات المتحدة وطالبت بالإسراع في إنهاء حالة الحرب في المنطقة. وكذلك طالب وزير الخارجية التركي الأطراف المتصارعة في الشرق الأوسط بالتوصل إلى وقف لإطلاق النار قبل أن تصل الأمور إلى حالة لا يجدي معها إصلاح.

كما كان اجتماع روما آخر المشاهد التي ظهرت فيها المواقف التركية بصورة واضحة وشفافة. فقد تركز حديث وزير الخارجية التركي في هذا الاجتماع على ثلاثة قضايا: أولها وقف إطلاق النار وثانيها إيجاد ممر لنقل المساعدات الإنسانية وثالثها إرسال قوات لحفظ السلام وعرض مشاركة تركيا في هذه القوات حيث قال إننا بعد التنسيق مع رئيس الأركان المشتركة بالجيش التركي نطالب بمشاركة الجيش التركي في هذه القوات على أفضل صورة ممكنة. وعقب هذا الحديث وتأييدا له صرح أردوغان قائلا: بعد إقرار وقف إطلاق النار وتشكيل قوات لحفظ السلام فإن تركيا على استعداد للمشاركة في هذه القوات.

وفي هذا الصدد كتبت بعض الصحف التركية إن تركيا لديها خمس شروط للمشاركة في تشكيل قوات حفظ السلام هي:

- أن ترسل قوات حفظ السلام بقرار من منظمة الأمم المتحدة
- أن يتم إرسال القوات بعد إقرار وقف إطلاق النار
- ألا تستقر قوات حفظ السلام في مناطق الاشتباكات
- عدم التفكير في أن قوات حفظ السلام تؤيد أحد الطرفين المتشابكين
- ألا تكلف هذه القوات بنزع سلاح حزب الله

ورغم تأكيد المسئولين الرسميين الأتراك على إمكانية مشاركة تركيا في قوات حفظ السلام إلا أن بعض الأحزاب السياسية تعارض هذه المشاركة وتطالب بضرورة حصول الحكومة على موافقة البرلمان بشأن المشاركة في هذه القوات وفقا للدستور التركي. فهذه الأحزاب ترى أن المشاركة في هذه القوات يعد نوعا من الانتحار خلافا للموقف الرسمي للحكومة.

وعلى المستوى الإعلامي وصف عدد من الكتاب والمحللين مشاركة تركيا في تشكيل قوات حفظ السلام بالصعوبة مؤكدين على أن لبنان تختلف عن أفغانستان

وكوسوفو والصومال وقد كتب أحد المحللين : إن تركيا ترغب في تولي هذه المسئولية في مقابل الحصول على امتيازات ربما تربط بين هذه المسألة وبين قيام الولايات المتحدة بخطوات جادة في سبيل تطهير شمال العراق من عناصر حزب العمال الكردستاني. وأضاف هذا المحلل: إن أنقرة لا تريد أن تتعرض قوات حفظ السلام لمخاطر بين حزب الله وبين إسرائيل. كما أن أنقرة تفضل تشكيل قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة على نظيرتها التابعة لحلف الناتو، لأن المشاركة في تركيب قوات لحفظ السلام تابعة للناتو يمكن أن يسئ إلى الوجهة الإسلامية لتركيا .كما كتب أحد الكتاب الأتراك المعروفين في مقال بصحيفة "حريت" المقربة من الدوائر الرسمية التركية حول أهداف تركيا من المشاركة في اجتماع روما قائلا: إن الحرب في لبنان يمكن أن تمكن تركيا من الحصول على فرصة لاستعادة قدر من نفوذها الذي فقدته بعد معارضة مرور القوات الأمريكية من الأراضي التركية في عام ٢٠٠٢ . كما أشار إلى أن القرن الحادي والعشرين يمكن أن يشهد مثل هذه الحروب وإذا تمكنت تركيا من أداء دور فعال في هذه الحروب فإنها سوف تتمكن من الحصول على نفوذ في القرن الجديد. وأكد هذا المحلل على أن المحرك الأساسي في العلاقات الدولية يتمثل في سياسة الأخذ والعطاء ووفقا لهذة السياسة يجب على تركيا أن تقدم شيئا في الشرق الأوسط لكي يمكنها أن تحصل على شئ آخر في المقابل حيث توصل إلى أن زعماء تركيا قد قرروا في اجتماع روما إرسال قوات تركية للمشاركة في قوات حفظ السلام بالشرق الأوسط وفي هذه الحالة سوف نحصل على نفوذ في الشرق الأوسط ونتخلص من المشكلات المتعلقة بحزب العمال الكردستاني والأمر الجدير بالذكر أن المصالح التركية في الشرق الأوسط سوف تتعارض مع إيران على المدى الطويل ولذلك من الأفضل إضعاف القوى العسكرية الصغيرة مثل حزب الله قبل أن تتعارض المصالح بين إيران وبين تركيا. وقد تم اتخاذ هذه المواقف الرسمية الحذرة من جانب المسئولين الأتراك بينما كان الشعب التركي يبدي مواقف مثيرة للدهشة في تأييد الشعبين الفلسطيني واللبناني المظلومين. ومن هذه المواقف المسيرات والتظاهرات الحماسية الضخمة التي قامت في بعض المدن التركية والتي ربما لم يشهد لها مثيل في البلاد الإسلامية.

وبناء على ماسبق يمكن القول إن معظم التحركات والإجراءات المتخذة تجاه الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان كان على عاتق الجماهير بالدرجة الأولى وعلى المستوى الرسمي كانت على عاتق رئيس الوزراء التركي. فجهاز السياسة الخارجية التركي وبالتحديد وزارة الخارجية يسعى إلى استغلال هذه الأزمة لرفع مستوى الدور الذي يمكن أن تقوم به تركيا واكتساب مكانة مهمة في المنطقة ولدى الدول الإسلامية وحل مشكلات تركيا في المناطق المختلفة. ومن اليسير إدراك وجود خلاف في الرأي بين الحكومة والسلطة في تركيا فيما يتعلق بالموقف من الأزمة اللبنانية وقد أدى وجود هذا الخلاف إلى قيام أردوغان بتعيين ممثل شخصي له لنقل مطالبه إلى الدول الغربية والدول الإسلامية. وقد كان من أهم الاعتبارات التركية المتعلقة بأزمة لبنان الامتناع التام عن تأييد حزب الله بأية صورة. فحزب الله يعد وفقا لوجهة النظر الأمريكية والأوروبية جماعة إرهابية هذا من جهة ومن جهة أخرى يساعد حزب الله اللبناني على زيادة النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط. وبناء على هذا تجنب تركيا تأييد هذه الجماعة اللبنانية الشرعية تماما. بالإضافة إلى أن تخوف السلطة التركية من استمرار الاشتباكات يمكن أن تؤدي إلى زيادة قوة حزب الله في لبنان وفي المنطقة وبالتالي زيادة قوة إيران، هذا التخوف قد دفع تركيا إلى تأييد وقف إطلاق النار. وكذلك تنبع النظرة الإيجابية التركية تجاه المشاركة في تشكيل قوات حفظ السلام من سعيها لأداء دور فاعل وموازن في المنطقة. وفي هذا الصدد يمكن الالتفات إلى عدم إبداء تركيا رغبة جدية في عقد اجتماع طارئ لزعماء الدول الإسلامية.

تركيا والعمليات العسكرية في الأراضي العراقية

تزامنا مع بدء الأزمة اللبنانية تقريبا تعرضت تركيا لمشكلة جديدة مع الحكومة العراقية، فالمشكلة الكردية تمسك بتلابيب الحكومة التركية منذ ٢٢ عاما وقد اتسمت في العام الماضي بالاتساع والتنوع ولكنها دخلت مرحلة جديدة بعد سقوط ١٥ جنديا تركيا قتلى في اشتباك مع عناصر حزب العمال الكردستاني. فعقب هذا الحادث سارعت الحكومة التركية والمجلس الأعلى لمكافحة الإرهاب بعقد اجتماع لبحث القضية من مختلف الأبعاد. ومن القرارات المتخذة في هذا الصدد إعلان حالة التأهب وإلغاء إجازات العسكريين وإرسال معدات عسكرية متقدمة إلى مناطق الحدود مع العراق وإيران. كما كان من القضايا المطروحة في هذا الاجتماع والتي أثارت ضجة واسعة النطاق قضية القيام بعمليات عسكرية ضد الأكراد في شمال العراق بهدف قمع عناصر حزب العمال الكردستاني. وقد كتبت الصحف التركية أنه قد تم في هذا الاجتماع طرح الخيارات المختلفة لمواجهة حزب العمال الكردستاني في شمال العراق ومن هذه الخيارات دخول قوات تركية قوامها ٤٠ ألف جندي إلى الأراضي العراقية من خمس

نقاط حدودية وتنفيذ عمليات عسكرية في عمق ٥٠ كيلومتر في شمال العراق. وكما ورد بالصحف التركية تتمركز حوالي ٣ آلاف من عناصر حزب العمال الكردستاني في معسكرهم المركزي بجبال قنديل الواقعة في المثلث الحدودي بين إيران وتركيا والعراق ويقومون بتنفيذ عملياتهم في الأراضي التركية عن طريق الحدود العراقية التركية. ويقال إن هناك اتفاقا قد تم توقيعه بين البلدين تركيا والعراق في عهد صدام حسين وبعد تزايد هجمات هذه الجماعة ضد العسكريين والمدنيين الأتراك وبموجب هذا الاتفاق كانت الطائرات العسكرية التركية تقصف هذه المناطق بين وقت وآخر.

وقد لقيت إعادة طرح القيام بعمليات عسكرية داخل الحدود العراقية ردود فعل متباينة في الداخل والخارج فقد أعلن رئيس الوزراء التركي أردوغان نفاد صبر تركيا قائلا: لا يمكن أن نقف متفرجين على العناصر التي تهدد البلاد ونتمنى أن يتعاون الجميع على محاربة الإرهاب وسوف نمضي في طريقنا بكل تصميم حتى نتوصل إلى نتيجة نهائية. كما أشار وزير الخارجية التركي عبد الله جول إلى أن حزب العمال الكردستاني يحصل على المتفجرات من العراق وقال : إننا سوف نستفيد من كل الحقوق التي يتيحها لنا القانون الدولي وإذا لم يتوقف حزب العمال الكردستاني فإننا سنضطر إلى التنفيذ. وتركيا تدرك موقف العراق جيدا فإذا لم يكن لدى الحكومة العراقية القدرة على السيطرة على حدودها فيجب عليها ألا تمتنع عن التعاون معنا وإذا لم يتمكنوا من إيقاف حزب العمال الكردستاني فإننا في هذه الحالة سوف نتولى الأمر. وأعلن في موضع آخر أنه أبلغ مطالب تركيا إلى سفراء العراق والولايات المتحدة قائلا إذا لم نتلق جوابا إيجابيا على مطالبنا فإننا قد اتخذنا قرارات بالتعامل مع الأمر بأنفسنا. ونحن نهتم بتأييد حلفائنا وصداقتهم ولكننا كحكومة سوف نستمر في محاربة الإرهاب بأي ثمن. وفي هذا الصدد طالبت الأحزاب السياسية الثلاثة الممثلة في البرلمان التركي وهي حزب الشعب الجمهوري وحزب الوطن الأم والحركة القومية، طالبت الحكومة بإصدار الأمر للجيش بالدخول إلى شمال العراق. كما صرح رئيس حزب الطريق المستقيم التركي غير الممثل في البرلمان قائلا: إننا نؤيد قيام الحكومة بعمليات خارج الحدود. وإذا تقرر أن تتخذ الحكومة هذا الموقف فنحن نقف بجانبها. وفي خطوة دبلوماسية أخرى صرح نائب وزير الخارجية التركي أثناء استدعاء السفير الأمريكي إلى وزارة الخارجية التركية قائلا: لقد نفدت قدرتنا على التحمل فقد كان الحديث يدور دائما على آلية الاجتماعات الثلاثية (تركيا ، الولايات المتحدة ، العراق) وقد تم عقد اجتماعين ولكننا لم نتوصل إلى أية نتيجة. ونحن لا نعارض آلية الاجتماعات الثلاثية ولكنها لم تسفر عن أية نتيجة. ويمكننا أن نفعل هذه الآلية ولكن هناك إجراءات يمكن اتخاذها قبل ذلك. كما حذر نائب وزير الخارجية التركي السفير الأمريكي من أن وزير الخارجية العراقي زيباري لم يتمكن في زيارته السابقة إلى تركيا من إدراك خطورة القضية جيدا. وردا على هذه التصريحات والمواقف المتشددة الصريحة للمسئولين الرسميين وغير الرسميين الأتراك تولدت المخاوف داخل تركيا من احتمال تنفيذ عمليات عسكرية خارج الحدود وظهرت أصوات معارضة لهذا الإجراء في الداخل والخارج. فقد صرح بعض الوزراء بأن عدم إجراء مثل هذه العمليات يزيد من احتمالات نشوء ردود الفعل ويجب حساب نتائج تنفيذ هذه العمليات على العلاقات مع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. وقد صرح أحمد ترك زعيم حزب المجتمع الديموقراطي الحزب الكردي الوحيد في تركيا قائلا: إننا نشعر بألم الجنود المقتولين في الاشتباكات من صميم قلوبنا ولكن العمليات خارج الحدود ليست هي الحل. ولا يمكن حل القضايا عن طريق الأساليب المتبعة طوال السنوات العشرين السابقة. كما أعلن مراد كاراييلان عضو اللجنة المركزية لحزب العمال الكردستاني في حديث له قائلا: إذا أقدمت تركيا على ضرب مقر حزب العمال الكردستاني في شمال العراق فإن عناصر الحزب سوف يضربون كافة المؤسسات الحكومية وكذلك خط أنابيب النفط باكو - جيهان.

إلى جانب إلى ردود الأفعال والمخاوف الداخلية بالنسبة للقيام بعمليات عسكرية خارج الحدود في شمال العراق هناك أيضا معارضة الولايات المتحدة والحكومة العراقية لتنفيذ مثل هذه العمليات، فقد أعلن الرئيس العراقي في لقاء له مع بارزاني أن الاتفاقات الموقعة بين الحكومة التركية وبين الحكومة العراقية السابقة (في عهد صدام حسين) غير سارية الآن كما صرح بأن الحكومة المركزية العراقية قد نقلت إلى الحكومة التركية عدم رضاها عن تنفيذ مثل هذه العمليات. كما صرح موفق الربيعي الأمين العام للأمن القومي العراقي قائلا: إن احتمال تنفيذ تركيا عمليات عسكرية في الأراضي العراقية يؤدي إلى سخط العراق. كما صرح برزاني قائلا : إذا تدخلت تركيا في شمال العراق فسوف نعتبر هذا التدخل بمثابة الاعتداء وإذا هاجمت تركيا كردستان فإنها ستدافع عن نفسها.

وبالتوازي مع الاحتجاجات العراقية أعرب المسئولون الأمريكيون عن سخطهم ومعارضتهم بمختلف الطرق.



فقد أعلن السفير الأمريكي في تركيا إن واشنطن تعارض أي إجراء من جانب واحد ضد حزب العمال الكردستاني في شمال العراق، فتركيا من حقها الدفاع عن نفسها ولكن القضية الأساسية هي العثور على أفضل الوسائل وأكثرها فاعلية، والتعاون في هذا المجال أفضل كثيرا من العمل الفردي. ونحن نتوقع نتائج إيجابية في أقرب وقت من آلية العمل الثلاثي. كما طالبت كوندوليزا رايس تركيا بالامتناع عن الدخول إلى شمال العراق وذلك في محادثة تليفونية لها مع عبد الله جول. وقالت ن واشنطن سوف تتابع النتائج السيئة لوجو قوات حزب العمال الكردستاني في شمال العراق وسوف تتخذ الإجراءات اللازمة حيال ذلك الأمر. كما تركزت المحادثة التليفونية بين بوش واردوغان بصورة أساسية حول قضية لبنان ولكنها تطرقت إلى ضرورة العمل المشترك للرد على الهجمات الأخيرة لحزب العمال الكردستاني. وقد وعد بوش باتخاذ خطوات مهمة بشأن حزب العمال الكردستاني في أقرب وقت.

رغم التفاؤل الموجود في الدوائر السياسية و الصحفية حول إمكانية القيام بعمليات عسكرية في شمال العراق وتعاون الولايات المتحدة في هذه العمليات إلا أن بعض المحللين يشكك في إمكانية حدوث هذا الأمر ويرى أن طرح هذه القضية من جانب الحكومة التركية هو مجرد حيلة للدعاية والاستهلاك السياسي الداخلي، فبعد احتلال العراق واجهت الحكومة التركية عقبات عديدة بالنسبة للقيام بعمليات عسكرية في شمال العراق. وفي الوقت الحالي لا تستطيع تركيا الإقدام على أي عمل في العراق دون الحصول على الضوء الأخضر من الولايات المتحدة. ومن هنا وجدت تركيا في أزمة لبنان وتأييد الولايات المتحدة للاعتداءات الإسرائيلية على لبنان بدعوى قمع ما تصفه بالجماعات الإرهابية فرصة مناسبة لإثارة حملة إعلامية للقيام بعمليات عسكرية في شمال العراق. كما كتب أحد المحللين الأتراك أن مزاعم الحكومة التركية حول إمكانية القيام بعمليات عسكرية في شمال العراق غير قابلة للتحقيق فارتباط تركيا الاقتصادي بالولايات المتحدة وبصندوق النقد الدولي وخوفها من الوقوع في أزمة مالية ومن اعتراض أوروبا والمؤسسات المالية العالمية لا يمكنها من القيام بعمليات عسكرية موسعة في العراق. وحكومة اردوغان تتعرض من جهة لضغط الرأي العام التركي ومن جهة أخرى لا تريد إثارة غضب الولايات المتحدة و الاتحاد الأوروبي بأي تصرف غير متزن.

بناءً على كل ذلك يمكن القول إن الحكومة التركية تواجه عقبات عديدة بالنسبة لتنفيذ عمليات عسكرية في شمال العراق بعد احتلال الولايات المتحدة للعراق.

وهي قد وجدت من الأزمة اللبنانية وتأييد الولايات المتحدة للاعتداءات الإسرائيلية فرصة يجب استغلالها لإثارة موجة إعلامية بشأن القيام بعمليات عسكرية في شمال العراق. بالإضافة إلى أنه لا يمكن إغفال الاعتبارات السياسية الداخلية في تركيا في هذا الشأن فالأحزاب السياسية تسعى إلى إجراء انتخابات برلمانية مبكرة والضغط على الحكومة وإثبات قصورها ولهذا فهي تهدف إلى كسب تأييد الرأي العام التركي سواء في ذلك الأحزاب في السلطة أو الأحزاب خارج السلطة. وربما يكون السبب الأصلي وراء تأييد الأحزاب السياسية المنافسة لدخول القوات التركية إلى شمال العراق هو الحصول على تأييد الرأي العام التركي من جهة ووضع الحكومة في مأزق داخليا وخارجيا من جهة أخرى.

وفي هذا الصدد يرى الدبلوماسي التركي المخضرم اينال باتو أن تركيا لا تعتزم إرسال قوات إلى شمال العراق على المدى القريب أو حتى على المدى المتوسط وأن سياسة اردوغان تقوم على إخماد لهيب القومية عن طريق رفع شعار مواجهة حزب العمال الكردستاني. وهو يقول إنه إذا كانت تركيا تعتزم القيام بعمليات عسكرية في شمال العراق على الرغم من معارضة الولايات المتحدة لأقدمت عليها مباشرة دون أن تثير ضجة.

الأمر المهم هنا هو موقف الولايات المتحدة فنظرا لأن منطقة شمال العراق هي المنطقة الوحيدة التي تتمتع بالهدوء والاستقرار حتى الآن فإن المسئولين الأمريكيين لا يرغبون في فقدان تأييد القبائل الكردية في هذه المنطقة وزيادة التوتر في المنطقة. ولهذا فمن المستبعد أن يعطي الأمريكيون الضوء الأخضر لتركيا للقيام بعمليات عسكرية في شمال العراق. ولكن نظرا لضغوط تركيا والاحتياج لمشاركتها بدور الوسيط في أزمة الشرق الأوسط، من الممكن أن يتخذ الأمريكيون خطوة لجذب السلطة التركية عن طريق الضغط على حزب العمال الكردستاني لتجنب قيام تركيا بعمليات عسكرية في شمال العراق. وفي هذا المجال هناك اتصالات سرية بين المسئولين العسكريين في انقرة وبغداد لإقناع تركيا بالإضافة إلى أن حكومة تركيا يمكنها استغلال هذه التحركات داخليا. وربما يمكن في هذا الصدد تلقي تصريحات استيفان هادلي بعد لقائه مع كل من بوش والمالكي التي تتضمن توصل الطرفين الولايات المتحدة والعراق إلى اتفاق حول خطة من ثلاث مراحل لمواجهة حزب العمال الكردستاني وكذلك تصريحات طالباني التي أعلن فيها صدور أوامر لوزارة الداخلية لإغلاق مكاتب حزب العمال الكردستاني في بغدد وكركوك والموصل وأربيل.

نظرية اللعبة: التعاون بدلاً من التنافس

■ د. رشيد جعفر پور كلورى ■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٧/١٤

مع استخدام نظرية اللعبة فى العلاقات الدولية من الممكن تقديم إطار تنظيرى وتحليلى للبرنامج النووى الإيرانى. بناء على هذا النموذج من الممكن تصور عدد من أشكال اللعبة بين اللاعبين فى الملف الإيرانى: إيران أمريكا - روسيا، الصين وأمريكا - روسيا، الصين وإيران - أمريكا، الدول الأوروبية الثلاث - إيران، الدول الأوروبية الثلاث - روسيا، الصين والدول الأوروبية الثلاث، فى هذا النموذج ستكون إيران وأمريكا هما اللاعبين الأساسيين، والصين وروسيا والدول الأوروبية الثلاث لاعبين ثانويين.

نظرية اللعبة هى من النظريات المهمة التى تستخدم فى ساحة العلاقات الدولية، وتستخدم نظرية اللعبة بشكل واسع من جانب المتخصصين فى العلاقات الدولية، لرسم نموذج للردع النووى ومظاهر التنافس على التسليح ونزع السلاح وسائر الظواهر المهمة، وهذه النظرية هى إحدى النظريات التى تخضع لنظرية الخيار العقلانى لأن كثيراً من فرضيات والتزامات الخيار العقلانى تخضع لفرضياتها، بحيث يتم أولاً وضع عدد من الخيارات أمام من عليه أن يختار ويقوم بناء على مصلحته الشخصية بتبنى أفضل الخيارات أو الأكثر فائدة والأقل خسارة بالنسبة له. ولو أن عدد المختارين كثير فمن الطبيعى أن اختيار أحدهم سيؤثر على اختيارات الآخرين.

ونظرية اللعبة فى هذه الحالة (تعدد اللاعبين) تتعامل مع الخيار العقلانى ومن ثم تحدث التبعية الاستراتيجية المتبادلة، والتبعية الاستراتيجية المتبادلة تعنى أن الخيار الاستراتيجى للآخرين يؤثر على الخيار الأفضل لشخص ما والعكس بالعكس صحيح.

وفى هذه النظرية عادة ما ينقسم اللاعبون إلى فريقين أساسى، وفرعى، اللاعبون الأساسيون هم: الذين فى حالة خروجهم من اللعبة تصبح كل اللعبة بلا معنى.

أما اللاعبون الفرعيون فهم الأشخاص الذين يساعدون فى سخونة واستمرار اللعبة والتغيير الاستراتيجى.

ووجود اللاعبين فى هذه النظرية يعنى أنها نظرية الفعل الجماعى، وعلى الرغم من أن النتائج المتحصلة عن الفعل الجماعى عادة ما تكون مغايرة للخيار العقلانى الفردى لكن نظرية اللعبة تجعلنا قادرين على أن نوضح، لو أن عدد الأشخاص الذين يتخذون القرار يكون محدوداً من الممكن منع الفشل فى الفعل الجماعى وفى العادة تتم اللعبة فى مناخ مناسب، بحيث يقوم اللاعبون بناء على قدراتهم وإمكانياتهم واستراتيجياتهم المتكافئة بإعداد قواتهم والعمل على كسب اللاعبين غير الأساسيين والمراقبين، أو يفرضوا خطابهم على جو اللعبة، أو يستفيدوا من الخطاب السائد لمصلحتهم، والجزء الأهم فى نظرية اللعبة هو جزء التعادل الاستراتيجى، والذى فيه يجب على اللاعبين المفترضين أن يعملوا بالشكل الذى يراعى أولاً قواعد اللعبة. ولا يصدر عنهم سلوك غير عقلانى، أو على الأقل يكون هناك تبرير عقلانى لتصرفهم. ثانياً، أن يكون هناك تعادل متكافئ مع مجموعة من الاستراتيجيين بالشكل الذى لا يستطيع أى لاعب بالنظر إلى أن الآخرين لم يغيروا الاستراتيجية أن يغير استراتيجيته لزيادة مكاسبه. نظرية اللعبة لها قواعدها الثابتة التى فيها ستؤثر استراتيجيات أى لاعب على اختيار استراتيجية الآخرين.

وفى هذه النظرية يوجد نوعان من اللعبة. اللعبة الصفرية، ولعبة حاصل الجمع غير صفر. اللعبة الصفرية تقوم على مبدأ المنافسة، كلا الطرفين يعمل على أن يفوز فى المنافسة، وتفوق أى طرف سيؤدى إلى أن يفقد الطرف الآخر التفوق.

لعبة حاصل الجمع غير صفر تقوم على مبدأ التعاون. فى هذه اللعبة أى محاولة لأى طرف فى اللعبة لإحراز تفوق لن تؤدى لسحب التفوق من الطرف المقابل، بل من الممكن أن تتقدم اللعبة بالشكل الذى يتيح لكلا الطرفين إحراز التفوق، ولا يقع الطرفان فى تضاد.

المسألة النووية الإيرانية:

فى صيف ٢٠٠٢ بعد أن زار محمد البرادعى مدير الوكالة للطاقة الذرية مركز التخصيب فى ناتانز قال: اليوم تدخل إيران فى مجموعة الدول العشر التى تمتلك تقنية دورة الوقود فى العالم، ولو لم يتم التصدى لهذه القدرة الإيرانية التكنولوجية، فإن العالم سيواجه فى المستقبل تحدياً مهما. بهذا التقرير وضع البرادعى ملف إيران على جدول أعمال الوكالة، وكان مبرره لبدء بحث الملف الإيرانى فى الوكالة هو حتى تدخل مختلف القوى الدولية فى الأمر وتطرح المطالب العديدة فى الوكالة، ولا يستغل هذا الموقف بشكل سيئ على الساحة الإعلامية الدولية.

وعلى الرغم من محاولة إيران المتجددة لخلق الثقة، كان الهدف الأساسى للوكالة هو التعليق التام لكل أنشطة التخصيب وهو ما تجلى بوضوح فى بياناتها العديدة، ولإثناء إيران عن عزمها تم طرح التهديدات العديدة منها: منع سفر كبار المسئولين إلى الدول الغربية، مقاطعة اقتصادية محدودة، مقاطعة اقتصادية كاملة، الهجوم على المنشآت النووية، حرب كاملة و......، وقد قامت أمريكا والدول الأوروبية الثلاث لتحظى بتأييد المجتمع الدولى ومشاركته، على الرغم من المساعى الدبلوماسية الإيرانية، بإحالة ملف إيران إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وفى مقابل مسعى الوكالة، قسم المجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى عملية السيطرة على الأزمة النووية إلى ثلاثة محاور أساسية: المحور الأول لهذه العملية، تجاوز التهديد الراهن بإحالة الملف إلى مجلس الأمن "وهو أمر لم ينجح" المحور الثانى، الحفاظ على القدرة والإنجازات النووية الإيرانية، المحور الثالث، استمرار ودعم أنشطة التخصيب على الرغم من المقاطعة النووية "وسيتم تنفيذ هذا المحور بمساعدة العلماء الإيرانيين".

فى بداية ظهور الأزمة النووية كان هناك ثلاث وجهات نظر بخصوص اتخاذ القرار والسياسة النووية فى داخل إيران. كان عدد يعتقد أننا لن نتعاون مطلقاً، أى أننا لن نتعاون فقط مع الوكالة، ولن ننفذ القرار فقط، بل إننا بالأساس سنخرج من NPT، من ناحية أخرى كانت هناك تيارات أخرى مختلفة تماماً فى الرأى. كانوا يعتقدون، أننا يجب علينا أن نتعاون بشكل دائم وبلا قيد ولا شرط مع الوكالة ومجلس الحكام، لكن هناك البعض كان يتبنى طريقاً وسطاً، وعلى هذا الأساس يتم إبداء نوع من التعاون مع الوكالة، لنبين أن أنشطتنا النووية سلمية، وفى نفس الوقت يجب أن نقوم بعمل سياسى إلى جانب العمل الفنى والقانونى، وتكون هنا علاقة وطيدة مع العالم ومع القوى المؤثرة فى الوكالة. النظرية الثالثة، أعلنت النظرية الرسمية لنظام الجمهورية الإسلامية، وبدأت بشكل رسمى محادثات مع الدول المؤثرة فى الوكالة وكبار المسئولين فيها. ومع التأكيد على حق إيران المسلم به فى امتلاك المعرفة النووية، تم الدخول فى مرحلة جديدة من التعاون مع الوكالة، ولخلق الثقة قامت إيران بالتعليق الطوعى. وهذه العملية تم تأييدها من جانب المسئولين الرسميين فى الوكالة، فرأت بعض القوى الدولية أن الجو مناسب لمواجهة إيران وبممارسة الضغط على الوكالة عملوا على تحويل الملف النووى الإيرانى من مساره القانونى الفنى إلى عملية سياسية.

البعض يعتقد أن الملف النووى الإيرانى، لم يعد ملفاً خاصاً بدولة واحدة بل تحول إلى ملف دولى، وهو نقطة اختبار للأقطاب القوية دولياً والمنظمات الرسمية الدولية "مجلس الحكام، مجلس الأمن" وبارقة أمل لدول العالم الثالث "غير المنحازة" ونقطة تحد للقوى المرتقبة مثل الاتحاد الأوروبى وروسيا والصين.

لاعبو الأزمة النووية الإيرانية:

يبدو أنه يوجد فى الأزمة النووية الإيرانية عدد من اللاعبين، من المهم ومن الصعب تحديد المكانة الأساسية لكل منهم. لكن مع دراسة حقائق العدة أعوام الأخيرة من الممكن التوصل إلى هذه النتيجة وهى أن اللاعبين الأساسيين فى هذه المسألة هم إيران وأمريكا واللاعبين غير الأساسيين هم روسيا والصين والدول الأوروبية الثلاث. والملعب هو الوكالة الدولية للطاقة ومجلس الأمن.

والنموذج الذى يمكن تصوره لهذه اللعبة هو شكل متوازى الأضلاع رؤوسه إيران وأمريكا وروسيا والصين والدول الأوروبية الثلاث. نقطة تلاقى أقطار هذا المتوازى المسألة النووية الإيرانية. على أساس هذا النموذج هناك عدد من اللعبات يمكن تصورها بين اللاعبين.

١ - إيران أمريكا: لعبة حاصل الجمع صفر

٢ - روسيا والصين وأمريكا : اللعبة الصفرية

٣ - روسيا والصين وإيران: اللعبة الصفرية

٤ - أمريكا والدول الأوروبية الثلاث : لعبة حاصل الجمع غير صفر

٥ - إيران والدول الأوروبية الثلاث : لعبة حاصل الجمع غير صفر

٦ - روسيا والصين والدول الأوروبية الثلاث : لعبة حاصل الجمع غير صفر

وكما أشير فى النموذج، فإن إيران وأمريكا هما اللاعبان الأساسيان فى المسألة "وكلاهما يقع على القطر الصغير القريب للمسألة". ومن حيث الدعم والتقارب فى وجهات النظر الدول الأوروبية الثلاث قريبة من الولايات المتحدة والصين وروسيا قريبتان بل أكثر قرباً من إيران.

إيران وأمريكا: كانت استراتيجية إيران منذ بداية الأزمة وحتى الآن التعاون مع الوكالة، وخلق الثقة، واستمرار عملية التخصيب فى إطار الـ "بادمان"، والدفاع عن حق التخصيب، والاستخدام السلمى للطاقة النووية، وقد عملت إيران بتبنى استراتيجية الخطوة خطوة لمسار الأزمة للوصول من حالة عدم الثقة إلى درجة أن العالم وأصحاب الرأى المنصفين العالميين يؤكدون سلمية الأنشطة النووية الإيرانية، ويؤكدون فى لقاءاتهم الرسمية مع قادة الدول حق إيران النووى، وخير مثال على هذا الأمر يتمثل فى جلسة عدم الانحياز فى ماليزيا، حيث أكد قادة دول عدم الانحياز بالإجماع سلمية الأنشطة النووية الإيرانية وحق امتلاك التقنية النووية لكل الدول.

لكن ما حدث فى اللعبة الدولية بين إيران وأمريكا هو:

أن المسألة النووية الإيرانية تحولت إلى ساحة للحرب، يعمل طرفاها الأساسيان "إيران وأمريكا" على أن ينتصرا فى المعركة. فاللعبة بينهما لعبة حاصل الجمع صفر، تفوق أحدهما سيؤدى إلى خسارة الطرف الآخر. ومبدأ المنافسة هو المسيطر على هذه اللعبة. منافسة المقايضة للحصول على التقنية النووية من جانب إيران وزيادة الهيمنة العالمية من جانب أمريكا. فلو تستطيع إيران مع تقبل الأخطار المحتملة الحصول على حقها، فمن البديهى فى المنافسة مع أمريكا أنها قد وصلت إلى نتيجة إيجابية، وستسطر صفحة ذهبية فى تاريخ هذه الأزمة، وستتأثر إلى حد كبير مكانة أمريكا القائمة على الهيمنة فى منطقة الشرق الأوسط والعالم، وستقدم هذه النتيجة مساعدة جليلة لخروج العالم من حالة الأحادية القطبية، وهذا مطلب كثير من القوى غير المهيمنة.

وعلى افتراض بعيد إذا لم تستطع إيران الحصول على حقها، واستطاعت أمريكا فى هذه المنافسة أن تسيطر على المنظمات الدولية إما بالإجبار أو الإكراه، وتكون هى المنتصر فى ساحة المنافسة، سيكون من نتائج هذا عدم جدوى مؤسسات مثل مجلس الأمن والوكالة الدولية للطاقة وتأثرهم بالأقوياء وتشوه صورة أمريكا أمام أمم العالم، ومرة ثانية ستظهر صورة الأمة الإيرانية المظلومة فى الدفاع عن حقوقها البديهية على مدة ثلاثة عقود بعد الثورة الإسلامية، وتفاقم خطر الأحادية القطبية فى العالم وقضايا أخرى من هذا القبيل.

ونقل اللعبة إلى لعبة حاصل الجمع غير صفر سيخرج الساحة من المنافسة، هذا على الأقل، وإذا لم تتمكن من هذا ستتحول إلى تعاون، على أية حال ستكون هناك فرصة للحد من التوترات الإقليمية، وتقترب اللعبة أكثر إلى نتيجة منطقية.

بريطانيا وفرنسا وألمانيا: دخلت الدول الأوروبية الثلاث حلقة الملف النووى لأن الوكالة لم تستطع بشكل رسمى حل الأزمة النووية، وكان وجود الدول الثلاث كوسيط بين إيران والوكالة، والجلسات المشتركة بينهم وبين إيران عبارة عن ممر لحل المسألة بشكل توافقى. وعلى الرغم من الوعود المتكررة من جانب الدول الأوروبية بالحفاظ على حق إيران النووى فإنه تم تجاهله فى بيانات معظم الجلسات، وفى النهاية تمت إحالة الملف الإيرانى إلى مجلس الأمن، ومن الممكن استنتاج - من مجمل جلسات وتصريحات قادة الدول الأوروبية - أنهم يريدون أن تستمر لعبة إيران أمريكا فى حالة المنافسة، وفى ساحة المنافسة يجعلون كفة أمريكا هى الأثقل وعلى الرغم، طبقا لوجهة نظرهم، أن تفوق أمريكا فى هذه اللعبة سينتهى لمصلحتهم، لكن يبدو أن عواقبه الوخيمة ستطالهم أيضاً. عواقب من قبيل عدم الأمن فى المنطقة، تفاقم الأحادية القطبية، ارتفاع أسعار النفط عدم أمن عملية الاستثمار فى منطقة الشرق الأوسط.

روسيا والصين: تعمل روسيا والصين باعتبارهما قوتين مرتقبتين على استغلال الوضع القائم لتقييم مكانتهما وقدرتهما الدوليتين. بهذه الرؤية، ستكون لعبة روسيا والصين وأمريكا لعبة حاصل الجمع صفر. وهم يعملون فى حالة منافسة مع أمريكا ليحموا مصالحهم. وما هو مهم بالنسبة للصين للغاية عبارة عن: الوصول إلى أسواق المنطقة، تثبيت أسعار النفط، خروج العالم من حالة الأحادية القطبية، وقضايا أخرى من هذا القبيل. ولهذا فإن الحل السلمى لملف إيران، وخلق الأمن فى المنطقة هو من أهداف الصين.

وتتابع روسيا بشكل مبهم المسألة النووية الإيرانية. ويبدو أنها فى كلتا الحالتين "نجاح أو عدم نجاح" إيران فى المسألة النووية ستستفيد فلو استطاعت إيران الانتصار فى المعركة، فستقوم روسيا بالكثير من الاستثمارات فى إيران، وفى حالة فرض المقاطعات على إيران مثل مقاطعة شراء النفط والغاز الإيرانيين سيؤدى ذلك إلى ارتفاع أسعار النفط والغاز، وستستفيد روسيا من صادراتها الهائلة فى هذا القطاع، ولو أن إيران كفت عن سياسة المقاومة وخضعت لبعض الالتزامات والقرارات فسيتم الكثير من الأنشطة النووية الإيرانية على الأراضى الروسية وستستفيد روسيا أيضاً من هذا الأمر، ولهذا فإن روسيا تناور فى هذه المسألة.

النتيجة

تخبط الدول المؤثرة فى المسألة النووية الإيرانية راجع إلى عدة عوامل هى:-

عملية تسييس الملف وخروجه من حالته الفنية والحقوقية.

- تعقد اللعبة بسبب اللاعبين، وانهيار التوازن الاستراتيجى للعبة.
- تعارض مصالح كثير من اللاعبين.
- عدم قيام اللاعبين بتحويل ساحة المنافسة إلى ساحة تعاون.
- تأثر المنظمات الدولية بسبب اختلال التوازن القوى.

ولو عمل اللاعبون المؤثرون على إخراج اللعبة من حالة المنافسة لا يمكن تحليل رسالة أحمدى نجاد لبوش وخافير سولانا فى هذا الإطار "ويحولون التعاون "لعبة حاصل الجمع غير صفر"، ولم يضع أى من اللاعبين مصالحه فى مواجهة مع مصالح الآخرين، ويخرجوا الملف الإيرانى من الحالة السياسية ويحترموا الحقوق الطبيعية للدول فى الوصول إلى التقنية النووية فستخرج المسألة من الحالة المتأزمة وستصل إلى نتيجة منطقية.

إخوانناالشيعة

■ أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

إذا كان الأداء الإنسانى هو التفاعل بين السلوك والإنجاز فإن تنمية هذا الأداء بما يخدم أهداف خلافة الإنسان لله على الأرض لا يتحقق إلا إذا كان هذا السلوك نابعا عن إيمان صادق وفهم واع للحقوق والواجبات التى على أساسها يعطى الإنسان ولاءه فيأتى إنجازه محققا للمعايير الإسلامية وليس فقط إنجازا كميا. وهنا تظهر أهمية القيم الدينية كقاعدة تحكم أداء الفرد وتعمل على تحسينه وتطويره ليس فقط فى داخل منظمات العمل ولكن أيضا خارجها. وهذا ما يدعونا للعودة إلى الحديث عن إخواننا الشيعة وحزب الله.

أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة. وقد وردت كلمة شيعة ومشتقاتها فى القرآن الكريم بمعنى الفرقة أو الأمة أو الجماعة من الناس، وجاءت لفظة أشياع بمعنى أمثال ونظائر، واختلفت وجهات نظر العلماء فى التعريف بحقيقة الشيعة، وأشهرها أنه كل من يتولى علياً وأهل بيته. وهم الذين نصروا علياً واعتقدوا إمامته نصاً، وأن الشيعة اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رضى الله عنهم جميعاً، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة.

كان مدلول التشيع فى بدء الفتن التى وقعت فى عهد على رضى الله عنه بمعنى المناصرة والوقوف إلى جانب على رضى الله عنه ليأخذ حقه فى الخلافة بعد الخليفة عثمان، وأن من نازعه فيها فهو مخطئ يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة. وكان على هذا الرأى كثير من الصحابة والتابعين، حيث رأوا أن علياً هو أحق بالخلافة من معاوية بسبب اجتماع كلمة الناس على بيعته، ولا يصح أن يفهم أن هؤلاء هم أساس الشيعة ولا أنهم أوائلهم، إذ كان هؤلاء من شيعة على بمعنى من أنصاره وأعوانه. ومما يذكر لهم هنا أنهم لم يكن منهم بغى على المخالفين لهم، فلم يكفروهم، ولم يعاملوهم معاملة الكفار بل يعتقدون فيهم الإسلام، وأن الخلاف بينهم لم يتعد وجهة النظر فى مسألة سياسية حول الخلافة.

الإثنا عشرية هى الواجهة الرئيسية والوجه البارز للتشيع فى عصرنا الحاضر، فتعتبر هذه الطائفة أشهر فرق الشيعة، وأكثرها انتشاراً فى العالم، وأتباعها يبلغون ٢٠٠ مليون شيعي، وإليها ينتمى أكثر الشيعة فى إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التى وصلت إليها العقيدة الشيعية، ولهم نشاط ملموس فى كثير من البلدان فى الآونة الأخيرة: وقد تحقق لهم الكثير مما أرادوه فى العالم الإسلامى وذلك لما يبذلونه من مساعدات مادية ومعنوية. والتقية فى مفهوم الشيعة معناها أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن، وللتقية عند الشيعة مكانة مرموقة، ومنزلة عظيمة فقد اعتبروها أصلاً من أصول دينهم لا يسع أحداً الخروج عنها، وقد بحثوها فى كتبهم كثيراً، وبينوا أحكامها وما ينال الشخص من الثواب الذى لا يعد ولا يحصى ولا يصدق لمن عمل بها،

وإن القول بالمهدى وانتظاره من عقائد الشيعة البارزة والأساسية، ذلك المهدى الذى غاب عنهم لأسباب مؤقتة، وسيرجع وسيملأ الأرض عدلاً ورخاءً كما ملئت ظلماً وجوراً. والمهدى عندهم هو الإمام الثانى عشر من أئمتهم حسب ترتيبهم لهم، واسمه محمد بن الحسن العسكري، واختلف الشيعة فى

المكان الذى اختفى فيه، ومكان وموعد ظهوره.

لاشك أن المذهب الشيعى كان قد بدأ كحزب سياسى معارض لحكومة أهل السنة والجماعة التى كونت الخلافة الأموية، وقد اجتهد الشيعة فى وضع منظور خاص للحكم والسياسة، وتوصلوا إلى مفهوم الإمامة الذى جعلوه فى مقابل الخلافة، وانتهى الأمر بأرجحية سلسلة الولاية الإثنى عشرية، كحكومة فى المنفى للشيعة، ثم كان التفكير فى إقامة حكومة إسلامية شيعية فى زمن الغيبة، فقام عدد من الدويلات فى العراق وإيران وآسيا الوسطى استقلت عن الخلافة العباسية، كتجربة لدولة منفصلة عن الخلافة، ثم قامت الخلافة الفاطمية فى مصر وشمال أفريقيا كأول دولة شيعية ذات سيادة، تطبق المذهب الشيعى بكل أبعاده العقائدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية، ونشطت هذه الدولة فى إنشاء جامعة شيعية من خلال الجامع الأزهر، وقامت فيه بتربية الدعاة الشيعة، وإرسالهم إلى الأقاليم الإسلامية، حتى التابعة للخلافة العباسية.

وقد استطاع شيعة إيران أن يقيموا حكومة دينية فى أوائل القرن العاشر الهجرى على يد الأسرة الصفوية، مما أدى إلى عملية الدمج بين المرجعية الدينية والمرجعية السياسية، حيث أعطت الدولة لعلماء الدين الشيعة مكانة خاصة فى الحكومة، وقاموا هم بدورهم بوضع نظام مؤسسى للحكم والإدارة، وأصبحت المرجعية الدينية أو مراجع التقليد تعنى لدى الإيرانيين علماء المذهب الشيعى الذين يرجع إليهم فى شئون الحياة العامة وأمور الدين والمذهب فى فترة غيبة الإمام المهدي، وهكذا ارتبطت فكرة المؤسسة الدينية بالمذهب الشيعى وحده، خاصة مع إنشاء الحوزات العلمية الدينية التى بنيت على أساس تجميع المدارس الفقهية التى يمثلها مراجع الشيعة، وقد ساعد على ذلك مبدأ الإمامة الذى يفرض على كل شيعى أن يكون مقلدا لأحد الفقهاء يرجع إليه فى أمور دينه ودنياه، ويكون حبل وصله بالإمام لأنه من مات بغير إمام _كما يعتقد الشيعة _ مات جاهليا، ومع استقرار هذه الأفكار أصبحت الحاجة ملحة لاستمرار حركة الفقه وتربية الفقهاء وفتح باب الاجتهاد، كما أتاح لمراجع الشيعة تحصيل الزكاة والهبات والنذور فضلا عن الأنفال التى تتمثل فى الخمس الذى أسقطه علماء السنة باعتبار أنه كان من حق النبى (ص) وسقط بموته لأنه لا يورث، فى حين أن الشيعة يعتقدون أنه من حق الإمام، وينوب فى تحصيله عنه الوكلاء والمراجع فى فترة غيبته، وبهذا الدعم المالى أصبح للشيعة مؤسسة دينية قوية مستقلة لا تنتظر دعما من حاكم يتدخل فى شئونها، واستطاع المحقق الكركى المعروف بالمحقق الثانى أن يقيم حوزة علمية دينية قوية فى أصفهان، وكان قد أمضى فترة كبيرة من حياته فى الحلة والعتبات المقدسة فى العراق، وبعد وفاته تابع الملا عبد الله التسترى مسيرته فعمل على دعم الحوزة وتوسعتها وتطويرها بإدخال العلوم العقلية إلى جانب العلوم النقلية، حيث كانت الحكمة والفلسفة والتصوف والرياضيات من المواد الدراسية التى تخصص فيها عدد من علماء الشيعة، وقد وضع الملا محمد باقر المجلسى بعد ذلك أول موسوعة للفقه الشيعى تحت اسم بحار الأنوار، وقد تنافست حوزات شيعية أخرى مع حوزة أصفهان هى حوزة النجف وحوزة جبل عامل وحوزة البحرين، وقد ضمت كل حوزة عددا من المدارس الدينية، وكانت الحوزة العلمية الدينية فى النجف مزدهرة فقهيا وعلميا خلال القرن الثالث عشر الهجرى مع ظهور علماء أفذاذ مثل الشيخ الطوسى الذى أسس دار العلم والشيخ مرتضى الأنصارى وآخوند الخراسانى ومحمد حسن الشيرازى وسيد أبو الحسن الأصفهانى ومحمد حسن النجفي، كما صارت أكبر مركز علمى دينى للشيعة فى عهد محمد حسين كاشف الغطاء بعد أن أنشئت معاهد ومراكز بحث وجمعيات علمية مثل جمعية منتدى النشر التى أسسها الشيخ محمد رضا مظفر، وكلية الفقه التى أسستها جمعية علماء العتبات المقدسة والتى كانت تصدر مجلة النجف ومجلة الطلاب، وقد أدخلت فصول تدريب الخطباء على الدعوة، ثم أنشأ محمد حسين كاشف الغطاء وزملاؤه فى حوزة النجف جمعية التحرير الثقافي، ساهمت فى تطوير الحوزة بإدخال علوم جديدة تقتضيها طبيعة العصر الحديث، وينسب إلى آية الله عبد الكريم الحائرى تأسيس حوزة قم الدينية التى أدخل فيها فكرة التخصص العلمي، كما أدخل فيها تعليم اللغات الأجنبية.

وقد ظلت الحوزة الدينية مهدا لتربية العلماء والمفكرين والمجتهدين فى الفروع المختلفة مثل الفقه والتفسير والفلسفة والتصوف والتاريخ والرياضيات، وقد استطاعت أن تستقطب إليها أعدادا كبيرة من

المقلدين والمريدين والطلاب، خاصة حوزات النجف وسامراء وكربلاء وجبل عامل وقم ومشهد، وقد جعل علماء الحوزة المساجد مكانا للتدريس وبيوتهم مكانا لعقد الندوات والمناظرات العقائدية والعلمية، ثم صارت البيوت فيما بعد مركزا لإدارة المعاملات المالية وموارد شيوخ الحوزة من النذور والهبات والزكاة وحق الخمس. وتتميز الحوزات العلمية الدينية بأنها تعطى لطلابها عناية خاصة، فهى لا تضع نظم المدارس الدينية لمجرد منح الشهادات أو الإجازات العلمية، بل تحرص على تنمية استعداد الطلاب العقلى والبحثى وزيادة معلوماتهم الفقهية والأصولية والفلسفية والثقافية مع تزويدهم بالرؤية العلمية والسياسية، ومن هنا يبدأ معهم المنهج الاجتهادى منذ الصغر ومع تدرجهم فى المراتب العلمية كواعظ ثم كمجتهد ثم كحجة الإسلام وحجة الإسلام والمسلمين ويظل حتى المرجعية فيصبح آية الله ثم آية الله العظمى، مما يجعل عملية التجديد فى الفكر الشيعى وخطابه الدينى مستمرة، ومن الواضح أن الدور الذى يمثله المرجع فى الحوزة قد اتسع باتساع قدرة شخصيته على التأثير واستقطاب الزملاء والتلاميذ والمقلدين بأفكاره ونظرياته، فضلا عن اتساع أفق معلوماته وثقافته العامة ونظرته للكون والعالم، وكذلك درايته بالتطورات الحضارية المعاصرة، وقد أتاح تجميع مرجعية التقليد فى يد بعض علماء الدين خلال فترات متقاربة أن يقوم مرجع التقليد بدور الزعيم الذى يخرج من مجرد التوجيه الدينى والاجتماعى إلى المجال السياسى والاقتصادي، بحيث كانت الحوزة تقود الحركة الاجتماعية السياسية فى إيران والعراق، وأهمها ثورة العشرين التى قادها سيد محمد تقى الشيرازى ضد الانجليز الذين استولوا على العراق عام ١٩١٧م، وحمل الشيعة مراجع ومقلدين السلاح فى وجه الاستعمار، كما أعلن الشيرازى تحريم التنباك فى بيانه الذى ألقاه فى سامراء، وأعلنت التعبئة العامة بفتوى علماء النجف، كذلك قامت حوزة قم بدعم تأميم البترول ومكافحة الانجليز وإقامة علاقات مع إسرائيل. كما قاد آية الله الخمينى الثورة الإسلامية فى إيران، والتى أعلنت الجمهورية الإسلامية على أساس نظرية ولاية الفقيه.

ويبدو رقى مفهوم الحضارة لدى الشيعة أنه يستقى معالمه من القرآن الكريم، سواء فى تعريفه للإنسان محور الحضارة وقيمته وإمكاناته ومنهجه وغايته، أو فى حقوقه وواجباته كفرد أو كمجتمع أو كأمة أو فى نمط الحوار ومنهجه ومستواه وموضوعاته وأهدافه، وهو يعنى بالثقافة التى هى المعيار الأساسى والحقيقى لأساليب قياس تقدم الحضارات، وأنها فوق كونها منظومة من الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة، تمثل مجموعة إنسانية فى الوعى الداخلى للإنسان يظهره إذا دعت الحاجة، ومن ثم فإن الحوار الذى يمكن أن تجريه هذه الحضارة مع الحضارات الأخرى يهدف بالضرورة إلى إزالة أو تقليل سوء الفهم الحالى بين الشعوب، والتطبيق الصحيح والمفيد للمفاهيم البشرية المعاصرة مثل: علاقات الصداقة والأخوة، العدالة، السلام، حقوق الإنسان، العولمة وغير ذلك، لأنه يقوم على قاعدة قوية من النضج العقلى والعلمي، مدعمة بمنهج علمى راق وبإرشادات إلهية ، مع إدراك واضح للثقافات المعاصرة التى تؤثر تأثيرا مباشرا على حياة الإنسان المعاصر، فإذا كان طرح حوار إيران لحوار الحضارات يهدف إلى عمل التوازن اللازم بين الشعوب والأمم فى إطار العولمة التى تعتبر العالم قرية كونية، يكون هذا المدخل الإسلامى وسيلة فعالة فى الحوار والتفاعل وصولا إلى أهداف سامية، فالمدخل الإسلامى يعى معنى حوار الحضارات، كما وعى كيفية بناء الحضارة وكيفية حل مشكلاتها.

يعمل الشيعة على تثبيت ثقافة المقاومة فى المنطقة ضد التدخل الأجنبى فى شئونها، ويعتبرون الكيان الصهيونى جسما غريبا داخلها، كما يسعون لدعم المقاومة باعتبارها العمود الفقرى لتفعيل حركة شعوب المنطقة، وهم ينفون عنها فكرة الإرهاب، كما يساعدون على التحرك فى الإطار العسكرى الذى يبعد عنها هذه الصفة. ويؤكدون أن معارضة المصالحة مع إسرائيل سببها أنها دولة إرهابية، وأن النظام الصهيونى هو أكبر مظهر للإرهاب الدولى والعنصرية العالمية، وأنهم يريدون السلام فى فلسطين، السلام الذى يتمتع فيه المسيحى والمسلم واليهودى العربى وغير العربى وكل من يعيش على أرض فلسطين بحياة مستقرة وهادئة، وهم يعتبرون المقاومة حق مشروع للدول الحرة المعتدى عليها، وإنها فى إطار قيمها الثورية والإسلامية سوف تدافع عن حقوق هذه الشعوب، وأن هذا ليس واجبهم وحدهم، وإنما واجب الدول الإسلامية كلها، ومن هنا يعتقدون أن مساعدة حزب الله فى لبنان واجب مذهبى وثوري، وأنهم سوف يستمرون فى دعمه طالما ظلت أراضيه محتلة أو مهددة، وأن دعمه يتجاوز

المصلحة إلى التعاطف العقائدى والوجداني، وإيران مع نفيها ما تردده إسرائيل حول الوجود الإيرانى العسكرى فى لبنان أو تزويد حزب الله بالصواريخ المتطورة، لا توضح تفاصيل أو نوع الدعم الذى تقدمه لحزب الله، فى الوقت الذى يقول فيه حسين شريعتمدارى رئيس تحرير صحيفة كيهان المحافظة فى تغطية واضحة: (ليت ادعاءات إسرائيل حول دعم إيران لحزب الله فى لبنان تكون حقيقة).

إن إيران لا توافق على نزع سلاح حزب الله أو إبعاده عن الجنوب اللبناني، ولو خلف نهر الليطاني، وترى أن إسرائيل لن تستطيع مهما حاولت أن تحقق ذلك، لأن حزب الله هو الذراع القوى للمقاومة اللبنانية، وأن الشعب اللبنانى يدرك ذلك، ولن يسمح بعزل حزب الله أو إضعافه.

من الواضح أن إيران تتخذ موقفا يبدو فيه التوازن المطلوب بين نصرة المقاومة، والقدرة على تقديم الحلول، وهو الموقف الذى يرتضيه الشارع السياسى العربي، كما يتناغم مع موقف الجامعة العربية، لأن هذه الأزمة سوف تستوجب بدء مرحلة جديدة من المفاوضات، ستعطى حزب الله مكانة خاصة فى الساحة السياسية اللبنانية، فقد برهن بقبوله نشر الجيش اللبنانى فى الجنوب على أنه لا يمكن التنبؤ بحركته، كما استطاع أن يثبت مدى مصداقيته فى حركته النضالية، وأن الولايات المتحدة ومعها إسرائيل يخطئان إذا حاولا إبعاده، لأنه خصم شريف.

إن طبيعة الشيعة سمحت لهم باكتساب القدرة على حسن التعامل مع حركات المقاومة، وإمكانية التواصل الخلاق معها، كما يسمح لهم التعامل بمصداقية معها، وتوفير آليات التعاون، وتبادل المصالح، وحزب الله اللبنانى خير مثال على ذلك.

ولا شك أن هذه السياسة تفتح الباب للتوسط بين المقاومة العنيفة والاستسلام، وتعلن عن توجه إسلامى جديد يتمثل فى إسلام العقل والمنطق، الذى يدرك التنوع فى إطار التضامن، والكثرة فى إطار الوحدة، والثبات فى إطار التعايش. ومن الضرورى أن يجرى طرح احتمالات عقلانية لطبيعة الدور الشيعى فى المنطقة على أساس الواقع الجاري، وإن أحد أهم عوائق تقبل هذا الدور هو فقدان الثقة والتشكك فى حقيقة النوايا الشيعية، ومدى علاقتهم بالمنظمات والجماعات المعادية للحكومات العربية! وإن كثيرا من الحكومات العربية تتأثر برأى إسرائيل فى أن إيران هى التى تحرض حركة حماس وحزب الله اللبنانى من أجل إشعال الحرب فى المنطقة، تحقيقا لأهدافها. إن علينا هنا أن ندرس حقيقة التوجه الإيرانى وعلاقته بالأحداث الراهنة، وكيف يمكن التعامل معها، إذ لا مفر من هذا التعامل.

إن الحوار بين السنة والشيعة يمهد الطريق إلى الحوار بين الإسلام والآخر، وهو أول الطريق لمواجهة العولمة، وإن القيم الدينية هى الأرض المشتركة التى تربط العلاقات الإنسانية بروابط الحب والتعاطف والسلام والتى إذا تشربتها النفوس انعكس ذلك على تخفيف حدة التوتر بين الأفراد والدول. من هنا كان لابد من أن تصحح المفاهيم أولا بين المسلمين وعلمائهم لينظروا إلى واقعهم نظرة موضوعية قوامها ما يجب أن يكون وليس ما كان يجب. عليهم أن يتخلصوا من " شماعة " المؤامرة التى طالما علقوا عليها تقصيرهم وهوانهم وتفككهم وتخلفهم عن ركب التطور الحضاري، فإلقاء اللوم على الآخرين لن يدفع أمتهم إلى التقدم بل سيبقيها فى مكانها وراء هذه القوى العظمى لا تملك مواجهتها!.

إن مسألة " المؤامرة " و " التمويل الخارجي" و " العمالة لدولة أجنبية " كل هذه المصطلحات لا شك أن لها واقعا فى العلاقات الدولية إلا أن استخدامها سلاحا فى وجه كل من يتواصل مع هذه القوى العالمية لإيجاد مخرج مما فيه عالمنا الثالث من إشكاليات حضارية يعكس فى حقيقة الأمر فهما معوجا لما يجب أن تكون عليه اليوم علاقة المسلمين بالآخر.

إننا اليوم فى أشد الحاجة إلى تأسيس فقه إسلامى يتفاعل مع المستجدات والتحديات العالمية برؤية حضارية معاصرة، تقدم الحلول العلمية العملية بعيدا عن اتهام الآخرين بالتآمر لإخفاء عجزنا، وبعيدا عن الخطاب الدينى المذهبى الحماسى الملتهب الذى لا يغنى ولا يسمن من جوع.

دراسة توجه الحكومة التاسعة فى السياسة الخارجية

■ د. محمد رضا دهشيرى ■ شرق (الشرق) ٢٠٠٦/٨/٢٠

بعد مرور أكثر من عام على تولى أحمدى نجاد رئاسة الجمهورية يرى البعض أن هناك ثلاث آراء رئيسية فيما يتعلق بتطور السياسة الخارجية لحكومة السيد أحمدى نجاد مقارنة بحكومة رفسنجانى وحكومة خاتمى. فهناك أولاً من يرى أن السياسة الخارجية للحكومة التاسعة هى امتداد للسياسة الخارجية للحكومات السابقة وذلك لأن بنية الجهاز الدبلوماسى وصناعة القرار لم تتغير ولأن تغيير الكوادر لا يمكن أن يؤدى إلى تغيير جذرى فى السياسة الخارجية للبلاد وهى السياسة النابعة من مبادئ وأهداف ينص عليها الدستور الإيراني. والرأى الثانى يعتقد أصحابه بالتغير المستمر فى السياسة الخارجية للبلاد نتيجة تغيير الكوادر التنفيذية على أثر انتخابات الرئاسة. ويؤمنون أن الخصائص الشخصية للمسئولين التنفيذيين و الدبلوماسيين تعد عاملا أساسيا فى السياسة الخارجية. أما الرأى الثالث وهو الذى يؤمن به الكاتب فيتمثل فى الامتداد وفى الوقت نفسه التغيير بمعنى أنه نظرا للبناء الثابت والاستراتيجية الكلية فى السياسة الخارجية القائمة على أسس قديمة إلا أنه بالنسبة لأسلوب تنفيذ المبادئ والأهداف المنصوص عليها فى الدستور ووثيقة النظام العشرينية هناك تغييرات تحدث من خلال تغير الكوادر والأساليب المتبعة فى السياسة الخارجية.

ويهدف المقال إلى توضيح التغييرات فى توجه الحكومة التاسعة فى مجال السياسة الخارجية على النحو التالي:

١- السياسة الخارجية الهجومية

ترفض الحكومة التاسعة اتخاذ موقف رد الفعل فى السياسة الخارجية، وترى أن إيران يجب أن تستند فى علاقاتها الخارجية إلى ثلاثة دعائم هى: الكرامة والحكمة والمصالحة الدبلوماسية الفعالة والمشرفة من منطلق أن سياسة رد الفعل والمرونة يمكن أن تعطى انطباعا بأن إيران تتصرف من موقف الضعف. ولذلك يجب على إيران لكى تنتهج سياسة خارجية فاعلة ومؤثرة أن تلقى الكرة دائما فى ملعب الخصم بدلا من اتخاذ موقف دفاعى لأن اللعب الدفاعى يؤدى فى أحسن الأحوال إلى عدم إصابة المرمى بأهداف وبالطبع مع افتراض أنه من المؤكد عدم إصابة مرمى المنافس بأية أهداف أيضا. ولكن فى حالة ارتكاب أى خطأ فى هذه السياسة يمكن أن يصيب اللاعب مرماه بأهداف. ولكن سياسة اللعب فى ملعب المنافس تؤدى إلى عدم الإصابة بأهداف وعلاوة على ذلك فهى فى حالة اللعب السليم تؤدى إلى إحراز الأهداف فى مرمى المنافس أو التسبب فى جعله يحرز الأهداف فى مرماه بطريق الخطأ. وأسفر هذا التوجه عن ابتكار أسلوب للعمل فتحقيق الشعارات يحتاج إلى التمسك بالمبادئ. ونظرا لأن الحق يجب أن يؤخذ لا أن يعطى فإن الاستراتيجية المذكورة وخاصة فى الدبلوماسية النووية يمكن أن تؤدى إلى إحقاق حق الشعب الإيرانى الأصيل فى الحصول على التكنولوجيا النووية السلمية. وهذا بالطبع فى حالة إذا ما لم يكن التوجه الهجومى بمثابة التشدد فى السياسة الخارجية أو استخدام الأدبيات غير الدبلوماسية أو غير المتزنة أو المثيرة. فمن جهة أدت السياسة الخارجية الهجومية تجاه النظام الصهيونى إلى تنامى موجات اليقظة الإسلامية ورفع الروح المعنوية لقوات النضال الفلسطينية واللبنانية وتمكنت من رفض نظام التسلط وتشكيل جبهة معادية للاستكبار لمواجهة السياسات الإمبريالية الأمريكية.

ويمكن للسياسة الخارجية الهجومية تحقيق موجبات السياسة الخارجية الفاعلة بمعنى الاستفادة من الفرص وفى الوقت نفسه العمل على خلق الفرص على الساحة الدولية.

٢- تحويل موقف إيران من موقف المتهم إلى موقف المدعى

كثيرا ما وضع الغرب إيران فى موقف تضطر معه إما إلى اختيار الصمت أو الاضطرار إلى الرد على الرأى

العام العالمى من موضع المتهم بدلا من الجلوس على مقعد المعتدى عليه. وعلى سبيل المثال، فى الحوارات الانتقادية وما تلاها من حوارات بناءة وشاملة بين إيران و الاتحاد الأوروبى اضطرت إيران إلى الرد على الانتقادات الأوروبية فى مجال حقوق الإنسان والإرهاب وقضية السلام فى الشرق الأوسط وأسلحة الدمار الشامل. بينما كان يجدر بإيران مثلا الهجوم على سياساتهم المتعلقة بحقوق الإنسان وانتقادها. وتأكيد رئيس الجمهورية على عقد سلسلة من الجلسات العلمية على مستوى عال بين المفكرين الإسلاميين والمفكرين الأوروبيين فيما يتعلق بأسس حقوق الإنسان يمكن أن يبين الأسس الفكرية الراسخة للعالم الإسلامى وإيران على وجه الخصوص كما يمكن يثير التساؤلات حول التفرقة العنصرية والعرقية فى الغرب وانعدام العدالة فى التعامل مع الأقليات العرقية والدينية وانتهاك حقوق الإنسان فى بعض البلاد مثل وجود السجون السرية، والتفرقة على أساس الدين والظلم فى أوروبا والتعذيب مثل حالة سجن أبوغريب وجوانتانامو، وقتل الشعوب تحت الاحتلال. كما أن التوجه المذكور يتم أيضاً من خلال القضاء على روح التسلط والاحتكار السائدة فى العالم ومحاربة أساليب القوة والأحادية من جانب الدول الحربية وخاصة الولايات المتحدة وهى الأساليب القائمة على أفكار القرون الوسطى، والعمل على إحلال خطاب السلام والاستقرار العالمى على أساس العدالة والقيم الروحية عن طريق الحوار واحترام الإنسان محل خطاب العنف والتفرقة والتسلط كما يمكن أن يؤدى إلى سيطرة النظرة القائمة على المبادئ والعدالة على الخطاب الإنسانى بدلا من الأفكار الليبرالية لمدعى الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان الذين لهم صحيفة سوابق مطولة مليئة بالقتل والحروب والإرهاب.

٣- وضع ثوابت النظام الدولى تحت التساؤل

يعتمد النظام الدولى الحالى على بعض الثوابت غير القابلة للخرق أو الفصل إلى درجة تحولت معها إلى ما يشبه التابو أو الخط الأحمر بل والأساطير وهى فى حاجة إلى التحقيق والبحث، لأن بعض الأنظمة قد قامت بناء عليها ومن هذه الثوابت التى يعد إنكارها مدعاة للعقاب وفقا للقانون الوضعى قضية يمكن الإشارة إلى الهولوكوست التى لا تقبل الإنكار من وجهة النظر الغربية لأن شرعية النظام الصهيونى تقوم عليها. ويمكن أن يكون تشكيك رئيس الجمهورية فيها بمثابة تحطيم للتابوهات الموجودة فى النظام الدولى. فهو يرى أنه إذا كان ستة ملايين يهودى فى بولندا قد قتلوا على أيدى النازيين فى المحارق وغرف الغاز فلماذا لم يفتح المجال أمام الباحثين لدراسة صحة أو خطأ عدد القتلى؟، كما أنه فى حالة حدوث هذا واقعيا فإذا كان الأوروبيون هم الذين ارتكبوا هذه الجريمة فلماذا يجب على بلاد الشرق الأوسط أن تدفع ثمن الجريمة؟، فالمفترض أن يقوم الأوروبيون أنفسهم بإسكان اليهود فى بلادهم. وهذا التصرف من جانب احمدى نجاد الذى يعد تشكيكا فى الثوابت الدولية التى لا يمكن إنكارها يمثل نوعا من سياسة المطالبة بإعادة النظر التى تسعى إلى تعديل وتصحيح الأسس بالإضافة إلى تغيير السياسات.

٤- التوازن بين الحق والواجب

تقوم السياسة الخارجية للحكومة التاسعة على مبدأ ضرورة التوازن والتعادل بين الواجبات والالتزامات والمسئوليات على الساحة الدولية من جهة وبين الحقوق والامتيازات الدولية لإيران من جهة أخرى. بمعنى أنه إذا كان لدينا وجود فعال فى المنظمات الدولية مثل الوكالة الدولية للطاقة النووية فإن هذه المنظمات يجب أن تتيح لنا الاستفادة من كافة الحقوق والمصالح مثلما تفرض علينا سلسلة من الواجبات والالتزامات إذ يجب أن يكون هناك توازنا بين الواجبات والحقوق. وإذا كان الوجود فى هذه المنظمات يؤدى إلى أن تكون مسئولياتنا وواجباتنا أكثر من حقوقنا ففى هذه الحالة يجب إعادة النظر فى دبلوماسيتنا متعددة الأطراف وفى هذا المجال تقوم الدبلوماسية النووية للحكومة التاسعة على الإقرار بتنفيذ كافة المقررات الدولية والمساواة فى الحقوق بين الشعوب واتباع الإرادة الشعبية واستمرا التعاون الدولى فى إطار الوكالة الدولية للطاقة الذرية والرغبة فى العمل على أساس الأساليب السلمية وإيجاد مناخ عادل لقيام المباحثات النووية والتأكيد على عدم الانسحاب من مسيرة التقدم والحصول على التكنولوجيا النووية السلمية. والواقع أنه يجب التسليم بأن إيران حتى الآن تلتزم بتنفيذ تعهداتها فى إطار اتفاقية الحد من انتشار الأسلحة النووية وتتعاون مع مفتشى الوكالة تعاونا كبيرا ولكنها تطالب بالاستفادة من حق الدراسة والتنمية فى إطار الحقوق المتضمنة فى الاتفاقية. بينما تسعى الولايات المتحدة وأوروبا إلى حرمان الشعب الإيرانى من حقوقه بازدواجية المعايير والتركيز على الأبعاد السياسية والأمنية للقضية بدلا من الأبعاد الفنية والقانونية. ولا شك فى أن تضامن الشعب الإيرانى مع حكومته والتمسك بحق الشعب الإيرانى فى الاستفادة من التكنولوجيا النووية الوطنية يمكن أن يحبط سياساتهم.

٥- تقديم صياغة العلاقات على تنمية العلاقات

تؤمن الحكومة التاسعة بتفضيل سياسة الكيف على الكم فى العلاقات الدولية. فهى تفضل كيفية صياغة العلاقات الاقتصادية والسياسية على توسيع نطاق العلاقات، فصياغة العلاقات لها أبعاد متعددة أولها،

توفيق العلاقات السياسية مع العلاقات الاقتصادية بحيث لو كانت إحدى الدول تعمل فى السوق الاقتصادية الإيرانية وتحقق مصالح من خلال هذا العمل فيجب أن يعود ذلك على إيران بالمنفعة السياسية. وثانيها، التعاون مع الدول الإسلامية لتكوين قطب إسلامى فى النظام الدولى المستقبلى وتوسيع نطاق العلاقات والمعاملات مع العالم الإسلامى فى مجال تكوين سوق إسلامية مشتركة وبنك إسلامى وبورصة إسلامية وقمر صناعى إسلامى ودعم الحوارات السلمية فى الهلال الشيعي وثالثها إعطاء الأولوية للنظرة الإقليمية فى العلاقات الدولية والاهتمام بالدرجة الأولى بالعلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع الجيران مع الاهتمام بإقرار علاقات استراتيجية مع دول الجوار لتحقيق الأمن الإقليمى والعمل على تحقيق السلام والاستقرار فى المنطقة وتأييد الشعب العراقى والأفغانى والفلسطيني. ورابعها تعميق العلاقات مع دول عدم الانحياز والشعوب المستضعفة وشعوب العالم الثالث.

٦- الاتجاه إلى الشرق والجنوب

فى إطار الحكومات السابقة كان التوجه نحو الغرب يتمتع بثقل أكبر من التوجه إلى الشرق بينما ترغب الحكومة التاسعة فى إقامة علاقات متوازنة بين الشرق والغرب ومع ذلك لا يعنى التوجه إلى الشرق إهمال الغرب وإنما يعنى الاستفادة من ثقل الدول الشرقية وخاصة دول مثل روسيا والصين والهند ودول جنوب شرق آسيا التى تعرف باسم الدول الصناعية الجديدة. وفى هذا المجال يدل اشتراك إيران كعضو مراقب فى منظمة شنغهاى على أهمية النظرة الاستراتيجية إلى الشرق فى السياسة الخارجية للحكومة التاسعة.

كما أن الاتجاه إلى الجنوب هى السياسة الأخرى لمواجهة التسلط الشمالى والمقصود بدول الجنوب هى دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية. وتشير عضوية إيران كمراقب فى منظمة الوحدة الأفريقية وتأييد نضال شعب زيمبابوى بزعامة روبرت موجابى ضد السياسات البريطانية والأمريكية وكذلك تأييد نضال شعوب كوبا وبوليفيا وفنزويلا ضد الاستعمار والإمبريالية على النظرة الاستراتيجية للتحولات السياسية والثقافية والاقتصادية على الساحة الدولية والاستفادة من الفرص الدولية لتحقيق المصالح الوطنية.

٧- التأكيد على العدالة

يرى احمدى نجاد أن النظام الثابت الذى يؤدى إلى السلام والاستقرار لا يتحقق إلا إذا قام على دعامتين هما العدالة والقيم الروحية، والتفرقة الموجودة فى المجتمع الدولى هى البيئة التى تنبت فيها الكراهية والحروب والإرهاب. ومن هنا تؤكد إيران على ضرورة تحقيق العدالة والعدالة تضمن رسميا حق الجميع فى الحصول على الاستقرار والسلام والحياة الكريمة وإذا صاحبتها القيم الروحية فإنها تؤدى إلى سمو الشعوب المستقلة والحرة فى العالم. وتؤمن الحكومة التاسعة وهى تبنى سياستها الخارجية على سيادة القيم الروحية والمبادئ الأخلاقية والعادلة فى جميع علاقاتها الدولية بأن الكرامة تتحقق فقط فى ظل العدالة وأن العدالة والقيم الروحية هما السبيل الوحيد لإيجاد النظام والسلام فى العالم. كما أن رفض نظام التسلط والتمسك بنظام دولى خال من تسلط قوى الاستكبار ورفض العدوانية والجرائم وتطاول القوى الكبرى نابع من اهتمام الحكومة التاسعة بالعدالة فى مجال السياسة الخارجية. وقد أدى هذا التوجه إلى تنامى موجة المطالبة بالعدالة والحركات المطالبة بالعدالة فى المنطقة وفى العالم. وترى الحكومة التاسعة أن المطالبة بالعدالة يجب أن تقترن بالمطالبة بالسلام وإزالة التهديد لكى تتمتع الشعوب بالسلام والاستقرار وفى الوقت نفسه تظهر قدرة إيران على تغيير التوازنات الإقليمية. ومن هنا تؤكد الحكومة الإيرانية على ضرورة التعامل السلمى لإزالة التهديد عن طريق طرح مبدأ محورية العدالة كمرحلة متقدمة على إزالة التوتر.

٨- التأكيد على الدبلوماسية القائمة على محورية الشعب

تؤكد الحكومة التاسعة على الاهتمام بالنخبة والمفكرين الإيرانيين والإسلاميين وتؤكد على التعاون مع الشعوب المطالبة بالعدالة، فبالإضافة إلى الاستعانة بجموع الجماهير فى الداخل كدعم للسياسة الخارجية تؤمن الحكومة بأن التعاون بين الشعوب يمكن أن يساعد إيران فى تحقيق أهدافها الاستقلالية والمعارضة للتسلط. وقد استلزم هذا الأمر وجود أدبيات جديدة فى العلاقات الدولية بهدف رفع مستوى التعامل مع الشعوب وتوصيل صوت إيران إلى الرأى العام العالمي. وفى هذا الإطار يمكن تقييم استغلال الإمكانيات الثقافية والإعلامية والجامعية والنخبة المحبة للثورة الإسلامية كسفراء ثقافيين ولاعبين مؤثرين لى التعاون العلمى والفنى والاقتصادى مع العالم. وتسعى الحكومة التاسعة لاستثمار الرأى العام فى المنطقة والعالم نظرا لأن الشعوب تعارض السياسة التسلطية للولايات المتحدة والنهج التوسعى للنظام الصهيوني. وبالطبع لا تعد الدبلوماسية القائمة على محورية الشعب بمثابة النزعة الشعبوية وإنما تعنى الاهتمام بالدور المتعاظم لمؤسسات المجتمع المدنى صانعة القرار فى السياسة الخارجية للدول. ويشار فى هذا المجال إلى نجاح حزب الله فى

الانتخابات البرلمانية اللبنانية والإخوان المسلمين فى الانتخابات البرلمانية المصرية ونجاح حزب الدعوة والمجلس الأعلى تحت اسم الائتلاف العراقى الموحد فى المجلس الوطنى العراقى وكذلك نجاح حماس فى الانتخابات الفلسطينية فهذه الحالات تدل على أن موجة اليقظة القومية للشعوب الإسلامية خاصة آخذة فى التعاظم مما يضاعف من أهمية تعاون إيران مع المنظمات المدنية والحركات الإسلامية فى المنطقة. ومن هنا تسعى الحكومة لتقوية الصلة مع المفكرين الدينيين وأساتذة الجامعات المسلمين فى الدول الإسلامية وتضعها ضمن أولوياتها. وفى إطار هذا النهج يأتى لقاء رئيس الجمهورية مع أساتذة الجامعات الإندونيسيين ولقاؤه مع الإيرانيين المقيمين بالولايات المتحدة. كما أن الدبلوماسية القائمة على محورية الشعب يمكن أن تعد مكملة للدبلوماسية النووية حيث جاء الاحتفال الشعبى الضخم بالإنجاز النووى المتمثل فى توصل إيران إلى إنتاج الوقود النووى تأكيدا على الثقة الإيرانية بالنفسكعنصر مهم من عناصر الحركة فى مجال التكنولوجيا النووية.

٩- الاهتمام بدبلوماسية الرسائل

يمكن اعتبار رسالة رئيس الجمهورية الإيرانى إلى جورج بوش ورسالته إلى انجيلا ميركل بمثابة توجه جديد فى السياسة الخارجية الإيرانية يمكن أن يسهم فى التأثير على الرأى العام العالمي. وإذا كان الإمام الخمينى قد أرسل رسالة من قبل إلى جورباتشوف كما أرسل رفسنجانى رسالة إلى صدام حسين من قبل إلا أن رسائل احمدى نجاد جديرة بالاهتمام خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، فهذه الرسائل تمكنت من إبراز الخطوط الحمراء للنظام وبالإضافة إلى ذلك تعد تأكيدا على العمل الفاعل من موقف القوة. وتهدف هذه الدبلوماسية إلى تغيير البيئة النفسية الدولية لصالح إيران. وهى تدل على استعداد إيران للتعامل والتحاور، كما تعمل على تلطيف الأجواء النفسية الحالية وإحباط الدعاية السلبية الغربية ضد إيران كما تعمل على زيادة الثقل الدبلوماسى لإيران فى العلاقات الدولية. ويمكن اعتبار دبلوماسية المراسلة مؤشرا على التحرك الإيجابى فى الدبلوماسية الإيرانية لأنها تظهر إيران للكافة بمواقفها الشفافة لإحباط نظرية الحرب الوقائية فى السياسة الدولية الأمريكية والنظام الصهيونى وتبين رغبة العالم الإسلامى فى قيام حكم ذاتى فى فلسطين تمكن من إظهار الإصلاح فى مواجهة الفساد فى المنطقة وفى العالم. كما أن دبلوماسية المراسلة تعد دليلا على استعداد إيران للتباحث والحوار المنطقى بشرط أن يتم الحوار فى جو هادئ. كما أن إخراج المناخ الدبلوماسى من حالة الرئيس والمرءوس والاهتمام بالجوانب السياسية و الأخلاقية والأمنية والتوجه بالصور والإنجازات الدبلوماسية الجديدة يمكن أن يتيح فرصة لكسب الوقت عن طريق المراسلة و الحوار. فقد أدت رسالة الرئيس الإيرانى إلى جورج بوش إلى تأجيل اجتماع مجلس الأمن ومطالبة المسئولين الديموقراطيين الأمريكيين مثل مادلين اولبرايت حكومة بوش بالرد على هذه الرسالة وتغيير النهج الفكرى للرأى العام الأمريكى ومطالبة كوفى أنان بالدخول فى جولة من المباحثات مع إيران بخصوص البرنامج النووى الإيرانى بل وتقديم الدول الأوروبية مقترحاتها التشجيعية لإقناع إيران بتعليق تخصيب اليورانيوم. كل ذلك يدل على أن دبلوماسية المراسلة قد فتحت أبوابا جديدة أمام المسئولين الدبلوماسيين الإيرانيين مما يمكن استغلاله استغلالا مفيدا. كما يمكن لدبلوماسية المراسلة أن تصير أسلوبا جديدا فى السياسة الإعلامية فى الشروط المتعادلة حيث تهدف إلى الاستفادة من وسائل الإعلام كمنابر للتعبير عن رسالة وأفكار الدولة فى مجال السياسة الخارجية. فالواقع أن دبلوماسية المراسلة تهدف إلى توصيل رسالتنا إلى آذان العالم بهدف تغيير فكرة الرأى العام العالمى بشأن توجهاتنا السياسية لتغيير صورة إيران المزيفة كدولة إرهابية مخلة بالسلام فى الشرق الأوسط منتهكة لحقوق الإنسان تسعى لامتلاك الأسلحة النووية لكى يدرك العالم أن إيران تريد كسب الثقة وإقرار التعاون الإيجابى الثنائى والسلام البناء القائم على الاحترام المتبادل والتعاون العادل والتفاهم.

وبطبيعة الحال يجب أن تعمل إيران إلى جانب دبلوماسية المراسلة على استغلال كافة المنابر فى وسائل الإعلام سواء المكتوبة أو المسموعة أو المرئية بالإضافة إلى الإنترنت من أجل الحصول على حقوقها. ففى قضية إعلان الاسم المزيف "للخليج"الفارسي" من جانب مؤسسة ناشيونال جيوجرافى أمطر الإيرانييون المقيمون بالخارج بوابل من رسائل الإنترنت لإحقاق الحق الإيرانى فى الإبقاء على اسم الخليج مما دفع المؤسسة المذكورة إلى التراجع والاعتذار إلى الإيرانيين. وقد ظهر من خلال هذه ا لحادثة أن وسائل الإعلام تتمتع بقوة جديرة بالاهتمام فى مجال صناعة القرار . ومن هنا فإن الجمهورية الإسلامية فى العالم المبنى على حرب البرمجيات يجب أن تبدى اهتماما خاصا بالسياسة الإعلامية لتعكس مبادئ وأفكار الثورة الإسلامية فى كافة أنحاء العالم.

إيران لن تستسلم لتعليق تخصيب اليورانيوم

■ د عباس عراقتشي ■ وكيل وزارة الخارجية للشئون الدولية
مردم سالارى (الديمقراطية) ٢٠٠٦/٨/٢٠

منذ أكثر من نصف قرن اعتبرت الحكومة البريطانية في ذلك الوقت أن رغبة الإيرانيين فى التحكم فى صناعة النفط الإيرانية تعد تهديدا للسلم والأمن الدوليين، وفى ذلك الوقت تمسكت الحكومة الإيرانية بحقها المؤكد والمشروع مستندة إلى الدعم الشعبى وتأييد علماء الدين، ورغم الضغوط الهائلة والتهديدات التي مارستها بريطانيا والقوى العالمية ضد إيران إلا أن الأخيرة نجحت فى استرداد كرامة الإيرانيين الوطنية التى كانت جريحة لسنوات طويلة من جراء الاستعمار والعدوان وذلك عن طريق تأميم صناعة النفط الإيرانية. هذه الكرامة الوطنية التي كانت تعلو قمة هرم المصالح الوطنية وتتمتع بقيمة تفوق قيمة كافة الامتيازات السياسية والاقتصادية، مازالت اليوم بعد مرور عدة عقود تدفع كل إيراني أيا كان انتماؤه السياسي للتمسك بها وتدفع كل حزب سياسي إلى العمل على المحافظة عليها.

وبعد مرور عدة عقود يعيد التاريخ نفسه، فمنذ حوالى ثلاث سنوات ومنذ بداية مباحثات إيران مع الدول الأوروبية الثلاث (بريطانيا - فرنسا- ألمانيا) حول البرنامج النووي الإيراني. ورغم أن إيران قد أعلنت أكثر من مرة وفى مواضع مختلفة وبمختلف الوسائل أن برنامجها النووى هو برنامج سلمى، ورغم أن حق إيران في الاستفادة من البرنامج النووى السلمى هو فى الأساس حق مؤكد غير قابل للنقاش والتباحث مع أى طرف، إلا أنها لإبداء حسن النية في مجال العلاقات الدولية ولإزالة الشكوك وسد الطريق على ذرائع بعض الدول سعت إلى اتخاذ استراتيجية بناءة وأبدت استعدادا كاملا للتعاون مع المؤسسات الدولية الشرعية منذ بداية المباحثات مع الدول الأوروبية الثلاث.

وخلال المباحثات واجهت إيران مطالب متعددة ومتنوعة بل وخارجة عن العرف الدولى وهى مطالب يندر أن تقبل بها أية دولة. ومع ذلك وافقت على هذه المطالب حتى تقضى على أية ذريعة للمغرضين، ففي الخطوة الأولى طالبت الدول الأوروبية الثلاث إيران بتعليق أنشطة تخصيب اليورانيوم في موقع ناتانز، وفي الخطوة التالية طالبت إيران بتعليق الأنشطة النووية بموقع أصفهان، وأخيرا طالبت إيران بتعليق كافة الأنشطة النووية حتى الدراسات العلمية في مجال التكنولوجيا النووية. وقد وافقت إيران على كل هذه المطالب بهدف إزالة كافة الشكوك حول أنشطتها النووية، وبالإضافة إلى ذلك وقعت إيران على البروتوكول الإضافى الذى يسمح لمفتشى الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالوصول إلى أى موقع داخل الأراضى الإيرانية، وقد وقعت إيران على هذا البرتوكول رغم أن هذا التوقيع لم يمر بالمراحل القانونية من تصديق مجلس الشورى الإسلامى وتأييد مجلس صيانة الدستور والمراحل الأخرى وذلك لإثبات حسن النية. وكانت النتيجة قيام الوكالة الدولية للطاقة الذرية بإجراء أكبر وأدق عملية تفتيش في التاريخ على المواقع النووية والمواقع الصناعية والاقتصادية بل والعسكرية الإيرانية. وقد قام بهذه العملية حوالى ٢٠٠٠ مفتش يوميا، وحصلت الوكالة على تصريح للقيام بـ (٥٣) عملية تفتيش تكميلية فى مواقع مختلفة فى كافة أنحاء إيران والسماح للمفتشين لبحث الاتهامات التي لا أساس لها عن طريق المعاينة غير المسبوقة لبعض المواقع العسكرية. وكل هذا يدل لأى مراقب محايد وعلى علم بالشئون الدولية على أن إيران تبدى درجة من التعاون والشفافية نادرة إن لم تكن غير مسبوقة. فى المراحل السابقة للمباحثات أكدت إيران للدول الأوروبية على أن المباحثات لا يجب أن تكون غير هادفة أو غير محدودة أو بدون خطة، وأكدت على ضرورة الاعتراف بحق إيران الشرعى فى تخصيب اليورانيوم وإنتاج الوقود النووى للأغراض السلمية.

على مدى ما يقرب من ثلاث سنوات منذ أكتوبر ٢٠٠٢ إلى أغسطس ٢٠٠٥ استمرت علاقة التعاون والشفافية من طرف واحد، وطوال هذه المدة لم يتخذ الأوروبيون أية خطوة إلى الأمام، وفى مارس ٢٠٠٥ قدمت إيران أحد مقترحاتها الأكثر جدية والذى يتضمن تركيبة متوازنة للاستمرار في برنامجها النووى من جهة وإزالة مخاوف الطرف الآخر من جهة أخرى ولكن الدول الأوروبية الثلاث لم تأبه لهذا المقترح، وبعد شهور من التهديدات الأوروبية والأمريكية استمرت هذه الدول فى صياغة مجموعة من الحوافز المتنوعة للخروج من الطريق المسدود، وفى النهاية قدمت أول

مجموعة من المقترحات إلى إيران. وكانت هذه المقترحات المشجعة عبارة عن بعض الوعود المبهمة والمصحوبة بالعديد من الاشتراطات. وقد اعتبر البعض أن في هذه الحوافز إهانة للشعب الإيراني مثل استمرار تأييد انضمام إيران لمنظمة التجارة العالمية والعمل على تحسين خدمة الإنترنت في إيران وبيع قطع غيار طائرات الركاب إلى إيران وغيرها. وفي المقابل تلتزم إيران بالتخلي عن برنامج تخصيب اليورانيوم وإنتاج الوقود النووي إلى الأبد، وكانوا وهم يرون أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق الثقة في سلمية البرنامج النووي الإيراني هي ألا يكون لإيران برنامج نووي على الإطلاق وهو نفس المنطق القديم للمعتدين الأمريكيين " أفضل الهنود الحمر هو الهندي الأحمر الميت".

مرة أخرى وجد الشعب الإيراني نفسه على مفترق طرق تاريخي، فأمامه طريق التخلي عن كرامته الوطنية ومصالحه الحيوية والاستسلام أمام المطالب غير المنطقية التي يمليها عليه الآخرون الذين يملكون أرقى أنواع التكنولوجيا النووية في مقابل الحصول على القليل من الامتيازات الاقتصادية وأمامه طريق التمسك بحقوقه ومصالحه الوطنية وتحمل التهديدات والضغوط التي تمارسها عليه القوى العالمية. وقد اختار الزعيم والبرلمان والحكومة الإيرانية المنتخبة الطريق الثاني وأيد الشعب هذا الاختيار تأييدا قاطعا بمختلف الطرق من المشاركة في المسيرات الشعبية المتعددة إلى تشكيل سلاسل بشرية حول المواقع النووية للتأكيد على تمسك الشعب الإيراني بهذا الخيار.

وقد توصلت إيران بعد ثلاث سنوات من المباحثات إلى نتيجة واحدة فقط وهي الدرس المكرر في التاريخ المعاصر الذي يتلخص في عدم الثقة في الغرب، وأن الحصول على الحقوق النووية لبلادنا لا يتأتى عن طريق المباحثات فليس أمام الشعب الإيراني سوى الاعتماد على نفسه ويجب أن يثق في قدراته الذاتية فقط. ولذلك قرر العمل على تعويض ما فاته والعودة تدريجيا إلى ما كان عليه قبل تعثر خطواته السابقة في إطار حقوقه. في البداية أعاد افتتاح مواقع أصفهان ثم نطنز وفي النهاية تمكنت إيران من إعادة تشغيل أول سلسلة لتخصيب اليورانيوم وتمكنت من تحقيق درجة تخصيب اليورانيوم اللازمة لاستغلاله كوقود لمحطات الطاقة الكهربية. وإلى هذا الحد لم تقم إيران بأي عمل يخالف التزاماتها الدولية بل إنها وفقا للمواثيق الدولية لديها الحق في المضي أكثر من هذا والبدء في تخصيب اليورانيوم على النطاق التجاري والصناعي.

تزامنا مع التقدم في المجالات الفنية وتعويض الخسائر الناجمة عن التوقف لمدة ثلاث سنوات وبعد أن اتضح أن الجزرة الأوروبية أقل قيمة من أن تقبلها إيران قررت أوروبا استخدام عصا مجلس الأمن التي كانت ترفعها من البداية لتهديد إيران، فبدأت خطوات إحالة الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن، وقد بدأ الأمر بنشاط دبلوماسي مكثف من جانب الدول الأوروبية الثلاث والولايات المتحدة لفرض ضغوط على الدول أعضاء مجلس محافظي الوكالة الدولية للطاقة الذرية وفي النهاية تمكنت من دفع مدير عام الوكالة إلى تقديم نسخة من تقريره التالي إلى مجلس الأمن وذلك في فبراير ٢٠٠٦، وكانت النتيجة أن أوقفت الحكومة كل أشكال التعاون مع الوكالة تنفيذا لقرار مجلس الشورى الإسلامي والمؤكد أن قرار مجلس الشورى يعد من أشجع القرارات في تاريخ المجلس وهو القرار الذي أنهى رحلة استمرت ثلاث سنوات من تقديم المعلومات بسخاء إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية وبالتالي إلى المنظمات الاستخباراتية الغربية.

استمرت أوروبا والولايات المتحدة في عملهم بمجلس الأمن في هدوء، وبعد صدور قرار مجلس الأمن أصدر المجلس أول قرار بشأن إيران وظهر الإجماع اللازم بين الدول الخمس الأعضاء الدائمين ومنهم الصين وروسيا ولكنهم كانوا يعرفون أن هذه العصا التي كانوا يخوفون بها إيران لمدة طويلة سوف تفقد فاعليتها بمجرد نزولها فلم تعد تهديداتهم المتتالية تؤثر ولم تعد إيران مستعدة للتنازل عن حقوقها. فاضطروا إلى اتباع سياسة جديدة وهي تقديم حزمة من المقترحات الجديدة لوضع إرادة الجمهورية الإسلامية على المحك من جديد. حيث قام خافيير سولانا مسئول السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي ممثلا للدول الخمس الأعضاء الدائمين بمجلس الأمن ومعهم ألمانيا(٥+١) في زيارته إلى طهران بتقديم حزمة الاقتراحات الجديدة إلى الدكتور لاريجاني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي. وتختلف هذه الحزمة عن المقترحات السابقة التي قدمتها الدول الأوروبية الثلاث. فهي على عكس الاقتراحات السابقة أولا تتضمن عناصر وأطر ما يسمى باتفاقية شاملة مع إيران وتترك التفاصيل إلى المباحثات التالية، وثانيا، تتسم بقدر أكبر من الوضوح مقارنة بالمقترحات السابقة رغم أنها تتضمن أطر عامة وهي أخيرًا تتمتع بتأييد عدد أكبر من الدول.

ولكن هذه المقترحات تتسم بالغموض والقصور فيما يتعلق بالقضايا المهمة محل الخلاف. فأولا بالنسبة للاعتراف بحقوق إيران؛ فرغم أنها تعترف بحق إيران في امتلاك برنامج نووي سلمي، إلا أنها تعاملت على

نحو غامض مع قضية تخصيب اليورانيوم والوقود النووى، حيث لم تصرح عمدا باعتراف مجموعة (٥+١) بحق إيران في تخصيب اليورانيوم وإنتاج الوقود النووى من عدمه وأوكلت البت في هذا إلى المباحثات التالية.

الأهم من ذلك أن هذه المقترحات لم تقتصر على عدم التصريح بقضية حصول إيران على حقوقها بل إنها تضمنت عددا من النقاط التى من شأنها تأجيل هذا الحق إلى المستقبل المجهول بل ونفيه تماما، وهذه النقاط هي:

١- من أجل بدء المباحثات مع إيران يجب تعليق برنامج تخصيب اليورانيوم وكافة الأنشطة المتعلقة به.

٢- لا يتم وقف هذا التعليق إلا بإعادة النظر فى مفاد الاتفاقيات النهائية وذلك فقط فى حالة تأكيد الوكالة الدولية للطاقة الذرية على عدم وجود أى برنامج أو مواد نووية غير معلن عنها في إيران. ثم اكتساب ثقة المجتمع الدولى بعد ذلك.

واللافت للنظر أن التوصل إلى هذه النتيجة (عدم وجود أى مواد أو أنشطة نووية غير معلن عنها) وباعتراف الوكالة نفسها هو عملية تستغرق وقتا طويلا حتى مع الالتزام بتطبيق البروتوكول الإضافى. والأكثر أهمية أن هناك ٤٥ دولة منها ١٤ دولة أوروبية بل وبعض الدول الأعضاء بمجلس الأمن لم تحصل على هذا التأكيد من الوكالة. وبعد هذا التأكيد يأتي دور كسب ثقة المجتمع الدولى. وهو مفهوم معقد يمكن ألا يتحقق إلى الأبد.

٣- تحوى المقترحات ضمانات أكيدة ظاهريا بتقديم الوقود إلى محطات الطاقة المستقبلية في إيران والهدف الحقيقي منها هو إظهار عملية إنتاج إيران للوقود بأنها غير اقتصادية وغير مجدية.

على هذا يمكن إدراك أن المضمون العام للمقترحات الجديدة هو نفس مضمون سابقتها وهو وقف برنامج إنتاج الوقود النووي في إيران وبالطبع يبدو ظاهريا زيادة السعر المعروض للحصول على هذه السلعة الثمينة من إيران.

المحافظون الجدد وفكرة الهجوم العسكرى على إيران

■ عبد الله شهبازى ■ جمهورى اسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٦/٦/٢٦

يمكن من خلال المتابعة الدقيقة للمقالات والدراسات الأجنبية التأكيد على وجود تحول جديد فى هجوم المحافظين الجدد وإعلانهم الحرب على إيران، ففى مقاله المنشور بدورية "ويكلى استاندرد" بعنوان "الآن الدور على إيران" إعتبر وليام كريستول أن إيران "دولة خطيرة" وتمتلك رصيداً من حماية ودعم الإرهابيين وأنها بصدد امتلاك أسلحة دمار شامل، وأن الولايات المتحدة تسعى بمساعدة "الحلفاء الأوروبيين" والوكالة الدولية للطاقة الذرية لحل القضية الإيرانية بالطرق السلمية. لقد أكد كريستول ضرورة تشديد ومضاعفة التأييد للمعارضين الساعين لتغيير النظام وكذلك التوسع فى الأنشطة السرية والاستخباراتية وفي النهاية القيام بخطوة عسكرية مباشرة ضد النظام معتبراً هذه هى المراحل أو الطرق الثلاث الواجب السير فيها بخصوص كيفية التعامل مع هذه الدولة.

قبل ذلك بعدة أشهر كان "توم بارى" - الباحث الأمريكى - قد توقع قيام المحافظين الجدد بإعلان الحرب على إيران ونشر مقالة فى هذا الصدد بعنوان: "هل تعد إيران الخطوة التالية؟"، وقد نشرت هذه المقالة بعد كشف فضيحة عمليات التجسس التى كان يقوم بها "لارونس فرانكلين" لمصلحة إسرائيل. وكان "فرانكلين" خبيراً فى الشئون الإيرانية ومن المقربين إلى دوجلاس فيث الشخص الثالث فى البنتاجون فى ذلك الوقت. لقد اتهمت (أف. بى. أى) "فرانكلين" بتسليم نائور جيلون رئيس الدائرة السياسية فى اللجنة الأمريكية - الإسرائيلية AIPAC وذلك فى مقر السفارة الإسرائيلية فى واشنطن وثائق خاصة بموقف حكومة بوش ضد إيران.

عقب نشر هذه المخالفات أخذ الرأى العام الأمريكى يتحرك باتجاه مضاد لهذا المنهج الذى يتبعه المحافظون الجدد وهو ما أحدث موجات معارضة ومعادية - من جانب الرأى العام - ضد القناعة التى كانت قائمة لدى بعض كبار المسئولين السابقين فى مجلس الأمن القومى الأمريكى مثل "ريتشارد كلارك" و"استون سيمون" والتى كانت تقول بالحرب المحتملة ضد إيران، حيث أخذ الرأى العام يميل إلى اعتبار أن الخطوات العسكرية ضد إيران ستكون أكثر تدميراً وإضراراً بالمصالح القومية الأمريكية أكثر بكثير من الأحداث الجارية الآن فى العراق.

حروب وشيكة

فى ٢٠٠٦/٤/١٨ نشر "سيمورهرش" المحلل "اليهودى -

الأمريكى" الشهير مقالاً مفصلاً فى دورية "نيويوركر" بعنوان "مشاريع إيران".

لقد أعلن "هرش" أن حكومة بوش قد ضاعفت من قوة ونوعية تحركاتها الدبلوماسية العلنية، وكذلك أنشطتها السرية والخفية داخل إيران وأنها باتت تمتلك مشروعات جاهزة الآن للقيام بهجوم جوي على إيران. لقد أحدثت هذه المقالة ردود فعل واسعة جداً فى وسائل الإعلام العالمية. قبل ذلك وفى يناير ٢٠٠٥ قام "هرش" بنشر مقالة مشابهة فى نفس الدورية وذلك عندما كان الرئيس جورج بوش على عتبة البدء فى توليه مهام دورته الثانية لرئاسة الجمهورية الأمريكية، لقد وضع لذلك المقال عنواناً باسم "حروب قريبة الوقوع" فى ذلك المقال أشار هرش إلى "إيران" بوصفها هدف موضع الهجوم المنتظر من جانب بوش فقال: "لقد قلتُ مراراً وتكراراً فى اللقاءات التى كانت تتم معى أن الهدف الاستراتيجى القادم بعد ذلك هو إيران". لقد تحدث بقوة وجدية كاملتين أن الولايات المتحدة بصدد الاستعداد النهائى لإتمام خطط وبرامج خاصة بالهجوم العسكرى الشامل - بمساعدة إسرائيل- ضد إيران بهدف الإطاحة بالحكومة الإيرانية الحالية. فى ٢٧ يناير ٢٠٠٦ أجرى "هرش" حواراً مع (سى. إن. إن) بعنوان: "أمريكا بصدد التخطيط للهجوم على إيران" وفى نهاية مارس من العام ٢٠٠٦ قام "سيمور هرش" بالتأكيد على تحليله السابق وذلك من خلال مقال تفصيلى آخر فى نفس الصدد.

هنا لابد لنا من القول بأن مقالات "سيمورهرش" وردود الفعل الصاخبة التى أعقبتها يجب تشخيصها فى إطار المشروع التمهيدى القائم على سياسة الخطوة خطوة لتمهيد وتجهيز الرأى العام الأمريكى والعالم للهجوم العسكرى على إيران.

إن التطلعات والأهداف الصهيونية المسيحية لجورج بوش ومؤيديه ومشجعيه من المحافظين الجدد لا تعد تطلعات وأهدافاً دينية. إن مؤسسى أيديولوجية المحافظين الجدد - مثل جون إيروينج كريستول ونورمان بادهارتز - ينتمون إلى أسر يهودية. هؤلاء كانوا مكلفين فى مراحل شبابهم بالتبليغ والترويج إلى التطرف فى الماركسية وكانوا يؤيدون بدعم مالى وإعلامى لوسائل ووكالات الإعلام والاستخبارات الأمريكية والبريطانية أثناء الحرب الباردة بهدف نشر الثقافة الغربية المعادية للاتحاد السوفيتى. هذا هو الإطار الذى ولدت من داخله أيديولوجية المحافظين الجدد.

الواقع أن المحافظين الجدد يتمتعون بأقل مستوى من الالتزام الدينى كما أنه لا تربطهم بفكرة ظهور السيد المسيح أية صلة. المؤكد أيضاً أنهم يسعون من خلال الاستفادة بالمعتقدات الأهداف والطموحات الصهيونية المسيحية من أجل تحقيق أهدافهم المجنونة.

إن ما يتحدث به "سيمورهرش" بشأن التطلعات والمهام الدينية والمعتقدات المسيحية لجورج بوش إنما يدخل فى إطار الأوهام التى يسعى من ورائها إلى خداع عقول البسطاء من الأمريكيين، فالعكس هو الصحيح حيث تبدو التطورات والتغييرات التى نادت بها حكومة بوش تتصف فى جوهرها بالمادية المطلقة.

ونقول بعبارة أكثر بساطة: إن الحديث عن رأس المال يعنى الحديث عن تلك القوى المحركة التى كانت الأساس الذى تحرك فى إطاره الاستعمار الغربى والذى كان بمثابة المؤسس النظرى أو التنظيرى لانتشار هذا الاستعمار. فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى وبينما كان العالم على عتبة التحركات الاستعمارية فيما وراء البحار الإنجليزية كتب "توماس مور" المفكر والمصلح الإنجليزى المشهور آنذاك: فى كل مكان أستطيع أن أتصور أو أتخيل وجود مؤامرة لأصحاب الثروة الذين هم دائماً يتحركون باسم وتحت راية "الحكومة والمجتمع" من أجل البحث عن سبل ضمان مصالحهم".

وفى عام ١٢٨١ هـ. ش/ ١٩٠٢م كتب "هابسون" فى كتابه المشهور "الإمبريالية": على الرغم من أن الإمبريالية الجديدة تعد عملاً ومكسباً سيئاً للأمة إلا أنها تعد عملاً ومكسباً طيباً للطبقات والمعاملات التجارية داخل الأمة. إن صرف نفقات كبيرة فى التسلح، الحروب غالية القيمة أو عالية الثمن، السياسات الخارجية الملوءة بالمخاطر والصعاب، وتوقف الإصلاحات السياسية والاجتماعية داخل بريطانيا وغيرها، على الرغم من أنها تلحق بالأمة صدمات كبيرة فإنها تخدم وبقوة مصالح أصحاب الصناعات وبعض الوظائف المعينة.

الواقع أن تحليل "هابسون" يعد صادقا إلى حد كبير للغاية، ففى الشهور الأولى لولاية جورج بوش كتبت صحيفة "الجارديان": تقول "إن جورج بوش لا ولن يخفى مهمته الأصلية من وراء رئاسته للجمهورية. وهذه المهمة عبارة عن تقديم المكافأة للشركات التى ساعدته فى الوصول إلى السلطة .. ان السيد بوش من أجل إنجاز هذا الأمر يحتاج - تحت مسمى الأمن القومى- الى إحياء الخصومات وسوء الظن من أجل إنعاش الصناعات العسكرية ولهذا السبب فإن الولايات المتحدة تبحث عن "ذريعة" فى كل أنحاء العالم.

إن شعوذة الحادى عشر من سبتمبر جعلت أشخاصاً مثل جورج بوش، كوندوليزا رايس، بول ولفوويتز، ويليام كريستول، دانيال بايبز فى حقيقة الأمر بمثابة "مطارق" ومقامرين فى الأجهزة والمؤسسات الأمريكية، حيث يعتبرون أن مهمتهم الأولى هى المحافظة على إشعال "الحرب مع الإرهاب" من أجل نهب الثروة القومية للأمريكيين ولسائر أنحاء العالم وذلك بواسطة "القادة الذهبيين" الذين يتولون قيادة "المجتمع العسكرى - الصناعى" والذين صاروا على قمة مؤسسات السلطة مثل "كلوب بيلدربرج" ويعمدون دوماً

لاستمرار وبقاء ذلك الوضع والمؤكد أنهم قد حصلوا على حصة تتناسب وأهميتهم مقابل أداء مهمتهم ودورهم على الوجه الأكمل.

الواضح الآن أن الرأى العام داخل الولايات المتحدة لم يعد ينطلى عليه الآن مقولة المحافظة على الوجود العسكرى الأمريكى فى العراق وتوجيهات حكومة جورج بوش بشأن استمرار هذا الوجود المكلف الذى يفرض شهرياً ما بين (٥) إلى (٦) مليارات دولار على دافعى الضرائب الأمريكيين. إن انتشار هذه الموجة صار سبباً لأن يخرج إلينا "نورمان بادهارتز" الأب المعنوى للمحافظين الجدد لكى يشكو قائلاً: "نحن الآن نشاهد أن أفضل الجنود وأبرز محبى الوطن الذين كانوا يؤيدون الهجوم على العراق ويتبعون نظرية بوش، نشاهدهم وهم يتخلون اليوم عن مواقفهم، كما نشاهد الآن أيضاً أن المعارضين للحرب فى الخفاء باتوا يجهرون الآن بتلك المعارضة يوماً بعد يوم بل الأخطر من ذلك أن عدد هؤلاء يزداد كل يوم".

مما لا شك فيه أن "شعوذة وخرافة الحادى عشر من سبتمبر" قد فقدت الآن جاذبيتها فيما يخص خداع الرأى العام.

لقد أدت هذه "الاستراتيجية المعروفة بالحرب على الإرهاب إلى رفع الميزانية الرسمية للبنتاجون – التى يجب أن تكون قد انخفضت بشدة بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وانتهاء الحرب الباردة فى نوفمبر ١٩٩٠ – من (٣١٠) مليارات دولار فى عام ٢٠٠٠، السنة الأولى لحكم بوش – إلى (٩١٤) ملياراً فى عام ٢٠٠٥ وهو ما يعادل ١٦٪ من إجمالى الميزانية الأمريكية التى يبلغ حجمها ٥٧,٢ تريليون دولار.

من هنا فإنه عند سقوط الاتحاد السوفيتى القوة الوحيدة التى كانت منافسة فعلياً للولايات المتحدة صارت الولايات المتحدة الأمريكية بلا منازع. ومن ثم فإن أى عقل سليم لم يكن يعتبر أن الاستثمارات الحكومية الضخمة فى الصناعات العسكرية غير موجهة. لقد تضاعفت ميزانية البنتاجون فى ذروة الحرب الباردة. أن سنوات حكم "رونالد ريجان" الذى ورثه جورج بوش الأب والإبن وبينهما كلينتون، كانت تعد أعلى سنوات الحرب الباردة. آنذاك أوصل "ريجان" ميزانية البنتاجون إلى أعلى حد لها من خلال طرحه مشروع "حرب النجوم".

فى نهاية حكم ريجان – وتحديداً فى العام الأخير من حكمه – كانت ميزانية البنتاجون ٤٢٩ مليار دولار وهى لا تختلف كثيراً عن ميزانية عام ١٣٨٥ هـ ش/ ٢٠٠٥ لحكومة بوش (٤١٩) مليار دولار.

لكن الواقع يقول إن ميزانية الـ ٤١٩ مليار دولار التى تم إنفاقها فى عام ٢٠٠٥ لم تكن وحدها الميزانية التى فرضتها "شعوذة الحادى عشر من سبتمبر" ومشروع "الحرب على الإرهاب" على المجتمع الأمريكى، فهذا الرقم يمثل الميزانية العسكرية الواضحة فى هذا الأمر، أما الجزء الأهم فى هذه الميزانية فهو موجود داخل الميزانية الخاصة بحكومة بوش فى سائر الوزارات المختلفة. على سبيل المثال تشاهد الميزانية الخاصة بتمية وتقوية الأسلحة النووية لبوش فى الميزانية الخاصة بوزارة الطاقة، كما توجد النفقات الخاصة بالقوات العسكرية الأمريكية فى العراق وأفغانستان والبالغ مقدارها ١٠٠ مليار دولار ضمن ميزانية وزارة الخارجية. أيضاً يعد جزء مهم من الميزانية الخاصة بالوزارة الجديدة الخاصة بالأمن القومى عنصراً يجب إضافته للأرقام السابق ذكرها.

يعتقد "روبرت هيجز" أن إجمالى الميزانية العسكرية المعلنة والسرية فى حكومة بوش والخاصة عام ٢٠٠٥ حوالى (٨٤٠) مليار دولار وهى تمثل ما يقرب من ثلث إجمالى الميزانية الأمريكية فى ذلك العام.

إن هذا الرقم الفلكى (٨٤٠) مليار دولار يكشف عن أبعاد غير مسبوقة لهجمة لصوصية وحملة نهب للمجتمع الأمريكى بواسطة "المجتمع العسكرى – التسليحى"، وهو رقم يفوق بكثير جداً عما كان قد وصل إليه أثناء الحرب الباردة وسيطرة "الريجانية" على الحكومة فى المقابل قامت حكومة جورج بوش، فى فترة توليها أمور الدولة، بعمل تخفيض فى الميزانيات الخاصة بالتعليم، الصحة، الرفاهية والضمان الاجتماعى بلغ عشرات المليارات من الدولارات بما ألحق الأضرار بالشعب الأمريكى الفقير وأوصلوا القروض الخاصة بالحكومة الأمريكية من ٨,٥ تريليون دولار فى عام ٢٠٠٠ إلى ٨,٦ تريليون دولار فى عام ٢٠٠٥.

وقد أدركت النخب الأمريكية الآن أن مشروع "الحرب مع الإرهاب" هو بمثابة الباب السحرى للعسكريين وأن الوجود العسكرى الأمريكى فى العراق وأفغانستان لم يعد موجهاً. ووفقاً لقول "ران بول" النائب الجمهورى فى تكساس فإن ٧٢٪ من العسكريين الأمريكيين فى العراق يريدون الخروج من هذا البلد وأن يعودوا إلى وطنهم.

لقد أعلن "رومانو برودى" أنه مع نهاية عام ٢٠٠٦ وأوائل عام ٢٠٠٧ سوف تخرج القوات الإيطالية من العراق وبدوره بات "تونى بلير" – حليف بوش الرئيسى – مجبراً لإخراج قواته من العراق أيضاً. من هنا فإنه إذا ما افترضنا استمرار الأوضاع الراهنة حتى نهاية عام ٢٠٠٧ فسنكون بصدد خروج جميع القوات العسكرية الأمريكية وحلفائها من العراق ومن ثم فإن مشروع "الحرب مع الإرهاب" وما يتبعه من ميزانيات وتحالفات عسكرية ضخمة سوف تتجه نحو الأفول والتلاشى. وهنا يجب فتح الطريق لجبهة جديدة، وهذه الجبهة الجديدة هى إيران.

الواقع أن شواهد الأمور تؤكد قيام عدد من الأفراد والأشخاص المتخصصين فى مختلف المجالات هم

مشغولون الآن بالتمهيد والإعداد لهذا الأمر وهذا هو ما يقول به كتاب مثل "وليام كريستول" و"دانيال بايبز" وهذا هو ما يمهدون الطريق من أجله.

هنا لابد من الانتباه إلى حقيقة مفادها أنه مع الانخفاض الشديد لمصداقية حكومة بوش فى المجتمع الأمريكى والمعارضات الشديدة التى تلقاها هذه الحكومة فى الكونجرس وكذلك الصعاب الناتجة عن عدم توافق أو موافقة الحلفاء الأمريكيين عما تريده الولايات المتحدة فإن المحافظين الجديد يريدون أن يبدأوا هجومهم العسكرى على إيران بشكل غير رسمى وأن يضعوا الشعب والكونجرس الأمريكى أمام عمل قد تم بالفعل "أى سياسة الأمر الواقع".

بعبارة أخرى يجب أن تبدو إيران بوصفها "البادئ" فى حرب عسكرية ضد المصالح الأمريكية وبالتوازى مع هذا يجب إثارة الرأى العام ضد إيران بشكل كبير للغاية، وهذا الأمر يحتاج إلى حادثة مختلفة مشكوك فى أمرها شبيهة بشعوذة الحادى عشر من سبتمبر على النحو الذى يمكن المحافظين الجدد من تحقيق هذا الهدف. ربما يكون ذلك عبر اشتعال النيران فى سفينة أمريكية فى الخليج (الفارسى) ويتم إلصاق هذا الأمر بإيران. ربما يتم ذلك عبر "قنبلة" تنفجر فى نيويورك أو لندن أو باريس تحصد مئات الأشخاص أو حتى فى أى مكان آخر وأيضاً يتم إلصاق هذه التهمة بإيران. وربما يتم ذلك عبر اغتيال مسئول أمريكى أو أوروبى رفيع المستوى ويتم اتهام الإرهابيين الإيرانيين بذلك. وربما يتم التعرض للسفارة الأمريكية فى العراق من خلال هجوم دموى عنيف بما يؤدى إلى قتل مئات العسكريين والصحفيين والدبلوماسيين الأمريكيين والأوروبيين فى العراق وعشرات الاحتمالات الأخرى.

وبهذا الشكل سيبدأ الهجوم العسكرى بسرعة عند ذاك سوف تذهب الرؤى المختلفة للخبراء أدراج الرياح وسوف يتحرك الكونجرس لاتخاذ ما هو مطلوب لإنجاز المهمة وسوف تبدأ إمبراطورية الدعاية فى إثارة الرأى العام للأمريكيين البسطاء ضد إيران.

فى الوقت الذى تحدث فيه جورج بوش مؤكداً ضرورة "الحل الدبلوماسى والسلمى" للقضية الإيرانية وهو ما حدث فى الجمعة ٨ أرديبهشت ١٣٨٥ هـ.ش/ ٢٨ أبريل ٢٠٠٦ فإن ذلك الأمر كان بمثابة الحدث الأخطر خاصة أنه قد أعقب ذلك الحديث عن "التأييد العسكرى للديمقراطية الجديدة فى إيران" نظراً للمخالفة والمعارضة الواسعة للشعب والخبراء وبعض كبار المسئولين السابقين فى الولايات المتحدة لمشروع الهجوم على إيران فإن حكومة بوش تريد أن تلقى بمسئولية بدء حملتها العسكرية على عاتق إيران، وبناءً على هذا من المحتمل القيام بعمل إرهابى خطير من جانب الشبكات السرية المدسوسة التى تمارس الدعاية باسم إيران ومن ثم ستصبح إيران ذاتها هى المسبب الرئيسى للهجوم العسكرى الأمريكى ضدها. إن هذا الاحتمال صار يلقى اهتماماً جدياً أكثر من ذى قبل.

إن توازى بدء الحملة الإعلامية مع العمليات الاستخباراتية يعنى أن الطريق إلى تشويه إيران قد بدأ. إن جزءاً مهماً من هذه العمليات يتم خارج إيران. فى هذا الصدد يقيم الكثير من الخبراء أن الصخب الذى صاحب نشر الصورة الكاريكاتورية المسيئة للنبى (ص) يعد بمثابة البدء فى تنفيذ المؤامرة الخاصة التى وضعها المحافظون الجدد لتهيئة المناخ اللازم للهجوم على إيران من جهة وجذب الأوروبيين لدخول هذه الحرب من جهة أخرى.

لقد كتب "كريستوفر بالين" الصحفى المشهور فى أوساط المحافظين الأمريكيين يقول: "إن فضيحة الصور الكاريكاتورية ضد الإسلام هى جزء من مشروع "صدام الحضارات" الذى يعمد المحافظون الجدد إلى تنفيذه كاملاً. إن هدف هؤلاء هو إيجاد تعارض مختلف بين إصطلاح "الغرب المسيحى" مع الحكومات والشعوب الإسلامية.

لقد كشف "بالين" أن "فلمينج راس" المستشار الثقافى للنشرة الدانماركية التى نشرت الصور الكاريكاتورية المهينة للرسول الأكرم والمسلمين، هو صديق ومعاون شخصى لـ "دانيال" ومن ثم فهو صديق للمحافظين الجدد.

كذلك أعلن "وبستر تاربيلى" صراحة - مؤلف كتاب "حياة جورج بوش" الذى أثار ضجة كبيرة - قائلاً أن الهدف من نشر هذه الصور الكاريكاتورية المهينة ضد نبى الإسلام هو "جذب أوروبا إلى جانب حرب بوش ضد إيران" وفى هذا يقول: إن المستشار الثقافى للجريدة الدانماركية "بيلاندزبستت" والذى أصدر أمر نشر الصور الكاريكاتورية المسيئة هو "فلمينج راس". يتمتع "راس" بروابط واسعة مع "دانيال بايبز" الذى يعد واحداً من المحافظين الجدد الذى يحظى بإدارة مؤسسة، وهذه المؤسسة تعمل وفقاً لمنهج "الرمح" بعد أن تم اصطيادها بمصيدة المنكرين الآخرين ويتمحور عملها فى التعريف بأساتذة الجامعات الأمريكية الذين ينتقدون إسرائيل ويميلون إلى الفلسطينيين ويتعاطفون معهم.

كان بوش يريد أن يضع "بايبز" على رأس المعهد الأمريكى للسلام الذى يُعد مؤسسة حكومية تابعة لوزارة الخارجية الأمريكية، ولكن "بايبز" - وبسبب رؤاه المتطرفة - لم يُبد اعتبار للأمر انطلاقاً من أنه لن يستطيع التصدى لمسئوليات وأعباء هذا المنصب ومن ثم لن يصبح موضع تأييد من جانب مجلس الشيوخ. لهذا فإن بوش قام فى صيف ٢٠٠٣ بتعيينه فى هذا المنصب بشكل مؤقت دون الاكتراث بضرورة الحصول على موافقة مجلس الشيوخ.

شهور السنة الإيرانية ودلالاتها وأثرها فى الشعر الفارسى

■ أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

السنة الإيرانية سنة شمسية تحتوي على إثنى عشر شهراً ، كل منها يشتمل على ثلاثين يوماً ، ثم يضاف إلى نهايتها خمسة أيام هى أيام النسئ التى تسمى فى الفارسية "خمسه مسترقه" أو "پنجه دزديده" . وقد عمدوا فى العصور الأخيرة إلى توزيع الأيام الخمسة المسترقة على سائر الشهور ؛ فجعلوا كل شهر من الأشهر الستة الأولى من السنة يشتمل على واحد وثلاثين يوماً ، ثم جعلوا الأشهر الخمسة التالية يشتمل كل منها على ثلاثين يوماً ، فإذا وصلوا إلى الشهر الأخير جعلوه تسعة وعشرين يوماً إذا كانت بسيطة ، وثلاثين يوماً إذا كانت كبيسة .

وتقع سنة كبيسة (سال كبيسه) كل أربع سنوات كما يحدث فى التقويم الميلادى . وتبدأ السنة فى يوم عيد النوروز الذى يوافق الإعتدال الربيعى ، أى يوم ٢١ مارس من كل عام . وهذا التقويم هو ما يعرف بالتقويم الجلالى نسبة إلى جلال الدين ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى الذى إتخذه فى سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩م) ، والفرق بينه وبين التقويم الفارسى القديم المعروف بتقويم يزدجرد أن أيام النسئ فى التقويم الأخير تلحق بشهر "آبان" .

أما أشهر السنة الفارسية فهى على النحو التالى :

١- فروردين : (٣١ يوماً) وأول يوم منه هو عيد النوروز ، ويقابل يوم ٢١ مارس من السنة الميلادية ، ويقابل هذا الشهر مارس وأبريل . ٢- أردى بهشت : (٣١ يوما) ويقابل فى الشهور الإفرنجية إبريل ومايو ٣- خرداد : (٣١ يوما) ويقابل فى الشهور الإفرنجية مايو ويونيو ٤- تير : (٣١ يوما) ويقابل فى الشهور الإفرنجية يوليو ويونيو ٥- مرداد : (٣١ يوماً) ويقابل فى الشهور الإفرنجية يوليو وأغسطس ٦- شهريور : (٣١ يوماً) ويقابل فى الشهور الإفرنجية أغسطس وسبتمبر ٧- مهر : (٣٠ يوماً) ويقابل فى الشهور الإفرنجية سبتمبر وأكتوبر ٨- آبان (٣٠ يوماً) ويقابل فى الشهور الإفرنجية أكتوبر ونوفمبر ٩- آذر (٣٠ يوماً) ويقابل فى الشهور الإفرنجية نوفمبر وديسمبر ١٠- دِىْ (٣٠ يوماً) ويقابل فى الشهور الإفرنجية ديسمبر ويناير ١١- بَهْمَن (٣٠ يوماً) ويقابل فى الشهور الإفرنجية يناير وفبراير ١٢- إسفندارمذ أو إسفند (٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً) بإعتبار السنة إذا كانت بسيطة أو كبيسة ، ويقابل فى الشهور الإفرنجية فبراير ومارس .

وما زال الإيرانيون يستعملون إلى جانب تقويمهم الشمسى التقويم العربى القمرى بأشهره المعروفة (المحرم ، صفر ، ربيع الأول ... إلخ) . والمعروف أنه عندما دخل الإسلام بلاد فارس إستعمل أهلها التقويم العربى ، فصارت السنة العربية هى السنة المستعملة فى سائر الأغراض الرسمية والأدبية ، ولكنهم لم ينسوا سنتهم الفارسية القديمة ، وكانوا يشيرون إليها من وقت لآخر فى كتاباتهم أو أشعارهم ، كما إحتفظت البقية الباقية من أتباع زرادشت بالتقويم الإيرانى القديم ؛ فظل مستعملاً فى دائرة محدودة ، وكان يقوى مع قوة الروح الوطنية ؛ فيجعلونه التقويم الرسمى للدولة .

وتشير كتب التاريخ إلى تقويمين آخرين هما التقويم السريانى والتقويم التركى المغولى ، والأول هو المستخدم حتى الآن فى كثير من الدول العربية (كانون أول ، كانون ثانى ، شباط ، آذار ، نيسان ، آيار ، حزيران ، تموز ، آب ، أيلول ، تشرين أول ، تشرين ثانى) ، أما التقويم الثانى فنجده مستعملا بكثرة فى كتب التاريخ خاصة فيما يتعلق منها بتاريخ المغول ، وهذا التقويم يشتمل على دورة مكونة من إثنتى عشرة سنة ، كل منها تسمى بإسم حيوان من الحيوانات . وهذه المجموعة من السنوات يسمونها فى لغة الأويغور (التركية الشرقية) "مُچال" ويسمونها فى الفارسية "دوازده سال تركى" . والسنة التركية شمسية ، تبدأ فى يوم ٢١ مارس مع الإعتدال الربيعى .

وفى ١١ فروردين عام ١٣٠٤ هجرية شمسية (١٩٢٥م) صدر قانون يقر هذا التقويم الجديد فى إيران ؛ بحيث يحسب التاريخ من أول الهجرة حتى الآن

بالسنوات الشمسية ، وأن يقوم الحساب على أساس السنة الشمسية الحقيقية والكاملة ، وتستعمل بجانبها أيضاً السنة والشهور القمرية ، وتم إحياء الشهور الإيرانية القديمة مع قليل من التغيير .

والمعروف أن الأشهر الزرادشتية (نسبة إلى زرادشت) كانت ثلاثين يوماً ويحمل كل منها إسم أحد الآلهة . وكانت السنة الزرادشتية تتكون من إثنى عشر شهراً ، ويحمل كل شهر إسم إله من الآلهة الرئيسيين ، ويتكون كل شهر من ثلاثين يوماً ، وكل يوم يحمل إسم إله من الآلهة الزرادشتية ، أما الأيام السبعة الأولى فتحمل إسم أهورا مزدا والستة "أمهر سپندات" (الآلهة المساعدة) . ويضاف إلى هذه الأيام الثلاثمائة والستين خمسة أيام إضافية أو مسترقة توضع فى نهاية الشهر الأخير من السنة وتحمل إسم الكاتات (جمع كاتا) الخمسة.

والرأى السائد عند العلماء هو أن تقسيم الشهر إلى أسابيع لم يكن معروفاً عند الفرس القدماء ، غير أنه ظهر بعد ذلك فى التقويم الساسانى . ولكى تكون السنة الزرادشتية مطابقة للسنة النجومية كانوا يضيفون شهراً فى كل مائة وعشرين سنة ، وحينئذ كانت الأيام الخمسة المسترقة تضاف عقب هذا الشهر . ويظهر أن السنة كانت تبدأ بشهر "مهر" فى العصر السابق على الساسانيين ، وكان المهرجان أو عيد الخريف هو أول أيامها . ولكن هناك دلالات من التقويم تفيد أنه عندما إتخذ أول الربيع مبدأ للسنة فيما بعد صارت السنة المصطلح عليها تبدأ بشهر داد (شهر اوهرمزد) . وقد أصبح جلياً من الأبحاث أنه وُجد فى أيام الساسانيين نوعان من التقويم ، الأول دينى ، وقد روعى فيه أن يكون بدء السنة قريباً من إبتداء الربيع ، والثانى مدنى ، وهذا التقويم لا يكبس بل إنه إستبدل الأيام الخمسة المسترقة بشهر كامل ؛ فصار اليوم الأول من السنة لا يقع فى الوقت نفسه إلا بعد ١٤٤٠ سنة (١٢ × ١٢٠) ، وقد حدد يوم إرتقاء الملوك الساسانيين وفقاً لهذا التقويم . وكما أن للشهور الإفرنجية والعربية معان ودلالات ، فكذلك الحال بالنسبة للشهور الإيرانية ؛ فنحن نجد مثلاً أن بعض الشهور الإفرنجية قد سُميت بأسماء آلهة كما هو الحال بالنسبة لشهر آذار (مارس) الذى يعنى إله الحرب فى الأساطير الرومانية ، وآيار (مايو) الذى يعنى ألهة العطاء والزيادة . كما أن شهرى جمادى فى العربية قد سميا بهذا الإسم لجمود الماء فيهما ، وشعبان لتشعب القبائل فيه ، وشهر رمضان للحجارة ترمض فيه من شدة الحر .. إلخ (أنظر البيرونى ص ٦٠ وص ٣٢٥) .

وسوف نتناول فى هذا البحث كل شهر من الشهور الإيرانية ، ونلقى الضوء على دلالته ومعناه ثم إستخدامه فى الشعر الفارسى .

١- فروردين : هو إسم الشهر الأول من السنة الشمسية الإيرانية وبداية الربيع (٣١ يوماً من ٢١ مارس إلى ٢٠ إبريل) ، وذلك عندما تكون الشمس فى برج الحمل ، وهو البرج الأول من البروج الإثنى عشر فى الفلك ، وفى تلك الأيام تهب رياح الدبور أو رياح الغرب . وفروردين فى اللغة البهلوية هو فرفرتن FAR-VARTIN، وهى كلمة مأخوذة من الفارسية القديمة فرفرتينام FRAVARTINAM، وهى على ما يبدو جمع مؤنث لكلمة فرفرتى FRAVARTIفى حالة الإضافة ، وجمعها بمعنى الآلهة المطهرين ، ومن ثم فإن اللاحقة "ين" ليست علامة نسبة كما يقول دهخدا .

وفروردين أيضاً إسم ملاك من خزنة الجنة ، ويختص بتدبير الأمور والمصالح التى تقع فى هذا الشهر ، وفى يوم فروردين ، وهو اليوم التاسع عشر من هذا الشهر ، كان الفرس يحتفلون ويعيّدون بناء على القاعدة السائدة عندهم وهى أنه من الواجب الإحتفال بكل يوم يحمل نفس إسم الشهر الذى يقع فيه ، ومن الأمور الطيبة فى هذا اليوم فى إعتقادهم إرتداء الملابس الجديدة وزيارة قطعان الماشية والخيول . يقول الشاعر العنصرى (متوفى ٤٣١ هـ) :

لقد إكتست الدنيا بالعظمة والجمال بسبب شهر فروردين ،

وصارت بلاد الدنيا جميعها كالفردوس الأعلى .

ويقول سعدى الشيرازى (متوفى ٦٩٤ هـ) واصفاً هذا الشهر وما يحدث فيه :

لقد حان الوقت كى يخرج الناس إلى الخلاء ،

خاصة الآن وقد أقبل الربيع وحل شهر فروردين .

ويقول مسعود سعد سلمان (متوفى ٥١٥ هـ) :

إنه شهر فروردين ويوم فروردين ، حيث يوحى ذلك بالفرح والسرور .

وفروردين إسم قسم من كتاب زرادشت الدينى المسمى بالأفستا (اوستا) ، ويسمى "فروردين يشت" .

٢- اردى بهشت : هو إسم الشهر الثانى من السنة الشمسية الإيرانية (٣١ يوماً من ٢١ إبريل إلى ٢١ مايو) وتكون الشمس فيه فى برج الثور ، وينطق بفتح الألف أو بضمها وكسر الباء والهاء ، وهو فى الأفستا "آشته وهيشته" ، وفى البهلوية "آرت وهيشت" ، والكلمة مركبة من جزءين : الأول "ارته" بمعنى الصدق والطهارة والقدسية . والثانى "وهيشته" وهو صفة عالية من "وه" بمعنى طيب وحسن . والكلمة المركبة جميعها تعنى : أفضل صدق (بهترين راستى) . ويقول مؤلف "برهان قاطع" : المعنى التركيبى لهذه الكلمة هو مثل الجنة

(ماندبهشت) ، لأن كلمة "ارد" جاءت بمعنى شبيه أو مثل ، ولما كان هذا الشهر فى وسط فصل الربيع حيث تكون النباتات فى أحسن نضرة لها والزهور والرياحين متفتحة تماماً ويكون الجو فى غاية الإعتدال ، لذلك سمى اردیبهشت . ويقول البيرونى: معنى هذا الإسم الصدق خير وقيل بل هو منتهى الخير . ويذكر الدكتور معين فى حواشيه على "برهان قاطع" أن "اردیبهشتكان" عيد يحتفل فيه الإيرانيون القدماء فى يوم اردیبهشت وهو الثالث من شهر اردیبهشت .

واردیبهشت أيضاً هو إسم أحد الآلهة المساعدين أو القوى الخالدة فى ديانة الإيرانيين القدماء ، وهو يمثل الطهر والقدسية والقانون الإلهى لأهورامزدا ، وتكون حراسة النار بعهدته ، وكذلك أوكل إليه حراسة الشهر الثانى من كل سنة واليوم الثالث من كل شهر . ويعد الإله "سروش" والإله "بهرام" من مساعدى أردى بهشت ، ويعتبر "إيندرا" شيطاناً مخادعاً ومضللاً وهو عدو اردى بهشت اللدود . وفى الكتب الدينية الزرادشتية يذكر اردیبهشت على أنه فى المرتبة الأولى بين الآلهة (امشاسبندان) ، غير أنه يرد فى أجزاء أخرى من الأفستا فى مرتبة بعد "بهمن".

ويقول صاحب "برهان قاطع" : إنه إسم ملاك يحافظ على الجبال ويدبر شئون شهر ارد يبهشت ، ومن الأمور الطيبة فى هذا اليوم المبارك الذهاب إلى معبد النار وطلب الحاجة من الملوك ، والذهاب إلى الحرب والقتال . ويقول البيرونى : اردیبهشت هو ملك النار والنور وهما يناسبانه ، وقد وكله الله بذلك وبإزالة العلل والأمراض بالأدوية والأغذية وبإظهار الصدق من الكذب والمحق من المبطل بالأيمان . ويقول الشاعر الفردوسى (متوفى ٤١٦ هـ) عن هذا الشهر فى مديح له :

فليكن اردیبهشت المقبول والملائم ،

حارسا لك هو والمريخ وعطارد على مدى السنين .

ويقول سعدى الشيرازى :

فى أول شهر اردیبهشت فى التقويم الجلالى ،

يكون البلبل مغرداً ومطرباً فوق منابر أغصان الشجر .

وتتساقط فوق الزهور الحمراء لآلئ من قطرات الندى ،

كما تتساقط حبات العرق فوق وجنة المحبوبة الغاضبة .

ويقول أيضاً مادحاً :

ليدم عمرك ألف عام جلالى ،

ولتكن شهورها جميعاً اردیبهشت وفروردين .

٣- خرداد : هو إسم الشهر الثالث من السنة الشمسية ، وإسم اليوم السادس من كل شهر شمسى ، وهذا الشهر هو آخر الربيع ، وتكون فيه الشمس فى برج الجوزاء .

يقول الشاعر الفرخى (متوفى ٤٢٩ هـ) :

ليكن شهر خرداد مباركاً وسعيداً لك ،

وليكن الثناء والإستحسان لشهر خرداد .

ويقول ناصر خسرو (متوفى ٤٨١ هـ) :

هذا الطمع أمر محال ، هيهات هيهات أن ترى شخصاً أنصفه شهر خرداد ؛

فمن أجل أن يوقع بك فى شباكه كالطيور ؛ فإن خرداد يعطيك طعام الكفاف .

وهناك تعبير فارسى يستخدمه أهل اللغة الفارسية وهو "كارخانه خرداد" (مصنع خرداد) كناية عن مكان إزدهار النباتات وأوانه . وعندما يتوافق إسم اليوم مع إسم الشهر يحتفل الفرس ويعيدون ويسمون هذا العيد بإسم "خردادكان" ، وفى هذا اليوم يستحسن طلب الحاجات من الملائكة . وجاء فى منظومة "ويس ورامين" لفخر الدين أسعد الجرجانى (متوفى ٤٦٦ هـ) :

فى شهر اردیبهشت وفى يوم خرداد تكون الدنيا مثل كرخ بغداد من العمران والجلال .

وخرداد هو إسم الملاك الموكل بالمياه والأشجار والشئون والمصالح التى تكون فى شهر خرداد، وهو إله جهنم ومالك الجحيم . يقول الفردوسى فى هذا الصدد :

عندما عاد زردشت من هناك ، قابله خرداد فى نفس المكان ،

فقال لزردشت يا طاهر الروح ، لقد أوكلت إليك أمر المياه الجارية .

ويقول أمير معزى (متوفى ٥٢٠ هـ) :

إن الحديد والفولاذ ليس لهما صلابة عزمك ،

وإن نيران خرداد غير حارقة إذا قيست بغضبك .

ويقول البيرونى فى الآثار الباقية (ص ٢٢٠) : "معنى هذا الإسم (خرداد) ثبات الخلق" . وهو إسم إله من آلهة الديانة الزرادشتية ، وحارس الشهر الثالث فى السنة واليوم السادس من الشهر الشمسى . ويذكر فى الأفستا والكتب الدينية البهلوية خرداد وامرداد مع بعضهما فى الغالب . ويقول البيرونى أيضاً : "هروذا (خرداد) هو الملك الموكل بتربية الخلق والأشجار والنباتات وإزالة النجاسات عن المياه" .

٤- تيرماه : هو إسم الشهر الرابع من السنة الشمسية (٣٠ يوماً من ٢٢ يونيو إلى ٢٢ يوليو) ، وتكون فيه الشمس فى برج السرطان ، وهو أول شهر من شهور فصل الصيف . يقول الدقيقى عنه (متوفى ٣٦٥ هـ) :

دائماً يأتى الربيع وشهر تير ، فتكون الدنيا شابة تارة وعجوزاً تارة أخرى .

ويقول ناصر خسرو :

إلى متى تشتكى من أن عملى ليس جيداً ،

وأن ربيعى جاء أكثر قتامة وظلمة من شهر تير .

و"تير" إسم ملاك موكل بالدواب وتدبير شئون يوم "تيرماه" ، وهو فى الأفستا "تيشتريه "TISHTRYA وفى البهلوية "تيشتر "TISHTAR ، ويطلق أيضاً على نجم الشعرى اليمانى وعلى أحد الآلهة ، والملاك المذكور هو أيضاً حارس المطر ، وبسعيه تستفيد الأرض الطاهرة من المطر وترتوى المزارع ، ويقال أنه كلما ظهر نجم "تيشتر" فى السماء ولمع فإن هذا يبشر بسقوط المطر . ويوجد فى الأفستا قطعة "تيريشت" وهى فى دعاء ملاك المطر . ولا ينبغى الخلط بين هذه الكلمة وكلمة "تير" التى تعنى السهم فى اللغة العربية ، ويطلق إسم تير أيضاً على اليوم الثالث عشر من كل شهر شمسى . وذكر البيرونى فى "الآثار الباقية" فى فهرست الأيام الإيرانية أن "تير" عند أهل خوارزم يسمى "جيزى" وفى الصغدية يسمى "تيش" .

٥- مرداد : هو إسم الشهر الخامس من شهور السنة الإيرانية (٣٠ يوماً من ٢٣ يوليو إلى ٢٢ أغسطس) ، والشهر الثانى من فصل الصيف ، يقول الفرخى عنه :

طالما يسخن الماء فى شهر مرداد ، وطالما تبرد الريح فى شهر دى .

ويقول ناصر خسرو :

إن هذا النفاق لن ينفعك عندما يكون عندك

رياح "دى" على شفتيك وحرارة "مرداد" فى قلبك .

ويقول مسعود سعد :

إن شهر مرداد شهر مبارك وسعيد جداً ،

فاشرب الخمر دوماً وبإستمرار .

ومرداد هو إسم الملاك الموكل بفصل الشتاء وتدبير شئون ومصالح شهر مرداد ويوم مرداد ، وهو إسم اليوم السابع من كل شهر شمسى ، وعندما يتفق إسم اليوم مع إسم هذا الشهر يعيد الفرس ويسمون هذا اليوم بعيد النيلوفر ، ويعتقدون بأن كل من يطلب شيئاً من الملوك والعظماء يتيسر له فى ذلك اليوم ، ويسمى عندهم عيد "امردادكان" . يقول مسعود سعد :

لقد أعطى يوم مرداد البشرى ،

فاعلم أن الدنيا قد عاد إليها شبابها من جديد .

٦- شهريور : هو الشهر السادس من السنة الشمسية الإيرانية (٣٠ يوماً من ٢٣ أغسطس إلى ٢٢ سبتمبر) ، وإسم الملاك الموكل بالنار وجميع المعادن وتدبير الأمور والمصالح فى يوم شهريور الذى هو اليوم الرابع من كل شهر شمسى . وعندما يتوافق إسم اليوم مع إسم هذا الشهر كان الفرس يحتفلون به ويعيدون ، وشهريور فى الديانة الزرادشتية إسم أحد الآلهة وهو فى العالم العلوى يمثل ملكية الله وعظمة وقدرة اهورامزدا ، وفى العالم المادى هو حارس المعادن والموكل باليوم الرابع من كل شهر شمسى ، ويقال له فى الفارسية أيضاً "شهرير" ، وفيه تكون الشمس فى برج السنبلة . ويقول البيرونى فى الآثار الباقية (ص ٣٢١) : "وشهريور هو الملك الموكل بالجواهر السبعة التى هى الذهب والفضة وغير ذلك من الفلزات مما له قوام الصناعات والدنيا وأهلها .." .

وشهريور هو الشهر الثالث من شهور الصيف ، يقول الشاعر الفردوسى :

ليكن لك الفتح والظفر من شهريور ،

ولتكن لك العظمة والعرش والتاج والمِنطَقة .

٧- مهر : هو الشهر السابع من السنة الشمسية الإيرانية (من ٢٣ سبتمبر حتى ٢٢ أكتوبر) ، وهو إسم أحد الآلهة الآريين أو الهندوايرانيين قبل عهد زرادشت ، وأصبح بعد ذلك أحد آلهة الديانة الزرادشتية أو ملائكتها . وكان الآريون عند قدومهم إلى إيران يعبدون قوى الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم والنار والتراب والرياح والماء ، وكانوا يطلقون على الآلهة الذين يمثلون قوى الطبيعة إسم "دئوه" . وكان أفضل هؤلاء الآلهة الإله "ايندرا" الذى يطلق عليه (قاتل التنين) "أژدهاكش" وإله الرعد والبرق والحرب . هذا الإله لم يرج بين الآريين فى إيران ذلك الرواج الذى كان له بين الهنود .

ويبدو أن عبادة "ميترا" (مهر) حلت محل عبادته عند الإيرانيين ، ودخل ايندرا بالتدريج وخاصة بعد زرادشت فى عداد الشياطين (ديوان) . وقد ذكرت المعاجم الفارسية "مهر" على أنه ملاك موكل بالحب وتدبير الشئون والمصالح الخاصة بشهر "مهر" ويوم مهر (اليوم السادس عشر من كل شهر شمسى) ويكون حساب الخلق وعقابهم بيده فى العقيدة الزرادشتية . ويقول البيرونى فى الآثار الباقية (ص ٢٢٢): "مهر ماه اليوم الأول منه وهو هر مزد روز .. وهو روز مهر عيد عظيم الشأن ويعرف بالمهرجان وإسمه موافق لإسم الشهر وتفسيره محبة الروح ، وقد قيل إن مهر هو إسم الشمس وأنها ظهرت فى هذا اليوم للعالم فسمى بها ..." .

ويقول دهخدا فى موسوعته "لغت نامه" أن كلمة "مهر" فى الأفستا وفى نقوش الملوك الهخامنشيين هى "ميثره "MITHRA ، وجاءت فى السنسكريتية "ميتره MI-TRA" ، وتحولت فى البهلوية إلى MITR . ولكلمة مهر فى فارسية اليوم معان كثيرة مثل : العهد والميثاق والمحبة والشمس . وقد جمع الشاعر مسعود سعد هذه المعانى فى بيت واحد حين قال :

هذا هو يوم مهر وشهر مهر وعيد المهرجان المبارك ،
فيا أيها الحبيب العطوف الوضاء الجبين كالشمس زد حبك لنا .

٨- آبان : هو الشهر الثامن من السنة الشمسية ، وتكون فيه الشمس فى برج العقرب (٣٠ يوماً من ٢٣ أكتوبر إلى ٢١ نوفمبر) ، ويقال له أيضاً "آبانماه" وهو "آبان" ، وهو الشهر الثانى من شهور الخريف وإسم ملاك موكل بالماء وتدبير الأمور والمصالح فى شهر آبان ويوم آبان . يقول منوچهرى (متوفى ٤٣٢ هـ) :

إحضر عصير العنب فالشهر شهر آبان ،
والوقت وقت المناظر الجميلة والنظر إلى الخيام ،
وقد إبتعدت يد الصيف عن وجه الأرض .

ويقول الشاعر سنائى (متوفى ٥٤٥ هـ) :

إن دمى الحار يبرد كالماء فى شهر مرداد ،
وآهتى الباردة تصبح كالرياح فى شهر آبان .

وآبان هو إسم اليوم العاشر من شهور الفرس ، ويعتبر يوم آبان هو أحد الأعياد الإثنى عشر فى السنة ، ويقال له "روز آبان" و "آبان روز" و "آبانكان" . يقول مسعود سعد :

إنه يوم آبان وشهر آبان ، فاسعد الروح بعصير العنب.

ويقال أن "زو" ملك إيران إنتصر فى هذا اليوم على أفراسياب وطرده من مملكته ، وكذلك حدث فى هذا اليوم أن أمطرت السماء بعد ثمانى سنوات من الجفاف والقحط . يقول البيرونى فى الآثار الباقية (ص ٢٢٤) : "آبان ماه اليوم العاشر منه وهو روز آبان ماه عيد يسمى آبانكان لإتفاق الإسمين وفيه مَلك زو بن طهماسف وأمر بحفر الأنهار وعمارتها .." . ويقول صاحب "برهان قاطع" : إن الفرس يقولون أنه من المستحسن فى هذا اليوم طلب الحاجة من الله والسلاطين والعظماء وصناعة السلاح .

٩- آذر : بمعنى النار فى اللغة البهلوية ، وهو إسم الشهر التاسع من السنة الشمسية الإيرانية (٣٠ يوماً من ٢٢ نوفمبر إلى ٢١ ديسمبر) ، وإسم ملاك موكل بالشمس والشئون التى تقع فى يوم آذر وشهر آذر ، ويطابق قوس .

يقول الفردوسى :

لقد إمتلأت روحه بالنار بسبب آلام قلبه ،
فقد علم أن تلك المرأة هى أمه .

ويقول سلمان الساوجى (متوفى ٧٧٨ هـ) :

إنك تؤجج النيران وتشعلها من الماء فى وقت الغضب فى الميدان ،
وفى وقت اللطف تُنبت الزهور فى موقد النيران .

ويقول المولوى :

لقد رأيت ناراً على يساره ، وشاهدت حوض الكوثر على يمينه .

وكلمة "آذر" تعنى أيضاً : بيت النار وجهنم . وآذر هو اليوم التاسع من كل شهر فارسى ، ويحتفلون بهذا اليوم عندما يتوافق مع الشهر ويسمونه "آذركان" و "آذر روز" أى يوم آذر . ويعنى أيضاً إسم الملاك الموكل بالشمس وشئون شهر آذر ويوم آذر . ويقول الدكتور محمد معين فى حواشيه على برهان قاطع : وآذر اسم ملاك حارس للنار التى هى أحد أكبر الآلهة عند الآريين الذين كانوا يهتمون إهتماماً كبيراً بعنصر النار أكثر من غيرهم من الأقوام الأخرى . ويسمى الإله آذر عند الهنود "آكنى "AGNI"، ويذكر فى كتاب "الفيدا" ضمن كبار الآلهة . وترد فى كتاب الأفستا قطعة تسمى "آتش نيايش" (الثناء على النار) وهى فى مدح هذا الإله .

١٠- دَى : هو الشهر العاشر من السنة الشمسية (من ٢٢ ديسمبر إلى ٢٠ يناير) وفيه تكون الشمس فى برج الجدى ، وهو أول شهر من شهور الشتاء . وهو أيضاً إسم ملاك يختص بتدبير الأمور والمصالح الخاصة بشهر "ديماه" ويوم "دى" ، وإسم اليوم الثامن من كل شهر فارسى ، وفيه يعيّد الفرس ويحتفلون بهذه المناسبة .

ولما كان هذا الشهر شديد البرودة ؛ فأحياناً ما يكون المقصود من ذكر كلمة "دى" هو الشتاء أو البرودة مجازاً كقول الشاعر منوچهرى الدامغانى :

إن رياح سموم الخريف لا تعرف إلا رائحة خلقه الطيبة ،
وزمهرير شهر "دى" لا يقضى عليه إلا حرارة غضبه.

ويقول حافظ الشيرازى (متوفى ٧٩١ هـ) :

كم من الظالم عانت البلابل من شهر دى ،
على أمل عودة الربيع من جديد .

ويقول أيضاً :

كم تتبخترين وتتمايلين برقة وعذوبة يا رياح الربيع ،
فلا أصابك الهياج والإضطراب بسبب إضطراب رياح "دى" .

و "دى" بكسر الدال تعنى أيضاً فى الفارسية "أمس" كقول الفرخى :

إذا لم أكن على هوى قلبه بالأمس وأول أمس ؛
فسوف أكون على هوى قلبه من اليوم فصاعداً .

١١- بَهمَن : وردت هذه الكلمة فى الأفستا "وهومنا "VOHUMANA"وفى البهلوية "وهومن "VAHUMAN"، وهى مركبة من جزءين : "وهو" بمعنى طيب أو حسن ، و "مند" بمعنى "منش" أى الطبع ، ومن ثم فإن بهمن

يكون معناها صاحب الطبع الحسن والفكر الحسن والأصل الطيب . وتفسير بهمن بالعربية هو : الحسن النية ، وهو أحد الـ "امشاسپندان" وأول مخلوق لأهورامزدا . وهو يمثل فى العالم الروحانى الفكر الطيب والعقل ومعرفة الله . ويطلق هذا الإسم على الشهر الثانى فى الشتاء والشهر الحادى عشر من السنة الشمسية (٣٠ يوماً من ٢١ يناير إلى ١٩ فبراير) ، وعلى اليوم الثانى من كل شهر شمسى ، كما يطلق أيضاً على نبات يؤكل خصيصاً فى عيد يسمى عيد بهمنجنه ، وكان الفرس يحتفلون فى العاشر من هذا الشهر بعيد يسمى عيد السذق (سده) . يقول الفردوسى مادحاً :

هو من حيث الجسد فيل ضخم ، ومن حيث الروح مثل جبريل ،

هو من حيث الكف (الجود والكرم) سحاب بهمن ، ومن حيث القلب نهر

النيل .

ويقول مسعود سعد :

ينبغى شرب النبيذ فى شهر بهمن ، ويجب اللهو والسرور خلاله .

وعندما يوافق إسم اليوم إسم هذا الشهر يحتفل الفرس ويطهون فيه أنواعاً من الغلال واللحوم ، وينثرون زهوراً تسمى بزهور بهمن على الأطعمة ، وكانوا يعتقدون أن هذا اليوم له خاصية وميزة لإقتلاع النباتات والجذور الدوائية من الجبال والصحارى وعصر الزيوت وإعداد البخور ، ويستحسنون فيه تفصيل الملابس الجديدة ولبسها وقص الأظافر وتصفيف الشعر وتشذيبه والبناء ، ويطلقون على هذا اليوم إسم "بهمنجنه" . يقول الشاعر منوچهرى :

بدأت القدور التى يصنع فيها الطعام فى عيد بهمنجنه تغلى ،

وبدأت نغمات "بهمن" و "قيصران" تصل إلى الآذان

.

ويقول أيضاً :

إحتفل بعادة بهمن وأحيى من جديد عيد بهمنجنه ،

ياشجرة الملك التى يكون ثمارها العز وجذعها الحذر واليقظة .

١٢- اسفند : هو الشهر الثانى عشر والأخير من السنة الشمسية الإيرانية (٢٩ يوماً من ٢٠ فبراير إلى ٢٠ مارس) ، وهو الشهر الثالث من الشتاء ويطابق "حوت" ، كما أنه إسم اليوم الخامس من كل شهر شمسى إيرانى . واسفند فى الأفستا هو "سپنته" صفة بمعنى طاهر أو مقدس ، وقد وردت هذه الصفة فى الأفستا كصفة لأهورا مزدا وجماعة من الآلهة والرجال . ويسمى أيضاً "اسفندارمذ" ، وهو إسم لملاك موكل بالأدغال والأشجار والأمور التى تحدث فى شهر اسفندار وتتعلق به ، ويأتى أيضاً بمعنى الأرض .

وهكذا وجدنا أن كل شهر من شهور السنة الشمسية الإيرانية يحمل إسم إله أو ملاك من آلهة وملائكة الديانة الزرادشتية القديمة التى حمل لواءها زرادشت ، ومازال الإيرانيون يستخدمون أسماء هذه الشهور حتى يومنا هذا محافظين على هذا التراث القديم ، بجانب التقويمين الهجرى القمرى والميلادى . وحرى بالدول الإسلامية جميعها أن تلتزم بالشهور العربية الإسلامية وبالتقويم الهجرى ، وتجعل منه تقويماً عاماً لكل البلدان التى يدين أهلها بالإسلام ، وتكون التقاويم الأخرى فى المرتبة الثانية لهذا التقويم .

ولا يفوتنا عند الحديث عن التقويم الإيرانى أن نقول أن الشاه محمد رضا بهلوى الذى إحتفل فى أكتوبر من عام ١٩٧١ بمرور ألفين وخمسمائة عام على تأسيس الدولة الفارسية ، قد فرض تقويماً إيرانياً جديداً جعل بدايته قيام الحكم الإمبراطورى الشاهنشاهى فى إيران منذ ألفين وخمسمائة عام بدلاً من التقويم الهجرى الإسلامى الذى كان معمولاً به ، وبطبيعة الحال فقد كلف هذا التغيير خزينة الدولة نفقات باهظة كما أدى إلى حدوث خلل فى تواريخ المستندات وأدى إلى إستبدال كافة مطبوعات الدولة بغيرها ، ولكنه لم يدم طويلاً حيث تم وقف العمل به وإلغاؤه فى عهده وقبل قيام الثورة الإيرانية الإسلامية عام ١٩٧٩م ، وقد فعل هذا فى محاولة لإسترضاء الشعب الإيرانى الذى لم يكن راضياً عن هذا التصرف الذى كان يمس الشعور الدينى الإسلامى لدى الإيرانيين .

المراجع :

١- لغت نامه - على أكبر دهخدا .

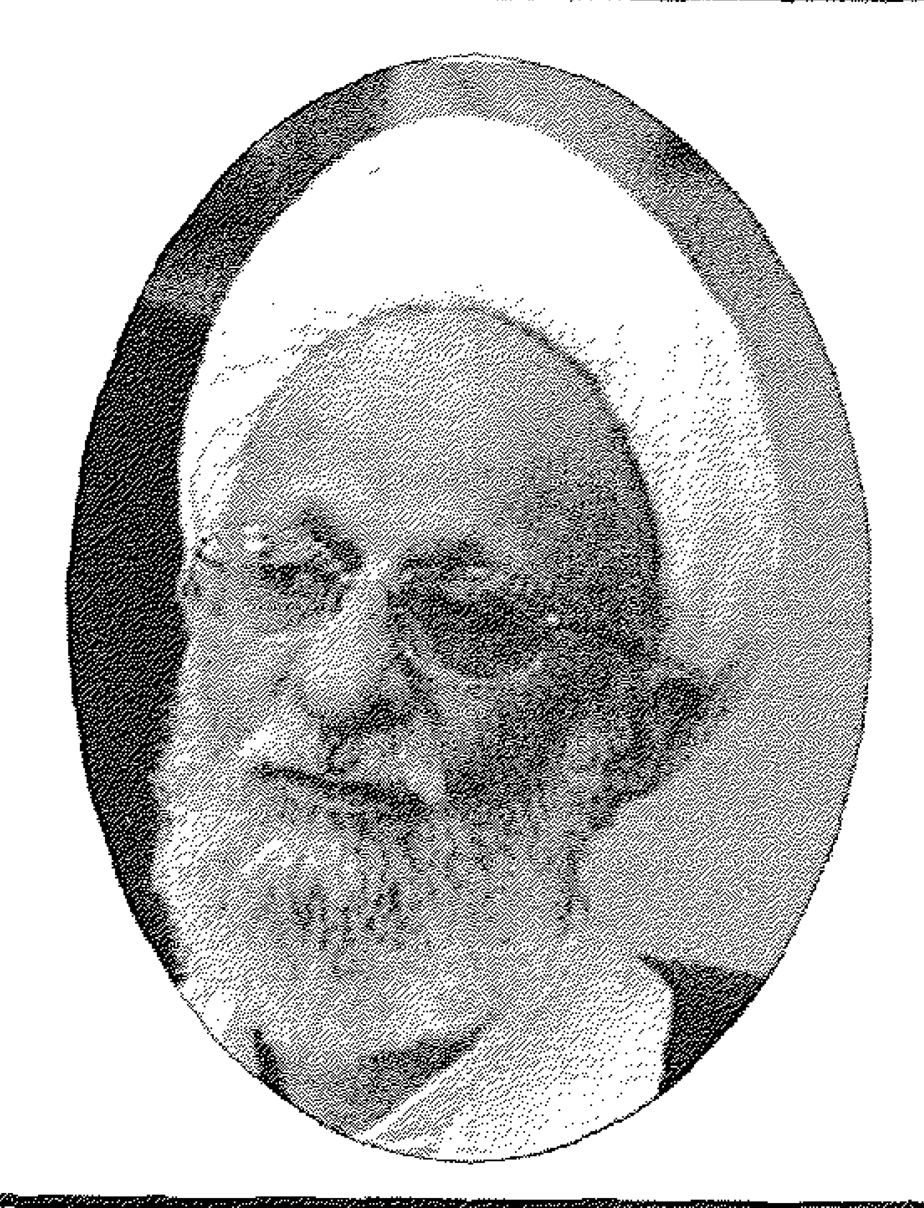
٢- برهان قاطع - محمد حسين بن خلف تبريزى - باهتمام دكتر محمد معين - چاپ دوم - فروردين ١٣٤٢ ش .

٣- الآثار الباقية عن القرون الخالية - أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى الخوارزمى .

٤- إيران فى عهد الساسانيين - كريستنسن - ترجمة يحيى الخشاب ومراجعة عبد الوهاب عزام - القاهرة ١٩٥٧م .

٥- القواعد الأساسية لدراسة الفارسية - دكتور إبراهيم أمين الشواربى - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٥٦م .





آية الله مصباح يزدى سيرة ومسيرة

إعداد: محمد حسن الزيبق
مدرس مساعد اللغة الفارسية كلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

ولد الأستاذ آية الله محمد تقى مصباح يزدى فى الحادى عشر من شهر بهمن ١٣١٣ الموافق ١٧ ربيع الأول ١٣٥٣ هـ .ق فى أسرة شديدة التدين فى مدينة يزد كانت حياة والده تسير بصعوبة بالغة فى منزل موروث عن أمه، كانت أمه تعين والده على متطلبات الحياة بمهنة نسج الجوارب وكان عائدها ضئيلاً جداً للغاية لدرجة أن والده كان لابد أن يقترض مبلغاً كل فترة حتى يتمكن من تسيير حياته.

قبل ميلاده رأت أمه فى رؤيا أنها أنجبت قرآناً واستيقظت من نومها قلقة وذهبت إلى المفسر فأخبرها أنها ستلد ولداً وأنه سيكون عالماً وحاملاً للقرآن.

- مرحلة المدرسة

مضت طفولة محمد تقى بين أحضان أسرة متدينة نقية طاهرة صاحبة مبادئ قائمة على التربية الخالصة. ولتحصيل العلم والمعرفة توجه إلى المدرسة الابتدائية، وكان شغوفاً بالعلم، وفى كل عام كان يصنف من الطلبة الأوائل وقد حظى بتشجيع مدير المدرسة ومعلميها وكانوا يوجهونه لدراسة العلوم الدنيوية لكنه كانت لديه رغبة أخرى فكان يفكر فى دراسة العلوم الدينية وتحصيل المعارف الإلهية وعلى هذا الأساس كتب فى موضوع الإنشاء وهو فى الفصل الرابع أنه يريد أن يذهب إلى النجف ويدرس العلوم الدينية وقد أذهل هذا الأمر المعلم وزملاءه أيضاً الذين كان كل واحد منهم يتمنى أن يصبح يوماً ما طياراً أو عقيداً أو وزيراً أو محامياً.

- بداية التطوع

أنهى محمد تقى المرحلة الابتدائية فى العام الدراسى ١٩٤٦-١٩٤٧ وقد أدى ولعه بدراسة العلوم الدينية إلى أنه بدلاً من قضاء العطلة الصيفية مثل أقرانه التحق بالحوزة العلمية فى يزد منذ بداية الصيف وأقام محمد تقى فى إحدى غرف المدرسة الشافعية التى تقع فى ميدان خان ولم يبال بالوضع السيئ للحوزة وخراب المدارس والحجر وأيضاً عدم وجود أستاذ وبرنامج دراسى منظم واهتم بالدراسة والبحث والقراءة وفى فترة أربع سنوات أنهى كل المقدمات والمستويات المتوسطة بل والرسائل بجدية غير عادية هذا فى حين أن الفترة المعتادة لإنجاز هذه المراحل هى ثمان سنوات، ومن المؤكد أنه يعتبر أن هذه النجاحات كانت بفضل عناية وجهود أساتذته، وخاصة المرحوم الحاج شيخ محمد على، فقد بذل معه وقتاً كبيراً فى التعليم وكان يدرس له بشكل خاص.

ومن الأساتذة الآخرين الذين تعلم على يدهم

المرحوم الشيخ عبد الحسين عرب والمرحوم السيد علي رضا مدرسي والحاج ميرزا محمد أنوري الذي علمه بعض قواعد الأصول، وإلى جانب العلوم الحوزوية تعلم محمد تقي أيضاً بدافع حب العلم والبحث عن الحقيقة بعض علوم العصر مثل الفيزياء والكيمياء والفسيولوجي واللغة الفرنسية على يد عالم دين مثقف يدعى "محقق رشتي"، وقد أرسل فيما بعد إلى ألمانيا للدراسة من جانب المرحوم آية الله العظمى بروجردي.

- الهجرة إلى النجف:

كان محمد تقي شغوفاً ولعاً بتحصيل العلم وعندما نزل عليه الشيخ أحمد أخوندي ضيفاً ورأى فيه كل هذا الولع والهمة شجعه على أن يذهب إلى النجف لاستكمال الدراسة وحث الأسرة أيضاً على تشجيعه وأن تهاجر معه وتقيم في تلك الديار وبهذا الشكل قرر الأب والأم أن يبيعا منزلهما ويهاجرا إلى النجف ومع أنه كان الاقتراح الأولى لمحمد تقي هو أن يسمحوا له أن يهاجر إلى قم ويواصل دراسته في الحوزة لكن الأسرة أصرت أن تذهب بداية إلى النجف. على أية حال كان جوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وجاذبية حوزة النجف قد أدتا إلى أن يكونا أكثر جدية في قرارهما وقد توجه في أواخر عام ١٩٥١ إلى النجف ولكن ساءت الأحوال مما اضطر الأسرة للعودة إلى إيران وأصر محمد تقي على أن يسمحوا له أن يظل لفترة وحده في النجف وعندما يتحسن الوضع المالي للأسرة في إيران يعودوا إليه لكن والديه، خاصة أمه لم ترض بأي حال من الأحوال. لكن المرحوم الشيخ محمد علي سراي والمرحوم سيد علي فاني توجها إلى منزل والد محمد تقي وأصرا على الوالد أن يترك ابنه وقال أحدهما لو أنكم أخذتم ابنكم وهو بهذه الموهبة الكبيرة ولم تتركوه يواصل الدراسة فإن إمام الزمان لن يرضى عنكم لكن والده قال أنا أستطيع التحمل لكن أمه لا تستطيع فراقه.

ولهذا لم يبق محمد تقي في النجف وعاد إلى طهران بعد عام دراسي.

- الهجرة إلى قم

عادة الأسرة من النجف وقررت أن تظل لفترة في طهران لكن محمد تقي قرر أن يسافر إلى قم للدراسة، في البداية عارضت الأسرة بسبب ضيق ذات اليد وحاولوا ملياً إثناءه عن عزمه لكنه لم يقبل لأنه كان يعتقد أن الدراسة في الحوزة واجب شرعي لا يدخل فيه رضا الوالدين مع أنه استطاع أخيراً بحواره المؤدب وحججه القوية أن يقنعهما ويحصل على موافقتهما. وبهذا الشكل ظل محمد تقي صيف ذلك العام منتظراً بداية العام الدراسي مع أسرته في طهران.

وحاول أخوه الأصغر أن يدبر له الاحتياجات الأساسية حتى يستطيع الحياة في قم من خلال عمله في محل لبيع أواني الألومنيوم.

ومن المؤكد أن محمد تقي لم يكن بلا عمل في الصيف فكان يقوم بالتدريس في الفصول الصيفية حتى يستطيع أن يدبر نفقاته.

توجه إلى قم ولم يكن العثور على حجرة بالأمر السهل وفي تلك الأيام كانت هناك مدرستان أو ثلاثا في قم وكانت هناك مدرستان كبيرتان قرب الحرم المطهر إحداهما المدرسة الفيضية والأخرى مدرسة الحجتية وكان هناك شرط للالتحاق بمدرسة الحجتية هو أن يكون الطالب قد بلغ العشرين وكان محمد تقي ما زال في سن التاسعة عشرة وبهذا الشكل بقيت أمامه المدرسة الفيضية فقط.

مر شهر أو شهران على هذه المشكلة ولم يفلح في إيجاد فرصة وفي هذه الفترة كان في كل يوم يكون ضيفاً على أحد الأصدقاء. ورويداً رويداً بدأ يشعر أن مضيفيه يتأذون من وجوده. ومن ناحية أخرى كانت قد بدأت الدروس وهو ما زال هائماً على وجهه ونفد ما كان معه من أموال.

وأمضى محمد تقي العام الأول في صعوبة بالغة فلم يعثر على حجرة إلا بعد جهد جهيد وكانت هذه الغرفة غير ملائمة للسكن. لكنه مع هذا كان قد انضم إلى المدرسة الفيضية وكان يحضر يومياً أربع حلقات من الدروس: درس خيارات المكاسب للمرحوم سيد مرتضى حائري والذي كان يعطيه في الصباح في منزله. وهناك درس أيضاً يعطيه الشيخ عبد الجواد جبل عامري وكان يبدأ مع طلوع الشمس في مسجد عشق علي وكان هناك درس آخر يعطيه السيد مرتضى حائري في منزله عصراً وبهذا كان كل وقته موزعاً على الدراسة.

- تعرفه على الإمام الخميني.

تعرف الشيخ محمد تقي منذ العام الأول لدخوله قم على الإمام الخميني الذي كان أستاذاً بارزاً في الحوزة منذ سنوات سابقة ومع أنه كان لا يزال يقرأ الكفاية والمكاسب فكان من وقت آخر يشارك في دروس الإمام الخميني حتى يكون مستعداً، ومنذ العام التالي حضر ذلك الدرس بشكل متواصل وكان من خصائص الإمام (رحمه الله) الرؤية الواضحة ودقة النظر والنقد بحرية وحرية الفكر التي كانت قلما تشاهد في دروس سائر الأساتذة وهذه الخصائص كانت جذابة للغاية لمحمد تقي.

- **تعرفه على العلامة طباطبائي:**

عندما وصل محمد تقى حديثاً إلى قم، وفى مدرسة الحجتية وجوار الساعة الشمسية لفت انتباهه شخص نورانى كان نحيفاً للغاية على رأسه عمامة صغيرة وكان مظهره ينم عن حياة بسيطة فسأل محمد تقى عنه فقالوا إنه القاضى الصغير وهذه الساعة الشمسية هى من صنعه وقد جاء لضبطها، وكان الإلمام بعلم النجوم والرياضيات من خصائص العلامة طباطبائى وكانت له مزايا أخرى منها التفسير والفلسفة وغيرها.

وبعد فترة على هذه الحادثة اقترح عليه أحد الأصدقاء أن يحضر درس التفسير الذى يلقيه الأستاذ فى أيام الخميس فى مسجد سلماسى. وبعد الحضور ورؤية الحالة المعنوية والروحانية للعلامة وأيضاً أسلوبه الراقى فى التدريس أصبح محمد تقى مولعاً به ويريد أن يكون فى صحبته على الدوام وقد كانت أسئلة محمد تقى الذكية قد لفتت انتباه العلامة إليه وأصبح موضع عنايته الخاصة وأتاح له هذا الأمر أن يطلعه على مجال القضايا الأخلاقية والمعنوية. وكان العلامة قد أعطاه النسخ الخطية لتفسيره قبل أن تطبع حتى يقرآها ويعدل فيها إذا اقتضى الأمر ذلك.

- **تعرفه على آية الله بهجت**

من بين المشايخ العظام الذين تعرف عليهم محمد تقى منذ عامه الأول فى قم آية الله بهجت وكان منزل آية الله بهجت يقع فى جوار مدرسة الحجتية وكان يلتقيه عادة فى الذهاب والإياب وخاصة فى أوقات الصباح حينما كان آية الله بهجت يرجع من الحرم، ومضت فترة وسمع من أصدقائه أن آية الله بهجت يتمتع برؤية علمية هائلة وأنه فى الأعوام السابقة كان من تلاميذ السيد بروجردى النبلاء وكذلك أيضاً هو من حيث الأخلاق والمعنويات مختار ومن أهل المقامات، وفى النجف أيضاً كان من التلاميذ النابغين للمرحوم سيد على أغلى قاضى، كل هذه الأوصاف جعلت محمد تقى متعطشاً إلى الفضيلة والروحانيات وكان يريد أن ينهل من هذه الشخصية ولكن نظراً لأن آية الله بهجت لم يكن من السهل أن يقبل أحداً فقرر هو وعدد من أصدقائه أن يطلبوا منه لتقوية الجانب الفقهى عندهم أن يشرح لهم الفقه بشكل خاص وبهذا الشكل يستطيعون أن ينهلوا من خصاله الأخلاقية وكان ما أرادوا، وواظب الشيخ محمد تقى على حضور هذا الدرس مدة خمسة عشر عاماً.

- **أصدقاء الدراسة**

كان الشيخ محمد تقى أثناء دراسته، وخاصة فى مدرسة الحجتية تربطه صداقة مخلصة بالطلبة الذين كانوا علاوة على جدهم واجتهادهم فى الدرس والبحث والمطالعة يتمتعون بروحانيات وسجايا معنوية وأخلاقية ويمكن أن نذكر منهم: الشيخ محمد حسين بهجتى الأردكانى وكان صاحب ذوق شعرى وهو الآن إمام جمعة أردكان وأخوه المرحوم الشيخ على بهجتى الذى كان من الطلبة الفاضلين الأوفياء والشيخ على بهلوانى الذى كان من عظام السيرة والسلوك وآية الله ميرزا حسين نورى الذى يعتبر من مراجع التقليد وأخوه المرحوم ميرزا حسن أغا الذى كان خطيباً وكاتباً وخطاطاً والشيخ على أكبر مسعودى الخمينى الذى يتولى الآن الإشراف على العتبة المقدسة لحضرة المعصومة عليها السلام.

وبعد الزواج أدى تردده على مدرسة الحجتية إلى صداقات أخرى مخلصة مع الشهيد باهنر وحجة الإسلام والمسلمين هاشمى رفسنجانى وآية الله خامنئى وقد هيأت هذه الصداقة فيما بعد المجال لكثير من التعاون فى مرحلة النضال.

- **دراسته:**

قام الأستاذ بدراسة ومطالعة شاملة فى مختلف العلوم الإسلامية مثل الفقه والأصول والتفسير والفلسفة وأيضاً الأقسام الجامعية للعلوم الإنسانية واللغات الأجنبية والإنجليزية والفرنسية.

الفقه والأصول

نهل آية الله مصباح يزدى فى مجال الفقه من علم أساتذة عظام مثل آية الله بروجردى رحمه الله وآراكى رحمه الله والإمام الخمينى رحمه الله وآية الله بهجت. وقد أجاد لدرجة أنه حصل على جائزة من المرحوم آية الله العظمى بروجردى وحصل على درجة الاجتهاد، وعلى هذا الأساس كان له اطلاع واسع على الأقسام المرتبطة بالفقه مثل أصول الفقه وعلم الرجال والدراية.

- **التفسير:**

أدت معرفة محمد تقى للمرحوم العلامة طباطبائى والوقوف على مقاماته وكمالاته الروحانية والعرفانية فى العلم والفضيلة والتقوى إلى أن يبذل الأستاذ اهتماماً أكبر لتعلم علوم القرآن والتفسير، وكان قد شارك بداية فى دروس تفسير العلامة ثم استطاع بالاستفادة من توجيهاته الخاصة أن يتعلم التعمق والتفكر فى القرآن ونقاط الجمال فى آياته النورانية وأصبح صاحب رؤية فى هذا الباب لدرجة أن العلامة رحمه الله أوكل إليه إعادة قراءة تفسير الميزان قبل طبعه ونشره.

- **الفلسفة:**

صرف الأستاذ مصباح جل جهده ووقته فى هذا التخصص وكان سبب اتجاهه إلى الفلسفة ولعه

الشديد بالعلامة طباطبائى رحمه الله وقد قرأ الأسفار والشفا على العلامة وباستخدام الأسلوب الفلسفى وصل إلى بعض الإبداعات والابتكارات فى هذا المجال، ووصل إلى مرتبة أنه يعتبر اليوم واحداً من أبرز أساتذة الفلسفة الإسلامية فى الحوزة العلمية بقم، وعلاوة على تبحره فى الفلسفة الإسلامية فله اطلاع كبير على الفلسفة الغربية.

- الأخلاق والتصوف:

يذكر الأستاذ مصباح يزدى أنه نهل فى هذا المجال من أساتذة مثل العلامة طباطبائى رحمه الله وآية الله أنصارى الهمدانى وآية الله العظمى بهجت.

- العلوم الحديثة:

السيد مصباح يزدى منذ عام دخوله الحوزة العلمية بيزد لم يكتف بالدراسة الحوزية وانطلاقاً من حبه للعلم والبحث عن الحقيقة شارك فى فصول الفيزياء والكيمياء وأيضاً اللغات الأجنبية "الفرنسية والإنجليزية" وكان ذلك تحت رعاية رجل دين يدعى محقق رشتى.

وكان المشاركون فى هذه الفصول السيد مصباح والشهيد الدكتور مفتح والسيد ناصر مكارم الشيرازى والسيد الشيخ جعفر سبحانى والمرحوم حيدرى نهاوندى. وكان الشهيد بهشتى يتولى مسئولية رعاية هذه الفصول ودعوة الأساتذة.

- التدريس:

بدأ الأستاذ مصباح مهمة التدريس بشكل منظم فى مدرسة الحقانية "المنتظرية" وقد بدأ هذا العمل بهدف تربية القوى الفكرية والعقائدية وتربية الأفراد الملتزمين والفاعلين لتكوين الكادر القادم للنظام والحكومة الإسلامية، وقام بداية بتدريس المباحث القرآنية والتفسير والمباحث الفلسفية فى تلك المدرسة وكان درس التفسير فى ثلاثة مستويات ومعه أيضاً مباحث أخلاقية وتربوية تحت عنوان "معرفة الذات لصنع الذات"، وفى مجال الفلسفة قام الأستاذ مصباح بتدريس كتاب "فلسفتنا" للشهيد الصدر وكتاب بداية الحكمة للعلامة طباطبائى فى تلك المدرسة لمدة عشر سنوات. وبعد فترة وبناءً على اقتراح آية الله سيد محسن خرازى والتعاون مع مؤسسته فى سبيل الحق قام بتأسيس قسم للتعليم فى تلك المؤسسة وأخذ على عاتقه تدريس كتب فلسفتنا واقتصادنا ونهاية الحكومة والتفسير الموضوعى للقرآن الكريم.

والواقع أن الأستاذ مصباح هو الأستاذ الأول الذى جعل هذه الكتب المذكورة بمثابة متن دراسى فى الحوزة فلم تكن مثل هذه الكتب موجودة فى الحوزة العلمية.

وبعيداً عن البرامج الدراسية المنظمة بمدرسة الحقانية ومؤسسة فى سبيل الحق كان الأستاذ يدرس الكتب الفلسفية المفصلة مثل الأسفار الأربعة والشفا للهواه. وهذه الفصول فى الواقع تعتبر مرتبة تخصصية فى الفلسفة.

- تلاميذه النابغون:

كانت ثمرة التعليم والتدريس المخلص للأستاذ هو تربية طلاب ممتازين مثاليين يعتبرون أمل مستقبل الإسلام والنظام الإسلامى.

وفى هذا المقام سنذكر أسماء عدد محدود من الذين تربوا وتتلمذوا على يد هذا الأستاذ الجليل الذى يعتبر إماماً ومفكراً وصاحب رؤية فى العلوم الإسلامية: حجة الإسلام والمسلمين غلام رضا فياضى أحد الأساتذة الممتازين بالحوزة العلمية بقم، حجة الإسلام والمسلمين محمود رجبى نائب الشئون البحثية ومدير قسم العلوم القرآنية بمؤسسة تعليم ودراسة الإمام الخمينى، حجة الإسلام والمسلمين أكبر ميرسيباه الأستاذ الكبير فى دروس المعارف القرآنية والأخلاق الإسلامية، حجة الإسلام والمسلمين سيد محمد غروى مدير قسم علم النفس بمؤسسة الإمام الخمينى، حجة الإسلام والمسلمين الدكتور مرتضى أغا طهرانى أستاذ الأخلاق بالحوزة العلمية، حجة الإسلام والمسلمين محمود محمدى العراقى رئيس هيئة الثقافة والاتصالات الإسلامية، حجة الإسلام والمسلمين محسن غرويان، حجة الإسلام والمسلمين حسين إيرانى، حجة الإسلام والمسلمين حيدر على أيوبى والسيد عبد الرسول عبوديت، حجة الإسلام والمسلمين سيد محمد رضا طباطبائى مدير جامعة الزهراء، حجة الإسلام والمسلمين نيرى، حجة الإسلام والمسلمين صديقى، حجة الإسلام والمسلمين مبشرى، حجة الإسلام والمسلمين مؤيدى، المرحوم حجة الإسلام والمسلمين شهرودى، حجة الإسلام والمسلمين وأراب كلامى، حجة الإسلام والمسلمين إبراهيمى دمغانى حجة الإسلام والمسلمين سيد أبو الحسن نواب، حجة الإسلام والمسلمين الدكتور زارعان، حجة الإسلام والمسلمين الدكتور عباس على شاملى، حجة الإسلام والمسلمين الدكتور أحمد رهنمايس، حجة الإسلام والمسلمين الدكتور محمد فنايى، حجة الإسلام والمسلمين غازى، حجة الإسلام والمسلمين الدكتور شمالى وكثير من حجج الإسلام وحملة القرآن الذين تعتبر كل حياتهم العلمية والثقافية مرهونة بدروس الأستاذ العظيم.

لقد قام السيد مصباح يزدى بدور جليل فى خدمة الثورة والنظام الإسلامى ولا يزال هذا الدور قوياً فهو الآن مرشح لانتخابات مجلس الخبراء التى ستعقد فى شهر نوفمبر القادم.

رؤى عربية

إيران وحزب الله: التلاقى والتنافس على الصعيد الإقليمى

■ خالد السرجانى
كاتب وصحفى بالأهرام

بعد أن هدأ غبار المعركة فى لبنان بين إسرائيل وحزب الله ، لابد من المناقشة المتأنية المتفحصة لبعض الأفكار والمقولات التى سادت وانتشرت أثناء الحرب خاصة تلك المتعلقة بالعلاقة بين إيران وحزب الله، ففى بداية الحرب سادت مقولات حول أن حزب الله قام بخطوة خطف الجنديين الإسرائيليين من أجل إشعال المنطقة لصالح إيران وشغل العالم عن التفكير فى ملفها النووى ، وبعدما خرج حزب الله منتصرا، وفقا لأغلب التحليلات، خرجت مقولات أخرى ترى أن هذا النصر لا يصب فى النهاية لصالح حزب الله الذى خاض وفقا لهذه المقولات حرباً بالوكالة عن كل من سوريا وإيران، وبالتالى يصبح هذين الطرفين هما الأكثر استفادة من الحرب وتداعياتها ونتائجها . وهذه المقولات تنطلق من حقيقتين معروفتين وهما أن كل من حزب الله وإيران يجمع بينهما المذهب الشيعى ، وان إيران نفسها هى التى قامت بالدور الأساسى فى تأسيس الحزب فى النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضى، وذلك فى مواجهة حركة أمل الشيعية التى كانت على صلة قوية بسوريا، ومنذ أن تأسس الحزب وإيران أصبحت لاعبا أساسيا فى الداخل اللبنانى معتمدة بالأساس عليه وبالتالى فان هؤلاء المراقبين لا يرون أى اختلاف بين الجانبين، ويذهب بهم الحد إلى القول أن أى نصر يحققه حزب الله يعد مكسبا إقليميا لصالح إيران وهذا الأمر ينطبق على ما حققه الحزب مؤخرا فى حربه مع إسرائيل .

وبالطبع لابد فى البداية من الإشارة إلى نقطة غاية فى الأهمية وهى أن انتصار حزب الله أرجأ إلى حين المخطط الأمريكى المتعلق بالشرق الأوسط الجديد، والذى كان من بين أهدافه حصار إيران وعزل نظامها السياسى بما يسهل من عملية سقوطه بعد فترة من الزمن، لكن حزب الله حقق ذلك ليس لمصلحة إيران ولكن لصالحه هو فى الأساس، لأن واحدة من أسس ومقومات هذا النظام الإقليمى الجديد هى القضاء على التنظيمات الدينية فى منطقة الشرق الأوسط وعلى رأسها بالطبع حزب الله نفسه وباقى الحركات الإسلامية مثل حماس والجهاد الإسلامى فى فلسطين ،والأخوان المسلمين فى أكثر من بلد عربى، والجماعة الإسلامية المسلحة فى الجزائر، وغيرها من الحركات الإسلامية التى تنتشر فى معظم بلدان الشرق الأوسط . وبالتالى فان ما تحقق من إنجاز لحزب الله فى هذا الخصوص لم تستفد منه إيران فقط وإنما استفادت كافة الدول والحركات والأفكار التى تناصبها الولايات المتحدة العداء وكانت تسعى لتأسيس النظام الإقليمى الجديد من أجل القضاء عليها وتهميشها ومحاصرتها . وهذا يعنى أن حزب الله كان مدفوعا فى هذا الأمر بمصالحه الذاتية اكثر مما كان مدفوعا بمصالح أو حساباتها إيران الإقليمية .

ايران وحزب الله تبعية ام تنافس ؟!

الذين يطرحون الأفكار حول تبعية حزب الله لإيران منطلقين من حقائق تاريخية، لا يدركون طبيعة الدولة الإيرانية، ولا كيفية صنعها لسياستها الإقليمية، ولا أولوياتها السياسية وعلى رأسها أن تكون هى الدولة الراعية للأقليات الشيعية ليس فقط فى منطقة الشرق الأوسط ولكن فى العالم أجمع، ومن يتتبع السياسة الخارجية لإيران منذ الثورة وحتى الآن يستطيع دون عناء كبير أن يصل إلى نتيجة مفادها أن عامل قيادتها للشيعة فى العالم هو من العوامل الرئيسية فى تخطيط وتطبيق سياستها الخارجية . وهناك مخاوف حقيقية انتابت كبار الملالى فى إيران بعد سقوط النظام البعثى السنى فى العراق من أن تصبح العراق هى قبلة الشيعة فى العالم بسبب وجود المزارات الشيعية المقدسة فى مدن النجف وكربلاء . ومنذ بداية القرن

الماضى وهناك تنافس داخل الشيعة بين الملالى من ذوى الأصول الفارسية أى الإيرانيون، وذوى الأصول العربية ومعظمهم عراقيون، وعندما كان النظام العراقى سنيا ومتهم باضطهاد الشيعة ولم يكن هناك اعتراف بمرجعية شيعية عراقية كان شيعة العراق، بسبب التنافس القديم الفارسى العربى ،يعتبرون مرجعيتهم فى لبنان خاصة السيد محمد مهدى شمس الدين وحسين فضل الله ومن قبلهما الإمام المختفى موسى الصدر، على النحو الذى ذكره اسحق نقاش فى كتابه " شيعة العراق " .

ومن الممكن القول أن إحدى النتائج الأساسية لما حققه حزب الله فى مواجهته مع إسرائيل أنه جعل من حسن نصر الله شخصية تحظى بشعبية على المستوى العربى سواء لدى السنة أو الشيعة ، وأصبح حزب الله بموجب هذه الحرب يحظى بشعبية كبيرة لدى السنة والشيعة . وإحدى التداعيات المتوقعة لهذه الحرب هو أن يصبح حزب الله هو الأقدر على التعبير عن الشيعة العرب، وهو ما يمكن أن يقوى علاقته مع شيعة العراق وكل من شيعة البحرين وباقى الاقليات الشيعية فى الوطن العربى . وهذه النتيجة تتناقض مع السياسة الإقليمية لإيران التى سيكون عليها أن تضع ضمن أولوياتها عند تطبيق الشق الخاص بقيادة الشيعة فى العالم أن تتنافس مع حزب الله ومع شيعة العراق وسيكون موقفها أكثر صعوبة فى حالة وجود تنسيق بين الشيعة العرب، أى فى كل من العراق ولبنان وهو أمر متوقع خاصة وأن العلاقات بين الجانبين على مستوى عالى من التنسيق والتناغم وعلاقاتهما لم تنقطع خلال السنوات الماضية .

ويمكن القول من دون مبالغة أن التطورات التى حدثت فى الشرق الأوسط خلال الأعوام الماضية والتى اعتبرها المراقبون بمثابة صعود لنجم الشيعة، هى فى عمقها نقل لثقل المركز الشيعى السياسى والمرجعى والقيادى من الجانب الفارسى ممثلا فى إيران ودولتها الإسلامية، إلى الجانب العربى ممثلا فى شيعة كل من العراق ولبنان. وعلى الرغم من أن ذلك لم يتحقق بصورة كاملة ، إلا أننا نشهد عملية مخاضه وولادته فى الوقت الراهن، وهو ما يمكن أن يتحقق كاملا خلال سنوات قليلة. وقد عجل انتصار حزب الله فى لبنان من تحقيق هذه النتيجة وساعد على بلورة التوجه العام الخاص بمركز الثقل الأساسى لدى الشيعة فى منطقة الشرق الأوسط، وهو ما سوف يترتب عليه فى المستقبل نتائج مشابهة خاصة بالاقليات الشيعية فى دول العالم سواء فى أفريقيا أم فى أوروبا أم الأمريكتين .

ولهذا الأمر أهميته على الصعيدين الروحى والاقتصادى ، فمن جهة فان "العشور" سوف تدفع لمرجعيات عربية بما يعنى حرمان الاقتصاد الايرانى منها، فضلا عن ذلك فان المكانة الروحية والسياسية لإيران سوف تهتز بما يمكن أن تكون له تداعيات أخرى سلبية عليها خاصة على الصعيد السياسى والدولى، لأن واحدة من الركائز السياسية التى تعتمد عليها إيران هو قيادتها للشيعة فى العالم. ويمكن فى المستقبل البعيد أن تتحول إيران فى هذا الخصوص من دولة قائدة على الصعيد الدينى والروحى إلى أخرى تابعة أو على أقل تقدير إلى دولة عادية مثلها مثل البحرين أو أى دوله بها أكثرية أو أقلية كبيرة من الشيعة فى المنطقة .

والحاصل أن إيران لابد عليها من القيام بخطوات من أجل الحيلولة دون حدوث التطورات السلبية عليها كمرجيعة لشيعة العالم، وهذه الخطوات يمكن أن تؤجل الآثار السلبية لكن لن تحول دون وقوعها. وقد قامت إيران بالفعل بخطوات خاصة بالعراق عندما سقط النظام وسيطر الشيعة على الدولة العراقية ، حيث مدوا خطوط الاتصال مع تيار مقتدى الصدر المتمرد على السلطة السياسية وعلى القيادات الروحية العراقية وهذه الخطوة أعطت لهم هامش للتحرك والتأثير فى مجريات الأمور بالعراق، وهو الأمر الذى يمكن توقعه بالنسبة للبنان ولكن بعد فترة من ترتيب البيت اللبنانى بين حزب الله وباقى أطراف المعادلة اللبنانية .

نتائج انتصار حزب الله على السياسة الإقليمية الإيرانية:

إذا كان انتصار حزب الله فى معركته ضد إسرائيل أرجأ تنفيذ الخطة الأمريكية الخاصة بالشرق الأوسط الجديد والتى أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس عن أن الحرب ماهى إلا مخاض لهذا النظام الاقليمى الجديد ، فان هذه الخطوة تعد مكسبا إقليميا لإيران ، لكنه للأسف يعد مكسبا مؤقتا وليس دائما ، لان تطورات الأحداث التى أعقبت الحرب تقول بان الاهتمام الدولى بمنطقة الشرق الأوسط قد زاد الآن عنه قبلها بما يعنى أن الخارج ممثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا سوف يسعيان لتحقيق نفس

النتائج التى كانت منتظرة من الحرب فى مرحلة ما بعدها ،خاصة فى ظل الترتيبات الإقليمية التى تتم صياغتها الآن لتصبح بمثابة النظام الاقليمى الجديد . وقد كان السائد فى التحليلات الغربية أثناء الحرب أنه يمكن إعطاء حزب الله بعض المكاسب الداخلية أو حتى الإقليمية ولكن مع حرمان الحلفاء الإقليميين له أى سوريا وإيران من تحقيق أية مكاسب فى هذا الخصوص . ونتوقع أن تسير الترتيبات الحالية ومعظمها يتم على الصعيد اللبنانى الداخلى ،على نفس النهج الذى يحرم إيران بالذات من أى مكاسب إقليمية بالنظر إلى ان المصالح الإسرائيلية المتعلقة بضرورة حصار وعزل حزب الله من أجل الحد من خطورته على الأمن الإسرائيلى تتطلب إعطاء سوريا مكاسب ما لكى تبتعد عن حزب الله ومن هنا يمكن تفسير الأصوات الصاعدة فى إسرائيل التى تطالب بتفعيل المسار السورى الإسرائيلى فيما يتعلق بمفاوضات السلام بين الجانبين . وخطورة هذه الخطوة المزدوجة أى إعطاء سوريا مكاسب على صعيد تسوية الصراع العربى الاسرائيلى ومنح حزب الله مكاسب داخلية وإقليمية أنها سوف تؤدى فى النهاية إلى عزل إيران أو خروجها من هذا الاستحقاق شرق الأوسطى بخسائر إقليمية تتمثل فى انفضاض حلفاء إقليميين لها عنها لصالح مشروعات أخرى أو حتى من دون مشروعات أخرى إقليمية أو دولية .

ومجمل القول فى هذا الخصوص أن واحدا من الأهداف التى سوف تضعها الولايات المتحدة نصب أعينها وهى تبحث فى ترتيبات ما بعد الحرب فى لبنان سوف يكون حرمان إيران من أى مكاسب يمكن أن تكون قد تحققت لها أثناء الحرب ، وعزلها بحيث يسهل فى المستقبل توجيه ضربة عسكرية لها أو حتى حصارها اقتصاديا . فبالطبع كلنا يعلم أن الولايات المتحدة تسعى إلى توجيه مثل هذه الضربة العسكرية إلى إيران ، وهى مازالت تتحرش بها على خلفية ملفها النووى وهى لن تتنازل قيد أنملة عن هذه المواجهة التى تهدف إلى إسقاط النظام الايرانى، وإن كانت حتى هذه اللحظة لم تحدد موعدها أو شكلها لكنها فى اغلب الأحوال تضع نصب أعينها الهدف الاساسى المتمثل فى إسقاط هذا النظام وتعطى لذلك أولوية قصوى قد تدفعها إلى إعطاء أعداء إقليميين لها مثل سوريا وحزب الله مكاسب من أجل تحقيق أولويتها القصوى التى سبق لنا الإشارة إليها . وبالتالى يمكننا القول من دون أية مبالغة أن إيران يمكن ان تكون الطرف الاقليمى الأكثر خسارة من انتصار حزب الله ضد إسرائيل لكنه يأتى فى هذا المقام بالتأكيد بعد إسرائيل أى الطرف المهزوم فى هذه المواجهة العسكرية .

ما بعد العدوان على لبنان: هل يعود التقارب بين السنة والشيعة؟

■ عادل عبد الصادق
باحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام

طرحت الحرب الإسرائيلية على لبنان وتداعياتها والتى قامت بين حزب الله اللبنانى وإسرائيل والتى انتهت بنصر باهظ الثمن لحزب الله عدة تساؤلات حول العلاقة بين السنة والشيعة فى العالم العربى، خاصة بعد ما أثير حول المخاوف من الصعود الشيعى فى المنطقة فى إطار هلال شيعى مقابل هلال سنى، وكذلك وجود محاولة غربية لتكتيل الدول العربية السنية ضد ما أسمته تارة بالإرهاب الشيعى ! وتارة أخرى بقوس التطرف! .كما صرح بذلك رئيس الوزراء البريطانى تونى بلير أو بالفاشية الإسلامية كما أعلن الرئيس الأمريكى جورج بوش ..!

و قد عملت الولايات المتحدة منذ البداية على جذب الدول العربية إلى جانبها ضد حزب الله والمقاومة اللبنانية، وعملت على إظهار الأجندة الإسرائيلية باعتبارها أجندة العالم أجمع، كما عملت على تجسيد الحدث باعتباره معركة إقليمية ضد القوى الصاعدة فى الإسلام الأصولى وطموحات إيران النووية وضد محور طهران دمشق حزب الله - بالإضافة إلى حماس- وجاء انتصار حزب الله ليقوى علاقته بالشيعة العرب وكذلك شيعة إيران إلى جانب التقارب مع الأغلبية السنية فى العالم العربى ليعيد الاعتبار إلى اللاعبين الإقليميين المغيبين عن مستقبل المنطقة وهما إيران وسوريا حيث أثبتت تلك الحرب أنه لا استقرار إلا بدور إيرانى سورى فى المنطقة وأصبحت المنطقة أمام تصدير ثورة المقاومة على غرار ثورة الخمينى عام ١٩٧٩، وتبعات ذلك على العالم العربى والإسلامى والى إدارة الاختلاف داخل الإسلام وبينه وبين الآخر فى إطار أزمة الدولة العربية .

ظهور سياسى وعسكرى شيعى:

يعد انتصار حزب الله أول نصر شيعى فى مواجهه مع إسرائيل فى حين فشلت الدول السنية فى أغلب مواجهاتها مع إسرائيل، وكان أول ظهور عربى حديث للشيعة على المستوى السياسى بعد انهيار نظام صدام حسين وهو ما أدى إلى تخوف المحيط العربى السنى من تداعيات ذلك على مستقبل المنطقة واستقرارها، وكذلك مستقبل النفوذ الإيرانى فى الشرق الأوسط ، وبالمثل أدى انتصار حزب الله فى حربه مع إسرائيل إلى ظهور سياسى وعسكرى آخر للشيعة ولكن على المستوى الشعبى، حيث شهدت هذه الحرب مواقف رسمية عربية متحفظة تجاه حزب الله بينما جاءت الشعبية الجارفة لحزب الله لدى الشعوب العربية .

وعكست الأزمة اللبنانية فى مجملها أزمة النظام الإقليمى العربى إلى جانب تكشفها لأزمة أخرى أعمق وهى أزمة بناء الدولة العربية سواء ما يتعلق بها من علاقة بين الرأى العام والقرار السياسى وأزمة ثقافة الرأى والرأى الآخر داخل التيارات السياسية والحزبية المختلفة بما يسمى بإدارة أزمة الاختلاف.

وجاء إلى جانب ذلك عنصر آخر إيجابى هو تلاحم الشعوب العربية بكل طوائفها مسلمين سنة وشيعة وكافة الطوائف الأخرى سواء فى لبنان أو على اتساع العالم العربى وتنويعاته الطائفية بعيدا عن الموقف الرسمى من حزب الله، وجاء ذلك حين أسقطت الجماهير العربية دعاة التكفير ونفى الآخر وتحفظ الأنظمة وأصبح المواطن العربى لا يعنيه الطائفية بقدر ما يعنيه القضية والغاية والتاريخ، وبذلك ارتفع سقف التطلعات الشعبية العربية فوق ما حاولت أنظمتها السياسية والأطراف الخارجية قولبته فى نماذج جامدة تستغل فيها قلة المعرفة والوعى عن الآخر ومحاولة بث الكراهية بين السنة والشيعة .

ففى الواقع أن ترويج الشيعة داخل العالم العربى على أنهم كانوا خونة وعونا للاحتلال الأمريكى للعراق يكتنفه الكثير من الشك، فعلى الرغم مما آلت إليه الأوضاع فى العراق من مكاسب سياسية كبيرة للشيعة إلا أن ذلك لم يحل دون أن توجد مقاومة شيعية للاحتلال بشكل دعى إلى اتهام السفير الأمريكى فى

بغداد زلماى خليل زاد لإيران بتحريض الشيعة ضد الاحتلال الأمريكى بالتزامن مع حرب لبنان ،كما أن حركات المقاومة السنية لا تقاتل الشيعة بقدر ما تقاتل ما تراه عمالة وتعاون مع القوات المحتلة تمتد لتصل إلى السنة أيضا. فعلى الرغم من محاولة تنظيم القاعدة تكفير الشيعة فان تلك المحاولة لم تلق أى تأييد أو تعاطف معها كبير داخل العراق وفى العالم العربى .

فالمعاناة الشيعية من الاحتلال الأمريكى تخضع ضمن معاناة السنة العراقيين الشركاء فى وطن واحد وعلى تصاعد حدة المقاومة الشيعية للاحتلال والمظاهرات التى نددت بالعدوان الإسرائيلى على لبنان تأتى فى إطار دفع الحلقة الشيعية للمقاومة مع الحلقة السنية وهذا ما اتضح فى تزايد عدد القتلى الأمريكيين فى العراق. خاصة مع تصعيد تيار مقتدى الصدر من غضبه على الاحتلال، والذى لا يقف بعيدا عن المقاومة الشيعية للاحتلال الإسرائيلى لجنوب لبنان وفى حرب يوليو ٢٠٠٦ .

فهناك تخوف أمريكى من نقل استراتيجية القتال لدى حزب الله إلى مقاومى الاحتلال الأمريكى فى العراق خاصة بعدما حققت نجاحاً فى مواجهة إسرائيل والآلة الأمريكية الداعمة لها، وهذا سيكون من شانه اعتبار بقاء القوات الأمريكية بتلك الإستراتيجية فى العراق أمرا فى غاية الخطورة عن الوضع الحالى المؤلم للقوات الأمريكية ولعل اجتماع نائب رئيس الوزراء شيمون بيريز مع دونالد رامسفيلد فى واشنطن فى ١٧ /٢٠٠٦/٨ عكس ذلك التخوف إلى جانب تطييب خاطر الولايات المتحدة بعد فراغ صبرها من نصر حاسم لإسرائيل فى جنوب لبنان بشكل دعى الولايات المتحدة على لسان بوش بان الحرب على حزب الله جزء من المواجهة بين الحرية والإرهاب ومن ثم إيجاد غطاء دولى لنزع سلاح حزب الله .

فبعد أن فشلت الولايات المتحدة فى اتخاذ العراق كنقطة انطلاق لتغيير المنطقة وما أسفر عنه من تعثر للمشروع الأمريكى فى العراق أصبحت فى حاجة إلى نموذج بديل يكون بمثابة انطلاقة جديدة لشرق أوسط جديد تكون بداية من لبنان بتنويعاته الطائفية وتصدير ذلك النموذج الى العالم العربى.

هلال شيعى وهلال سنى

كشفت المواجهة بين تحالف حزب الله وحماس ضد إسرائيل ومن خلفها الولايات المتحدة من ناحية عن حجم وروح الممانعة ضد فرض الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية على الرغم من عدم تكافؤ القوة، ومن ناحية أخرى فقد أماطت اللثام عن بعض ما يحاك ويراد تطبيقه على العالم العربى من قبل الولايات المتحدة حفاظا على مصالحها وأمن إسرائيل، ومن ثم فقد سعت الولايات المتحدة إلى تحقيق أهدافها بكل السبل الممكنة، فالقوى الناعمة فشلت وهاهى القوى العسكرية تفشل إذا ما هو الحل؟، أدركت إدارة بوش أن الحل يكمن فى استغلال الاختلاف المذهبى بين السنة والشيعة- فضلا عن ملف الأقليات - فى تأجيج الصراعات بين الطرفين من أجل صرف المقاومة عن عدوها الأصلى وسحبها إلى معارك داخلية يتم استنفاد قوى حركات المقاومة للولايات المتحدة وإسرائيل فى ذلك الصراع وبشكل يمهد لوصاية أمنية أمريكية إسرائيلية على المنطقة بما يعزز فرص إقامة شرق أوسط جديد وفق أسس جديدة.

وجاء موقف الدول الغربية محاولا دفع الدول العربية السنية إلى اتخاذ موقف متشدد تجاه حزب الله والتى لا تختلف عن السياسات التى كانت تنتهجها النظم الاستعمارية تجاه وحدة الدول العربية، فقد كشفت صحيفة الصنداى تلجراف البريطانية يوم الأحد ٢٣ يوليو الماضى عن سعى إدارة بوش لإيجاد مظلة من الحلفاء العرب ضد حزب الله من خلال بناء معارضة عربية سنية ضد ما تسميه الولايات المتحدة بالإرهاب الشيعى فى إطار ما سمته إعادة بناء الشرق الأوسط من جديد .

واعتبرت إسرائيل تحميل العرب السنة مسئولية التصعيد على حزب الله على أنه رضاء عربى عن الحملة العسكرية تكمن ورائها خلاف مذهبى يمكن تسويقه أمريكيا ، وهذا ما ساعد بلا شك فى رد الفعل العنيف الإسرائيلى تجاه حزب الله .

وتطرح الولايات المتحدة الهلال الشيعى الممتد من إيران والعراق وسوريا وحزب الله مقابل المسلمين السنة والقوميين العرب وحلفاء صدام فى حربه مع إيران كالسعودية ومصر والأردن وغيرها من الدول العربية من أجل الدفع نحو حرب إيرانية أمريكية أو عربية بالوكالة .

وجاء الموقف العربى الرسمى من حزب الله ليؤثر على شرعيتها وتماسكها الداخلى، وطرحت من جديد العلاقات مع إيران والولايات المتحدة وإسرائيل ، وأصبحت الدول العربية أمام خيار انتهاج سياسة خارجية تعادى حزب الله متغافلة الضغط الشعبى الذى أخذ ينمو بشده مع تزايد المواجهات، أو المساهمة فى فقدان ثقة حليفتها الولايات المتحدة والتضحية بالعلاقة مع إسرائيل -الرسمية وغير المعلنة- ولعل

حيرة الدول العربية لم تدم طويلا بحسم حزب الله المعركة بصموده وبطولاته التى شهدت بها إسرائيل قبل غيرها، وأدى ذلك الصمود مع العجز العربى حيالها إلى انتقال الأزمة اللبنانية إلى داخل الدول العربية والتى ظهرت فى شكل صراعات واتهامات بين المثقفين على المستوى السياسى وبروز مظاهرات رأت فيها الأنظمة العربية مقدمة لزيادة نفوذ التيار الإسلامى بداخلها مما يهدد شرعيتها ومستقبلها السياسى، وعلى الجانب الآخر تحولت الجماهير العربية من الطائفية إلى التوحد خلف المقاومة مما زاد من عزل وغربة النظام السياسى .

ففى الحالة السعودية والتى شهدت موقفا متجمدا فى البداية من حزب الله أدى بها الضغط الشعبى السنى والشيعى إلى التراجع والتى شهدت - السعودية - لأول مرة فى تاريخها مظاهرات شيعيه مؤيدة لحزب الله ، إذا عندما أرادت السياسة الخارجية السعودية القضاء على الخوف من الصعود الشيعى فى العراق ولبنان - حزب الله- وما يمكن أن يشكله من تمدد لنفوذ إيران فى العالم العربى ، أدت المعالجة السعودية إلى الوقوع فى خطر التضحية بتماسكها الداخلى بين السنة والشيعة على حساب سياسة خارجية تعتمد على هواجس يغذيها الغرب ضد إيران ، والتى لم تخف بعض الدوائر الغربية عن خطتها لشرق أوسط جديد يتضمن ظهور دول طائفية فى إطار ما يسمى بحدود الدم .

وجاءت سياسة الولايات المتحدة المؤيدة لإسرائيل فى حملتها بشكل لا يتم الاستبعاد بأن زيارة أولمرت إلى الولايات المتحدة قد تم فيها التعاون والتنسيق حيال تلك الخطة التى كانت تعد لها إسرائيل منذ عامين لتصفية حزب الله اللبنانى والتى جاءت تأكيداً على البرنامج الانتخابى لأولمرت والذى وعد بحدود آمنه لإسرائيل بحلول عام ٢٠١٠ .

وقد حاولت الولايات المتحدة استثمار الصعود الشيعى فى العراق والذى جاء على غير رغبتها فى التخوف السعودى المتواصل وعدم الرضا عن السياسية الأمريكية فى العراق والتى جاءت بأساليب تخدم إيران وتوسع دائرة نفوذها فى الشرق الأوسط وليس الخليج وحسب، و جاءت الفتوى الدينية السعودية التى حرمت الوقوف مع حزب الله فى إيران تكرارا للفتاوى التى صدرت لتكفير نظام صدام حسين البعثى، وقبل ذلك تكفير شيعه إيران إبان حربها مع العراق وهذا ما يعكس أثر تدخل الدين وتسيسه فى دفع السياسات الخارجية لدول الخليج وفى المنطقة ككل ، وقد أثار ذلك الاستياء وسط المسلمين السنة فى الدول العربية وخاصة الأخوان المسلمين ، ليواكبها حملة فتاوى مضادة تقر بفرضية مساعدة حزب الله فى حربه مع إسرائيل .

ويستهدف المخطط الأمريكى القيام بعملية الفصل بين سوريا وإيران من أجل استيعاب سوريا مع عرض أمريكى بالحفاظ على النظام السورى - والذى يعكس فى مضمونة الخوف من تنامى القوى الإسلامية فى سوريا إذا ما سقط نظام الأسد العلمانى - وبالتالى تحقيق عزلة إيرانية عن العالم العربى وعن التواصل مع شيعة لبنان عبر حزب الله ، وتكوين جبهة عربية تجاه الخطر الإيرانى على دول الخليج وخاصة تعظيم الهواجس تجاه ملفها النووى وخطر الصعود الشيعى واختلال موازين القوى بين إيران والعرب السنة وبالتالى إبعاد إسرائيل كتهديد لأمن الدول العربية كقوة عسكرية ونووية، وأن يتم ذلك عن طريق تدويل العالم العربى لمحاربة إرهاب القوى المتطرفة فى المنطقة (حماس وحزب الله) وأى قوة إسلامية أخرى قد تشكل خطرا على أمن الولايات المتحدة وإسرائيل .

وتتركز الاستراتيجية الأمريكية على أسبقية الأمن على الديمقراطية والرخاء الاقتصادى الموعود ومن ثم فإنها تسعى إلى تصفية ونزع سلاح أى حركات مقاومة تشكل بدورها عائقا أمام الهيمنة الأمريكية فى المنطقة وعلى أمن إسرائيل وذلك من خلال وضعها فى إطار ما يسمى بالحملة ضد الإرهاب حتى لو جاءت تلك القوى عبر صناديق الاقتراع كحركة حماس وحزب الله، وما حملته من مخاوف أمريكية من أن تمتد باكورة التعاون بين حزب الله وحماس فى مقاومة إسرائيل إلى بقية العالم العربى خاصة العراق ضد الاحتلال الأمريكى ، كذلك التخوف من تحالف شيعى يضم العراق وإيران وسوريا الأسد وأجزاء من السعودية وحزب الله بما يشكل تهديدا وضربة قوية للاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة، ويتم استغلاله أمريكيا لابتزاز دول الخليج التى تحوى أقليات شيعية تقع فى مناطق هامة من مصادر الطاقة .

وأصبحت المنطقة ما بين رؤية غربية ترى ضرورة القضاء على حزب الله وإسقاط حكومة حماس، وبين رؤية أطراف الممانعة العربية والتى ترى شرق أوسط تنتصر فيه المقاومة كسبيل لحل الصراع سواء أكان فى فلسطين المحتلة أو فى العراق مستندة إلى نجاح المقاومة الإسلامية بقيادة حزب الله على الرغم من فداحة الثمن ، وبشكل يحرك الصراع شيئا فشيئا إلى أنه صراع وجود بين طرفين يفتقدا فيه إلى حوار وسطى بينهما يخرج المنطقة من تلك الحالة.



التقارب السنى الشيعى

حماس وحزب الله حركتان استطاعتا بالوسائل الديمقراطية وفق المعايير الغربية أن يكون لهما حضور سياسى بفوز الأولى فى الانتخابات الفلسطينية والثانية بثلث مقاعد المجلس النيابى اللبنانى ، وجاء التنسيق بينهما واضحا فى عملية أسر الجندى الإسرائيلى فى غزة بالتزامن مع عملية حزب الله بأسر جنديين وقتل آخرين، وجاء هذا التحالف فى مواجهه تحالف إسرائيل والولايات المتحدة اللتين أرادتا إسقاط حكومة حماس والقضاء على حزب الله بما شكل كشفا واضحا عن نوايا الديمقراطية التى تريدها الولايات المتحدة، وجاء التنسيق بين حركة حماس السنية وحزب الله الشيعى ليضفى واقعا جديدا مخترقا ما يتم الترويج له من خلافات شيعية سنية على مستوى العالم العربى وكذلك مع إيران والتى لا ينكر أحد أنها استفادت استراتيجيا بما حدث فى العراق وما حدث فى لبنان ، لأنها أولا تخلصت من النظام البعثى السنى ذو البعد القومى العربى المعادى لإيران ، وأتى الآخر بردع إسرائيل عن طريق انكسار شوكة العسكرية الإسرائيلية فى المنطقة ووقوعها فى حرب جديدة من المرجح تكرارها إذا ما اعتدت على إيران، وينظر شيعة إيران إلى الشيعة العرب من زاويتين: الأولى الراديكالية ترى أنهم مؤهلون إلى صداقة حقيقية مع إيران لأن العداء لهذا البلد كان مزروعا فى أيديولوجية القومية العربية. ، ومن ثم فهم مؤهلون إلى سيطرة شيعية على إيران ومحاربة السلفيين السنة .

وهذا التيار غير ذى شعبية فى إيران لصالح تيار واقعى يرى أن الشيعة العرب لهم استراتيجيتهم وولائهم للعروبة ومن ثم فإننا لكى نتخطى حساسية العلاقة مع إيران فلابد من التركيز على أن تحتل إيران موقعا إقليميا . وأن الإسلام فى مجملة يواجهه تحديات خارجية تستلزم التوحد لمواجهتها .. ومن هنا نرى حملة أحمدى نجاد ضد إسرائيل والولايات المتحدة. ولهذا أيضاً يقومون بالحملة ضد الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبى صلى الله عليه وسلم وضد المحرقة اليهودية.. وحتى عندما دعا الزرقاوى لقتل الشيعة فى كل مكان أعلن الجنرال ذو القادر نائب رئيس الحرس الثورى الذى يعتبر أقوى رجل فى طهران أن الزرقاوى لا وجود له وأن هذا كلام عملاء إسرائيليين أرسلوا لتقسيم المسلمين..

وتأكد ذلك فى الحرب الإسرائيلية على لبنان والتى رأت فيها إيران أنها حرب على الإسلام والغرب على أرض لبنان، وقامت إيران بزيارات عدة إلى الدول العربية قادها منوشهر متقى وزير الخارجية والذى حصل خلال زيارته لمصر فى ١٧ أغسطس على تأكيد الرئيس مبارك أنه يجب أن تختفى نبرة السنة والشيعة إلى الأبد فى المنطقة، وخاصة أن مصر رفضت سياسة المحاور فى المنطقة ، ورفضت مصر أخذ المنطقة فى سبيل التشدد تجاه إسرائيل فى ظل سعى إيران إلى انتهاج خطاب إسلامى يجمع بين معاداة الإمبريالية والقومية العربية ومعاداة إسرائيل، وتسعى إيران إلى أن تصبح قوة إقليمية كبرى وكذلك العمل على منع قصف منشاتها النووية ، ويجمع إيران والعرب قضية فلسطين والتى تحاول إيران أن يكون لها دورا بها فى حين يعارض العرب أى دور إيرانى فى الملف الفلسطينى مقابل دور مصر والسعودية .

أما على الجانب غير الرسمى فقد أعلن حزب الله أن ما يحدث عبارة عن مؤامرة ضد العرب والمسلمين من التحالف الغربى بقيادة الولايات المتحدة على أرض لبنان، كما تتم على أرض العراق وأفغانستان وهذا الموقف يتقاطع مع تنظيم القاعدة والذى عبر عنه الظواهرى فى شريطه الاخير بوعده بالرد على ممارسات إسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة فى لبنان وفلسطين، وهذا يعكس تحولا فى فكر تنظيم القاعدة والذى حاول فى فترات سابقة عدم التدخل فى كلا الملفين اللبنانى والفلسطينى لاعتبارات تخص حيادية المقاومة ومحاولة فصلها عن ما تسمية الولايات المتحدة بالحرب على الإرهاب ، ومن ثم فان إدخال تنظيم القاعدة فى المواجهة سيحول دون شك فى إعطاء ذلك المخطط الأمريكى فرصة حيث أبرزت توحد الإسلام السنى بقيادة تنظيم القاعدة وحماس إلى جانب الإسلام الشيعى بقيادة حزب الله وإيران ضد الغرب وإسرائيل وهذا عكس ما تعول عليه الولايات المتحدة وإسرائيل من تعميق درجات الخلاف بين السنة والشيعة فى العراق وبالتالى تصديره إلى العالم العربى والذى يحوى اقليات شيعية ومن ثم فان حدوث اضطرابات فى منطقة الخليج ستستند على تدخلا عسكريا أمريكيا وغربيا للحفاظ على منابع النفط، وكذلك تحويل التوترات الطائفية إلى كيانات فى طول العالم العربى وعرضة لإضعاف الحكومة المركزية إلى أن تشمل إقامة دول مستقلة خاصة بتلك الكيانات الطائفية وإضعاف وتماهى الهوية العربية - الاسلامية ومن ثم إضعاف روح المقاومة.

وتأتى تلك المحاولات فيما كشف عنه وسوقت له وزيرة الخارجية الأمريكية بشرق أوسط جديد يتضمن محاولة تفتيت العالم العربى بين طوائفه وأقلياته من اجل إضعاف الدولة المركزية وإضاعة الهوية القومية

بما يسهل من مهمة الولايات المتحدة من الاستغلال والسيطرة على مقدرات العالم العربى وحماية إسرائيل ومحاربة ما تراه من القوى المتطرفة فى المنطقة ، وان يتم ذلك فى إطار دولى تحت مسمى الحرب على الإرهاب وتدويل أكبر للشان العربى الداخلى .

ويرجع بعض من أسباب تقليل الفجوة بين السنة والشيعة إلى :

١- ما قام به حزب الله اللبنانى من دفع إسرائيل للانسحاب من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠ . ونجاح حزب الله فى تحقيق انتصار تاريخى فادح الثمن عجزت عن تحقيقه جيوش دول عربية فى مواجهه إسرائيل فى غضون ٣٤ يوما بدأ فى ١٢ يوليو ٢٠٠٦ .

٢- حرص قيادة حزب الله على التأكيد على وطنية المقاومة وعروبتها ووحده الصف اللبنانى وعلى أن انتصارها لن يأتى على حساب أى طرف لبنانى بل هو نصر للجميع وهذا الموقف قد سحب البساط من تحت القوى المعارضة له سواء فى السر أو العلن .

٣- أدى وقوف الولايات المتحدة المؤيد مع إسرائيل فى الحرب على لبنان إلى مزيد من الإحراج لدى الأنظمة العربية، خاصة أن تأييد حزب الله قد تعدى الحدود العربية ، ومن ثم بدا واضحا أن موقف الولايات المتحدة يأتى فى النهاية لصالح القوى المتطرفة فى المنطقة وليس للقضاء عليها .

٤- أدى التكاتف الشعبى بصفة عامة إلى تعاطف شيعة العراق مع شيعة لبنان وتزايد المواجهات بين الشيعة والقوات الأمريكية ردا على العدوان الإسرائيلى على لبنان .

٥- غياب الوعى الطائفى لدى الشعوب العربية بما هو شيعى وما هو سنى اللهم إلا فى الكلمات المختزلة التى لا تمت إلى الواقع بصلة .

٦- وضوح الهدف المشترك وهو الدفاع عن الأرض المحتلة والتى تتعاطف معها الجماهير العربية اكثر من فكرة إلقاء إسرائيل فى البحر ومن ثم ظهرت المقاومة كفكرة شرعية تجاه الاعتداء على الوطن والأرض والنفس .

٧- إدراك الدول العربية أن أى استقرار فى العالم العربى لا بد أن يأخذ فى اعتباره الدور الإقليمى لإيران، وكذلك سوريا هذا ما كشفت عنه المواجهة وعبرت عنه مصر بشكل قوى.

٨- نجاح المقاومة الإسلامية بقيادة شيعية ضد الاعتداء الإسرائيلى ونجاحها فى الصمود، إلى جانب وجود المقاومة المسلحة ذات الطابع السنى فى العراق ضد الاحتلال الأمريكى دعت إلى التعاون بينهم فى مواجهة التعاون الأمريكى الإسرائيلى على دولهم.

٩- أدى الكشف عن مخطط الشرق الأوسط الجديد الذى تتبناه الولايات المتحدة وتحاول إسرائيل المساعدة الأمنية فى بنائه إلى وجود إحساس لدى الجميع بالخطر المشترك

١٠- ظهور فقه الواقع وأهميته فى تقريب بين المذاهب الإسلامية وكذلك أهمية بناء الدولة الوطنية بينها وبين غير المسلمين .

١١- إدراك الأنظمة العربية لخطورة تغافلها لهذا التعاطف الشعبى مع حزب الله والتى فضلت الجهات الرسمية تعبير المقاومة اللبنانية وذلك خوفا من حفز صعود التيار الدينى فى المنطقة.

مستقبل العلاقة

الشيعة والسنة يشتركون فى الأصول ، والمذهب الشيعى مثل كل المذاهب طالته بعض الأساطير والخرافات خاصة فى عهد الدولة الصفوية وأضفوا على أئمتهم قدرات خارقة وذلك بهدف نشر مذهبهم، وقد أفتى الشيخ محمود شلتوت مفتى الديار المصرية الأسبق أن مذهب الاثنى عشر الذى يعتنقه الشيعة مثل المذاهب الأربعة فى السنة. إلا أن محاولات الوقيعة بينهما مازالت مستمرة، كما فى العراق وإن كانت العلاقة بين كلا من المذهبين تحتاج إلى إعادة تقييم واعادة إحياء الحوار داخل الإسلام لأنها البداية الحقيقية لقبول الآخر ودعم بناء الدولة المدنية.، وكذلك ضرورة فتح حوار ايرانى - عربي (شيعى سني) حيث لا يمكن استبعاد دورها الإقليمى المتزايد فى المنطقة .

بعد الحرب على لبنان: هل تدخل العلاقات الإيرانية - التركية مرحلة جديدة؟

■ محمد عباس ناجى
باحث متخصص فى الشئون الإيرانية

مثلت الحرب الإسرائيلية على لبنان التى امتدت ٣٣ يوماً بداية مرحلة جديدة لإعادة صياغة الترتيبات الإقليمية، سواء لجهة إقامة تحالفات إقليمية جديدة، أو لجهة صعود قوى إقليمية تسعى إلى ممارسة دور إقليمى ترى أنها تملك من الموارد والإمكانات ما يؤهلها إلى تحقيق هذا الهدف، وتبدو كل من إيران وتركيا نموذجان واضحان لهذا النوع من القوى.

بالنسبة لإيران، ربما يمكن اعتبار الملف اللبنانى أحد أهم الملفات الأساسية فى تحركاتها الإقليمية والتحركات المضادة، فالحرب الإسرائيلية التى دارت رحاها على لبنان لأكثر من شهر، على خلفية العملية التى قام بها حزب الله فى ١٢ يوليو ٢٠٠٦ فقتل ثمانية جنود إسرائيليين وأسر اثنين، هى أكثر من محاولة للقضاء على حزب الله، وإنهاء تهديده لإسرائيل. فهى جزأ من مواجهة أكبر بين الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها إسرائيل من جهة وإيران وسوريا من جهة أخرى.

لذا لم يكن مستغربا إطلاق اتهامات أمريكية وإسرائيلية لكل من إيران وسوريا بالمسئولية عن إشعال الأزمة وتسخين الجبهة الشمالية لإسرائيل من خلال تحريض حزب الله على القيام بعمليته. ففى هذا السياق، وصف وزير الدفاع الإسرائيلى عمير بيريتس حزب الله بأنه "وحدة كوماندوز إيرانية متقدمة". وثمة تأكيدات أمريكية كثيرة ومهمة صدرت عن أشخاص لهم مكانتهم فى دوائر صنع قرار السياسة الخارجية الأمريكية، اعتبرت أن الحرب الإسرائيلية على لبنان هى مقدمة لحرب أمريكية إسرائيلية على إيران لحسم الملفات العالقة معها وعلى رأسها الملف النووى. كما تحدثت تقارير عدة عن وجود خطط أمريكية إسرائيلية معدة سلفا لمهاجمة حزب الله، فقد كتب الصحفى سايمور هرش، الذى تبنى مواقف انتقادية عدة من الإدارة الأمريكية أهمها كشفه فضيحة سجن أبو غريب التى كانت سببا فى هبوط كبير فى شعبية الإدارة الأمريكية على مستوى الرأى العام الأمريكى والعالمى، كتب فى مجلة ذى نيويوركر أن الإدارة الأمريكية متورطة فى الخطة الإسرائيلية ضد حزب الله، حتى قبل العملية التى قام بها الحزب فى ١٢ يوليو ٢٠٠٦، وجاءت هذه العملية لتعجل بشن الحرب ولتكون غطاءً لها. وأضاف أن الرئيس الأمريكى جورج بوش ونائبه ديك تشينى كانا واثقين من أن حملة قصف إسرائيلية ناجحة على مواقع حزب الله قد تهدئ من مخاوف إسرائيل بشأن أمنها. وقالت المجلة إن إدارة بوش كانت ترى فى هذه الحملة مقدمة لهجوم وقائى أمريكى محتمل لتدمير المنشآت النووية الإيرانية. وأضافت أن البيت الأبيض كانت له دوافع كثيرة لدعم حملة القصف، فإذا كان هناك خيار عسكرى ضد إيران فإنه من الضرورى القضاء على الأسلحة التى قد يستخدمها حزب الله للانتقام من إسرائيل. ورغم رفض مسئولى الإدارة الأمريكية لهذه الاتهامات، فإن ذلك لا ينفى أن النية كانت مبيتة لتنفيذ الخطط الأمريكية الإسرائيلية بشن حرب للقضاء على حزب الله.

لكن على الجانب الآخر، فإن ثمة مؤشرات عدة يبدو معها أن إيران لم تكن غائبة عن الأزمة منذ البداية، فرغم التبريرات التى قدمها حزب الله لعملية أسر جنديين إسرائيليين، لجهة أنها تهدف إلى تأمين الإفراج عن الأسرى اللبنانيين فى السجون الإسرائيلية، فإن معارضى الحزب فى لبنان وخارجه يعتبرون أن هذه العملية نفذت خدمة لجدول أعمال إيرانى قبل أى شئ آخر. فأسر الجنديين الإسرائيليين من وجهة نظر معارضى الحزب، وما تبعه من نتائج، خرق تعهدا كان

حـزب الله قـد تقـدم به فى مـؤتمر الحـوار الوطنى اللبنانى من أنه لن يقـوم بأى عـمل يجـر لبنان إلى الحـرب، وجـاء على وقع تعـثـر مـفـاوضـات سكرتيـر المجلس الأعلى للأمن القومى الإيرانى ومسئول الملف النووى على لاريجانى مع الدول الست (الدول الخمس دائمة العضوية فى مجلس الأمن وألمانيا) بشـأن عرض الحوافز المقدم لإيران على خلفية برنامجـها النووى. كما أن إيران كانت قد حذرت فى مناسبات مختلفة أنها ستستخدم نفوذها فى فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان، إذا أحيل ملفها النووى إلى مجلس الأمن وفرضت عليها عقوبات.

أما بالنسبة لتركيا، فقد بدا اهتمامها بممارسة دور إقليـمى بدءً من الحـرب الإسـرائيليـة على لبنان، وامتدادا لصدور قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ فى ١١ أغسطس الفائت، والخاص بوقف العمليات العسكرية بين إسـرائيل وحـزب الله فى جنوب لبنان، وانتـهـاءً بالجهود الدولية لتشكيل قوة الأمم المتحدة المؤقتة فى جنوب لبنان (اليـونيـفيل)، بدا مـسـتـغـربا من جـانب العـديد من الدوائر السـيـاسـيـة، كـون لبنان لا تمثل مـصلحة عليا لتـركيا بقـدر ما تمثل ملفات إقليـمية أخرى، فـخلال الأعـوام الأربعة الماضيـة، بدا جليا أن تركيا، التى تحتل موقعا استراتيجيا بين الغرب والشرق والتى تعـتبـر قطبا أساسيا فى هذه المنطقـة، قد نأت بنفسها عن تطورات وتقلبات الشرق الأوسط، وأن هذه الدولة العـمـلاقة التى كـان لهـا حضـورها الكاسح قـد تحولت إلى دولة ثانوية وهامشية.

ولذا تبـدو دراسـة مـحـددات ومـضـامين التـعـاطى الإيرانى - التـركى مع الحـرب الإسـرائيلية على لبنان، وتأثير ذلك على العلاقات بين الدولتين أكثر من ماسة

ملفات إقليمية متشابكة:

لاعـتـبـارات عـدة، ربما يمكن القـول أنه ليس من مـصلحـة تركـيا أن تمتلك إيران سـلاحا نوويا أو بروز نفـوذها الاسـتـراتيـجى فى المنطقـة، لأن ذلك يفـرز تداعيات سلبية على الأمن القومى التركي، خصوصا أن هناك تنافساً بين تركـيا وإيران فى منطقـة آسـيـا الوسطى الإسـلامـيـة، يقـابله قـاسم مـشـترك لتـركيا وإيران وسـوريا أيضـاً، وهو عـدم تمكين الأكـراد من إقـامـة دولة كـردية فى شـمـال العـراق. وبالإضافـة إلى ذلك، فـإن لتـركيـا اهـتـمـامـات اقـتـصـادية ونفطيـة فى إيران، حيث أن التجارة بين الدولتين فاقت ٤ مليارات دولار فى نهـاية العـام ٢٠٠٥، كـمـا توجد اتفـاقيـة تبـيع بموجبـهـا طهـران حتى عـام ٢٠٢٢ لأنقرة ١٠ مليارات متر مكعب من الغاز سنويا، إلا أن تركيا تتخوف من أن تسـتـخـدم طهـران مـوضـوع الغـاز للضـغط تركـيـا، فى الوقت الذى يدرس فيه الغرب وضع عقوبات على إيران بسبب برنامجها النووى.

القلق التركى من أزمة الملف النووى الإيرانى، بدا فى مـؤشـرات أسـاسـيـة أربع: أولهـا، إعـلان إدارة الرئيس الأمـريكى جـورج بوش عن إجراء تدريبات عـسكرية مع أنقـرة، تهـدف إلى منع إيران من الحـصـول على تكنولوجيا ومواد يمكن أن تستخدمها فى طموحاتها النووية. وثانيـتهـا، الزيارة التى قـام بهـا رئيس مـجلس الأمن القـومى التركى يغيت ألبـوغـان إلى واشنطن فى يناير ٢٠٠٦ وأعلن من هنـاك "عدم سعادة أنقرة لنقص الشـفافية فى برنامج الأبحاث النووية الإيرانية". وقيل وقـتـهـا إن مـحـادثات أردوغـان مع كـبـار المسئولين الأمـريكيين تركّزت على "تحديد دور تركيا فى احتواء طموحات إيران النووية".

ثم جاءت خطوة تركية ثالثة لا تقل أهمية وتمثلت فى صـدور قـرار تركى ببناء خمس محطات نووية دفـعة واحـدة، أولاها ستـبدأ العـمل العـام ٢٠١٢، ليس فـقط لتوليد ١٠ فى المائة من حاجات البلاد من الكهرباء، بل أولا وأسـاسا لمواكبـة التحـول السريع للجارة الشيعية الكبرى إلى قوة نووية.

أمـا رابعـهـا، فـيـتـمـثل فى الطلب الذى تقـدمت به تركـيا، إلى جـانب دول عدة، لشـراء صـواريخ أمـريكيـة مضـادة للصـواريخ، بسبب المخـاوف المرتبطة بالبـرامج النووية الإيرانية، حيث أبدت تركيا ودول مجاورة أخرى لإيران، اهـتـمـامـا مـتـزايدا بأنظمـة صـواريخ باتريوت المتطورة التى تشـمل الصـواريخ وبرامج إلكـترونيـة وقاذفات إلكترونية متطورة.

وكـان المعـهـد الملكى البريطانى (تشـتام هـاوس) قـد نشـر دراسـة جـديدة فى ٢٣ أغـسطس الفـائت بعـنوان: "إيران ودول الجوار والأزمات الإقليمية" جـاء فيهـا أن "تركيا ستشـعـر بأنها مجبرة على الانضمام إلى سباق التسلح النووى للحـفاظ على توازن القوى مع جارتها القـوية. وهذا سـيتم على أسـاس مـبدأ "الدمار المؤكد المتبـادل" الذى ينص على أن حجم التدمير الهائل الذى تسببه الانفجارات النووية، يشجع على ضبط النفس من جـانب الدول التى تمـتلك مـثل هذه الأسلحـة. ومن المحتمل أن يحكم هذا المبدأ، الذى ساد طيلة الحـرب البـاردة، إيران وتركيا الآن".

حرب لبنان والعلاقات الإيرانية - التركية:

ربما تمثل الحـرب الإسـرائيليـة على لبنان بداية مـرحلة جديدة فى العـلاقـات الإيرانية - التركية، على

خلفية التباين فى التعاطى الإيرانى - التركى حول أسباب الأزمة وتداعياتها، ففى الوقت الذى أيدت فيه إيران العملية التى قام بها حزب الله فى ١٢ يوليو فى شمال إسرائيل الفائت فقتل ثمانية وأسر اثنين، باعتبارها مقاومة وطنية ضد الاحتلال الإسرائيلى لجزأ من جنوب لبنان، وحيت استبسال مقاتلى حزب الله ضد القوات الإسرائيلية، بدا أن تركيا تميل أكثر إلى ما يسمى بـ"دول المعسكر المعتدل" الذى حمل حزب الله المسئولية عن إشعال الحرب، واعتبرها "مغامرة لا تتحملها المنطقة".

وإسقاطا على ذلك، أقدمت السلطات التركية على إنزال طائرتين إيرانيتين فى مطار دياربكر للتفتيش بناءً على مطالب إسرائيلية وأمريكية، بحجة أن الطائرتين ربما كانتا تحملان أسلحة إيرانية لحزب الله، ناهيك عن استخدام الجيش الأمريكى قاعدة انجيرلك العسكرية التركية كمخزن لإمداد إسرائيل بالقنابل و السلاح فى آخر أسبوع من الحرب. أضف إلى ذلك المؤشرات التى تؤكد وجود توجه سعودى - مصرى - تركى إلى إقامة حلف سنى مدعوم أمريكيا ضد المعسكر المعادى لواشنطن بقيادة إيران ويضم كلا من سوريا وحزب الله فى لبنان، وحركتى حماس والجهاد فى فلسطين، هذه المؤشرات دعمتها الزيارة التى قام بها العاهل السعودى الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى تركيا، فى ١٠ أغسطس ٢٠٠٦، وهى أول زيارة لملك سعودى إلى أنقرة منذ أكثر من أربعين عاما. وقالت صحيفة حيريت التركية أن الهدف الأساسى من الزيارة يتمثل فى إقامة حلف سنى بين السعودية وتركيا ضد كل من إيران وسوريا.

هذه التطورات فى مجملها دفعت الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله إلى توجيه انتقاداته لتركيا، "حيث صدر عن الحكومة التركية الكثير من ردود الفعل، لكنها لم تتجاوز حدود الكلام"، وقال نصر الله فى حديث لصحيفة "ايفرانسال" التركية أن "تركيا تمثل الحليف الكبير لإسرائيل، لكننا ننتظر من الحكومة التركية، مع ذلك، خطوات عملية تجاه ما يجرى فى الشرق الأوسط، فإسرائيل تقتل الأطفال والنساء والشيوخ بلا تفرقة وبلا رحمة ومع ذلك لم يقصف حزب الله المدنيين الإسرائيليين بالصواريخ".

التباين فى التعاطى الإيرانى - التركى مع تطورات الحرب الإسرائيلية على لبنان، استمر مع صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١، الخاص بوقف العمليات العسكرية بين إسرائيل وحزب الله وتشكيل قوة دولية مؤقتة فى جنوب لبنان فى ١١ أغسطس الفائت. فبينما بدا أن ثمة ترددا إيرانيا إزاء القرار، على خلفية انتظار الأخيرة لما ستؤول إليه تطورات أزمة الملف النووى بعد انتهاء المهلة التى حددها مجلس الأمن فى ٣١ أغسطس الفائت، وإصرار واشنطن على فرض عقوبات على طهران لعدم امتثال الأخيرة لرغبة المجتمع الدولى، أيدت تركيا القرار وأبدت موافقتها على المشاركة فى قوة اليونيفيل.

الاهتمام التركى بالمشاركة فى قوة اليونيفيل، مبعثه اعتبارات عدة، فأنقرة لا تريد من جهة تفجير أزمة جديدة مع واشنطن على غرار أزمة عدم مشاركتها فى غزو العراق فى مارس ٢٠٠٣، خصوصا أنها بذلت جهودا حثيثة من أجل إعادة العلاقات مع واشنطن إلى سابق عهدها. وهى لا ترغب من جهة أخرى فى تكرار خروجها من المعادلة العراقية وظهور كيان كردى من دون قدرة تركيا على التأثير المباشر فى الوضع هناك. أضف إلى ذلك رغبة الحكومة التركية، حسب ما أوردت بعض التقارير، فى مقايضة مشاركتها بالقوة الدولية فى الجنوب اللبنانى بسماح واشنطن للقوات التركية بمهاجمة معاقل حزب العمال الكردستانى فى شمال العراق.

لكن يبدو أن تمرير قرار مشاركة تركيا فى قوة اليونيفيل إقليميا لن يكون سهلا، فمن جهة، ثمة رفض من جانب الأرمن اللبنانيين الذين يقاربون الـ ٤٠٠ ألف نسمة ولهم تأثير فى الحياة السياسية والانتخابية والاجتماعية والاقتصادية، لفكرة إرسال قوات تركية إلى لبنان. حيث وزراء ونواب أرمن لبنانيون الحكومة اللبنانية بعدم القبول بمشاركة قوات تركية فى القوة الدولية، مبررين ذلك بأن الشعب الأرمنى لم ينس دور تركيا فى المجازر التى تعرض لها الأرمن فى القرن الماضى.

والأهم من ذلك، أن هذه المشاركة يمكن أن تعرض العلاقات الإيرانية - التركية إلى التوتر، خصوصا أن إيران تعارض إرسال قوة دولية ذات طابع هجومى من مهامها نزع سلاح حزب الله. وأية خطوة تركية بهذا الاتجاه تعرض المصالح الأمنية والاقتصادية التركية القائمة مع إيران للخطر ولا سيما التنسيق والتعاون فى الحرب ضد حزب العمال الكردستانى. وهى كلها تطورات تعنى أن العلاقات الإيرانية - التركية على أبواب مرحلة جديدة.

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١١٨١٧
الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 227 - 130 - 3



النشاط والأهداف

مركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام، يسعي إلي نشر الوعي العلمي بالقضايا الاستراتيجية العالمية والإقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأي العام بتلك القضايا، وترشيد الخطاب السياسي وعملية صنع القرار.

١- الدوريات

(أ) كراسات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩١ تتوجه أساساً إلي صانعي القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بالتحديات الاستراتيجية التي تواجه مصر والعالم العربي. وتصدر"كراسات استراتيجية" منذ يناير ١٩٩٥ باللغتين العربية والإنجليزية. ويرأس تحريرها د. طه عبد العليم

(ب) ملف الأهرام الاستراتيجي

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بتقديم تحليلات متخصصة حول الشئون الإقليمية، والتطورات الدولية والمحلية ذات الانعكاسات والأبعاد الاستراتيجية بالنسبة للمنطقة العربية والشرق الأوسط. ويحرره أ. محمد عبد السلام.

(ج) مختارات إسرائيلية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بالرؤي والتصورات والمواقف الإسرائيلية علي صعيدي الحكومة والمعارضة، وبالذات حول مجريات تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ومشكلاته ويرأس تحريرها د. عماد جاد.

(د) مختارات إيرانية

دورية شهرية تصدر منذ أغسطس ٢٠٠٠ تهدف إلي دراسة وتحليل التفاعلات الداخلية الإيرانية والعلاقات الإقليمية والدولية لإيران. ويرأس تحريرها د. محمد السعيد ادريس.

(هـ) قراءات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٦ تهتم بعرض القضايا الاستراتيجية الدولية والإقليمية من خلال اختيار أهم ما نشر عن تلك القضايا بمختلف اللغات وعرضه عرضاً دقيقاً وافياً باللغة العربية. وترأس تحريرها د. ألفت حسن أغا.

(و) أحوال مصرية

دورية ربع سنوية تصدر منذ صيف ١٩٩٨ تهدف إلي دراسة الواقع المصري بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويرأس تحريرها د. محمد السيد سعيد.

٢- التقارير

(أ) التقرير الاستراتيجي العربي

تقرير سنوي يصدره المركز منذ عام ١٩٨٦ يسعي إلي تقديم رؤية استراتيجية عربية ومصرية لتطورات النظام الدولي والنظام الإقليمي العربي والمجتمع المصري. ويصدر التقرير أيضاً باللغة الإنجليزية بدءاً من عام ١٩٩٥ ويرأس تحريره د. حسن أبو طالب.

(ب) تقرير الحالة الدينية

يرمي إلي الكشف عن خريطة المؤسسات، والأشخاص والحركات والتفاعلات داخل شبكات الانتماءات الدينية والإسلامية والمسيحية بالأساس، بهدف استخلاص اتجاهات عامة حول أنماط التدين المصري بكافة أشكالها وتفاعلاتها ومؤسساتها. ويرأس تحريره أ. نبيل عبد الفتاح.

(ج) تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية

تقرير صدر منذ عام ٢٠٠١ يعنى بتقديم دراسات تحليلية للقضايا الأكثر أهمية والتى من شأنها التأثير على مستقبل الاقتصاد العالمى والاقتصادات العربية والاقتصاد المصرى. ويحرره أ. احمد السيد النجار.

٣- الكتب

يصدر المركز سلسلة كتب تغطى موضوعات معرفية متعددة تعالج مختلف القضايا. ويرأس تحريرها أ. نبيل عبد الفتاح. كما يصدر المركز كتيبات عن المفاهيم والمؤسسات ضمن سلسلة "موسوعة الشباب السياسية". ويرأس تحريرها د. وحيد عبد المجيد.

٤- المركز علي شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

قام المركز بتأسيس صفحة خاصة به على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) باللغتين العربية والإنجليزية. وتتضمن الصفحة عرضاً لكافة إصدارات وأنشطة المركز. ويمكن الوصول إلى صفحة المركز عن طريق موقع الأهرام: .http://www.ahram.org.egبريد إليكترونى acpss@ahram.org.eg

أسلوب الاشتراك أو شراء مطبوعات المركز

تطلب اصدرارت المركز من مكتبات الأهرام ومراكز توزيع الأهرام، فضلاً عن إمكانية الاشتراك في الإصدارات الدورية للمركز عن طريق: إدارة اشتراكات الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية.

تليفون: ٧٧٠٤٥٦٥ - ٥٧٨٦٢٢٤ - ٥٧٨٦٠٣٧ - ٥٧٨٦١٠٠ فاكس: ٥٧٨٦٠٣٧ ٥٧٨٦٨٣٣ - ٥٧٨٦٠٢٣

Email: acpss@ahram.org.eg

مطابع الأهرام التجارية . قليوب . مصر